

رَسْالَةُ الْهُلُمْ

إسلامية ثقافية شاملة



العدد الثلاثون - السنة الثامنة - ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ - فبراير ٢٠١٢ م

٣٠

أَفْرَاكِيْنْ كِبِيْرْ

- ◆ واقع الصحوة الإسلامية... حوار مع سماحة الشيخ موسى سويدان
- ◆ كلمات سماحة الإمام الخامنئي حول البحرين
- ◆ الصحوة الإسلامية ورياح التغيير
- (قراءة في خطب آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم)
- ◆ وقفات خامنائية في الصحوة الإسلامية
- ◆ الثورات العربية وعلاقتها بالإسلام (البحرين مثلاً)
- ◆ إشعاعات دماء الشهداء.. ثورات الصحوة الإسلامية
- ◆ انتصار الثورات في اختيار القيادات
- ◆ الأنظمة الظالمة في مواجهةحركات التغيير.. قرآناً

Resalat Alqalam



رسالة القلم

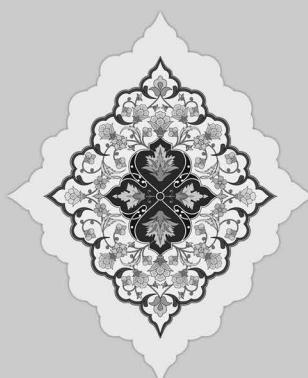
إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:
حسين علي أبو رويس
حسين فؤاد المرزوقي
محمد باقر خليل الشيخ
محمد علي خاتم



٣٠

اقرأ في هذا العدد



كلمة العدد

٣

رئيس التحرير

الصحوة الإسلامية والإسلام الأمريكي

٦

حوار مع سماحة الشيخ موسى سويدان خطيب

واقع الصحوة الإسلامية

ملف العدد: الصحوة الإسلامية

١٧

دار الولاية للثقافة والإعلام

كلمات سماحة الإمام الخامنئي خطيب حول البحرين

٢٥

غازي عبد الحسن السماك

الصحوة الإسلامية ورياح التغيير

قراءة في خطب آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم خطيب

٦٣

أحمد نوار إبراهيم

وقفات خامنائية في الصحوة الإسلامية

٧٨

عزيز حسن الخضران

الثورات العربية وعلاقتها بالإسلام (البحرين مثلاً)

١٠٠

حسن هلال الزاكى

إشاعات دماء الشهداء.. ثورات الصحوة الإسلامية

١١٢

حسين محمد تقى سلطان

انتصار الثورات في اختيار القيادات

١٤٤

جعفر علي المالكي

الأنظمة الطالمة في مواجهة الحركات التغييرية.. قرآنياً

بحوث ومقالات أخرى:

١٣٥

علي أحمد الكربابادي

اليتم في غاية الخلق والتشريع

١٤٦

علي فاضل الصددي

مسألتان في الصلة

١٥٩

محمد علي العربي

أخبار التخيير بين القصر والتمام، في الموضع الأربع المشرفة (القسم الثالث)

٦٧

محمد باقر خليل الشیخ

الألسنة الآبية عن التقىيد

الصحوة الإسلامية والإسلام الامر يحيي

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.
يعيش المسلمين صحوة إسلامية تواقة إلى حكم الإسلام
ال حقيقي الذي هجر في جانبه السياسي طوال القرون الفائتة،
وأدركوا أن سبب الذل والهوان الذي كانوا يعيشون فيه هو
ابتعادهم عن الإسلام. وتفويض أمرهم الاجتماعية والسياسية
إلى الحاكم المعادي لهم كمسلمين. فلا يعقل أن يعيش الإنسان
حياة الكرامة والعزة في ظل حاكم مؤمن بشكل كامل لاعداء
الأمة.

وأدركوا أنه يمكنهم أن يعيشوا في ظل الإسلام أقوياء أعزاء، بل
لا قوة ولا عزة لهم إلا بالإسلام. وعليهم أن يستذكروا كيف
استطاع الإسلام في فترة وجيزة أن يهيمن على منطقة كبيرة من
الجزيرة العربية. وجعلهم رقمًا صعباً بين الأمم في ذلك الزمان.
ولكن يجب أن نعرف بأننا في بدايات هذه الصحوة التي
ينتظرها الكثير من الوعي والصبر والجهاد. وأنها لا زالت صحوة
غير مكتملة. ولن نكمل إلا بتكاتف جميع الشعوب المسلمة
لتعيد لنفسها ذلك المجد العظيم الذي أراده الله لها.

ومن فوائد هذه الصحوة أنها وضحت للعالم أحد الجوانب
المشرقة للإسلام الأصيل، وهو الوعي والصبر والمسؤولية والحكمة
لمن يحمل الإسلام ويريد أن يغيّر الواقع. بعد أن كان الإسلام في أذهان
الكثيرين - خصوصا الغربيين - يساوي القتل وذهب الأرواح والتحجّر
كما هو الحال عند التكفيريين المنافقين المدعين الدفاع عن الإسلام.

وهناك خوف شديد من أعداء الأمة؛ لأنّ ما يجري ليس في صالح سياساتهم، ولذلك هم يعملون على إبراز السلفيين التكفيريين - والغرب المعادي هو من زرعهم في جسد الأمة الإسلامية لتمزيقها - . وهو يدلّ على تضرر السلفيين من هذه الصحوة التي ستفضحهم. ويدلّ أيضاً على أنَّ الأعداء يستخدمونهم كأداةٍ لمحاربة الأمة الإسلامية.

فما هو تفسيرُ أنْ تقوم دولةٌ خليجيةٌ بفتح سفارَة أو ما يشبهها لطالبان على أراضيها لتنسيق الحوار مع الولايات المتحدة، وفي هذه الفترة بالذات؟!

ولماذا لا نرى للقاعدة حركةٌ مناصرةٌ للثورات العربية الإسلامية، مع أنَّها -القاعدة- تدعي أنَّها ضدَّ كلَّ من يوالي الغرب الكافر ويقفُ معه، ومنها الدولُ التي سقطتُ والتي ستسقط إن شاء الله تعالى؟!

ولماذا يصرُّ زعيم القاعدة(الظواهري) قبل فترةٍ أنَّه مع الثورة السورية ضدَّ النظام السوري(المعادي للغرب والكيان الصهيوني).

ولا نراه قد تكلَّم عن أيَّة ثورة أخرى؟
ولماذا خرجتُ الفتاوى-من قبل أتباع السلف الصالح!- المحرمة للخروج على الحاكم لأنَّه ولِيُّ الأمْر، وفجأةً أصبح ذلك جائزاً عندما تعلَّقَ الأمرُ بسوريا؟

ولماذا يتعهَّد أتباعُ السلفِ في مصر(هذه الفترة) بالالتزام بمعاهدةِ كامب ديفيد التي تنصُّ على عدمِ محاربةِ الكيان الغاصب، وأنَّ العلاقة بينهما علاقةٌ ودية، مع عدمِ الشكِّ في أنَّ إسرائيل دولة مغتصبة لأرضِ إسلامية؟!

ولماذا يقومُ سلفيو مصرَ بعد انتصار الثورة في مصرَ مباشرةً، بهدمِ مُقاماتٍ لبعضِ الأولياء؟ أفلم يكونوا موجودين أيامِ حسني مبارك؟!

ولماذا يتحرّك سلفيو اليمن في هذه الفترة بالذات لإنارة الحرب
والنعرات الطائفية مع الحوثيين؟!
ولماذا نرى علم القاعدة يرفع من مجموعات في البحرين. ليس
لعارضه النّظام -العميل لإسرائيل والغرب- بل للهجوم على
المعارضين للنّظام؟!

ولماذا ولماذا ولماذا..... والقائمة تطول.

إنه الإسلام الأمريكي الذي ضعف في المنطقة ويراد له أن يقوى
مجدداً. فعلى الشعوب أن ترفض مثل هذا الإسلام المشوه. ولو
سيطر مثل هؤلاء لا سمح الله- فسوف تصبح الدول الإسلامية
مثل أفغانستان والعراق حيث الدماء والخراب والفساد. وسوف تجد
تسلط الأعداء علينا مرة أخرى.
فالإسلام الأمريكي يقبل حكمَ الظالم والصحوة الإسلامية
ترفضه.

والإسلام الأمريكي يسعى لتمزيق الأمة لأجل أن يسود
والصحوة تنادي بأعلى صوتها "يا أيها المسلمين أخذوا أخذوا".
والإسلام الأمريكي لا يريد خيراً للأمة. والصحوة تسعى لخير
كل الأمة.

والإسلام الأمريكي لا يعرف إلا لغة القتل لمن يخالفه.
والصحوة عندها المنطق والدليل.

والإسلام الأمريكي لا يتحرّك إلا بالمال. والصحوة تتحرّك من
خلال الإيمان بالله العظيم. ومن كان مع الله كان الله معه. والحمد
للله رب العالمين.

رئيس التحرير

واقع الصحوة الإسلامية

حوار مع سماحة الشيخ موسى سويدان^(١) (حفظه الله)

حاوره: حسين علي أبو رويس

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، قاصم شوكة المعتدين، مبير
الظالمين، أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين... والصلة والسلام على نبيه أعظم
خليق، وأشرف موجود، وعلى آل بيته الكرام البررة، الأمانة الخيرة، وعلى بقية
الله في أرضه، وحياته على عباده، المنتظر المهدى، روحى وأرواح العالمين لتراب
مقدمه الفداء.

تعيش أمتنا العربية والإسلامية في هذه الأيام صحوة في الضمير، والفكر،
والعقيدة، صحوة تقعع سحب الجهل والغفلة والسبات الذي عاشه الناس سنوات
و سنوات، فالآمة الإسلامية قد عاشت ردها من الزمن تحت وطأة الأنظمة الفاسدة
التي حاولت تغييب معلم الإسلام الأشم، وتضييع المبادئ والقيم، وإخماد العزائم
والهمم، كل هذا خدمة للأهواء الشخصية، والمطامع الدنيوية.
ولكن الآمة أفاقت من نومها الطويل، واستيقظت لتعلّي راية الحق والعدالة،
وها هي الآن تقدم الغالي والنفيس من أجل العزة والكرامة، وتسطر أروع ملاحم
الصمود شوقاً للعدل والاستقامة، نعم هي ثورة بكل ما للكلمة من معنى، ثورة
سياسية، اقتصادية، فكرية، وغير ذلك من الأبعاد والشؤون.



ولأجل تحليل هذه الصحوة، وبيان بعض أبعادها ومقوماتها، التقت أسرة مجلة «رسالة القلم» بسماحة الأستاذ الشيخ موسى سويدان حفظه الله تعالى ورعاه، لتناقش معه هذا الموضوع المرحلي المهم. فإليكم نص الحوار:

❖ ما هو تعريفكم ونظرتكم للصحوة الإسلامية، وهل أن هناك صحوة إسلامية فعلاً؟

❖ بسمه تعالى: قال عز من قائل: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْنٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾^(١). إن الله سبحانه وتعالى وبمقتضى حكمته جعل الإنسان أفضل وأكرم مخلوقاته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾^(٢)، وجعل كلّ ما عداه في خدمته، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٣)، ثم علمه طريق السعادة وحدّر طريق الشقاوة، وجعله مختاراً في هذه الدنيا (دار الامتحان)، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا﴾^(٤).

وهذا التعليم والهدایة عبر طریقین: الباطن وهو حجه العقل وما فطر الإنسان عليه من عبودية الله وحده، والظاهر عبر إرسال الرسل لتعليمهم وبيان الطريق الموصى للغاية والهدف الذي خلق لأجله، والطريق المؤدي إلى هلاكه، قال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ التَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٥).

يتضح من خلال هذه الإطلالة السريعة قرآنياً أنّ الإنسان جعله الله مورد عنایته الخاصة، وأراده أن يعيش باختياره عيشاً كريماً يؤدي من خلاله تکاليفه المؤدية به إلى سعادته في الدراين، الدنيا والآخرة.

وأما ما يتعلق بالسؤال:

أولاً: لابد من معرفة معنى الصحوة حتى يصح لنا الكلام حولها سلباً أو إيجاباً.

قال في المصباح: صَحَا مِنْ سُكْرٍ، زَالَ سُكْرُهُ، وَأَصْحَّ السَّمَاء فَهِي مُضْحِيَة، انْكَشَفَ غَيْمُهَا، فَالصَّحْوَة إِذَاً عَبَارَةٌ عَنْ رَجُوعِ الشَّيْءِ إِلَى طَبَعِهِ السَّلِيمِ، وَعَدْم وجود المانع لِهِ مِنْ ذَلِك.

من خلال هذا المعنى يظهر أن الصحوة الإسلامية عبارة عن رجوع المسلمين من غفلتهم وسباتهم - بسبب عدم تطبيق أحكام الشريعة الفردية والاجتماعية، على كافة المستويات، السياسية والاقتصادية والأخلاقية - إلى منهج القرآن والسنة الذي لا نجاة إلا به كما هو واضح من تأمل الآيات والروايات.

ولا يصح لنا إطلاق كلمة الإسلامية على الصحوة إلا إذا كان هدف أصحابها هو إقامة حكم شريعة السماء على الأرض في جميع المقول والميادين التي تقوم عليها الدولة؛ فإن ماهية الإسلام والمسلم هي: إقامة حكم الله تعالى على الأرض والعمل على ضوئه: قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٧).

والإنسان المسلم قد يخلد إلى الراحة ولا يهمه إلا العيش بلا أذية في هذه الدار الدنيا مما ينتج غفلته عن واجباته التي بالقيام بها يسير نحو الهدف الذي خلق لأجله من التكامل والفوز بالسعادة في الدار الباقية.

وهذه الغفلة وهذا الإخلاص يؤدي به إلى التنازل عن حريته وكرامته والتسلیم للأمر الواقع، والرضا بأي حاكم يحكمه وسلطنة تتسلط عليه، حتى لا يقع في معتراك الحياة ويصبر على الأذية.

إلا أنه إذا أدركته العناية الإلهية وصحي من غفلته وآب إلى رشده، وعاد إلى أصلاته، واستعمل فطرته السليمة سوف لن يجد بدًا من القيام بتطبيق تعاليم الإسلام التي تحرم عليه الركوب إلى الظالمين، والتخلص عن كرامته التي أكرمه الله بها.

وهذا يحتم عليه القيام بتطبيق أسمى الفرائض التي هي الميزان في تفضيل هذه الأمة المرحومة ما دامت تعمل بتعاليمها التي بينها الله لها عبر أفضل خلقه وأشرف أنبيائه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٨).

نعم ما يحصل في أيامنا من صحوة ورجوع إلى إعلاء كلمة الله لا تبديل سلطة بأخرى مجرد التسلط والتحكم فهو صحوة إسلامية حقيقة، وهذا إنما تظهر معالله وصدقته من خلال الترجمة العملية على الأرض في تلك البقاع التي تقوم عليها الشورات، فليس لنا أن نعطي حكمًا عامًا على جميع الصحوات بأنها إسلامية أو غير إسلامية قبل رؤية ما يختاره أصحاب الصحوات من حكم؛ لأن ذلك يكون من التخمين والمدح.

نعم لنا أن نقول: ظاهر الشعارات في أغلب تلك الدول هي كونها إسلامية، والتي نأمل ونتطلع إلى إدامتها بعد الحصول على السلطة، حتى تترجم عملاً في تطبيق تعاليم الإسلام المباركة.

❖ مفهوم السلمية من المفاهيم التي رفعتها أكثر ثورات الربيع العربي، فما هي حقيقته، وهل يتعارض هذا المفهوم مع مفهوم المقاومة أم أنه أحد وسائلها؟

❖ الإنسان المسلم والعاقل لا بدّ عند إقامته على عمل ما أن يلحظ الغاية والهدف الذي لأجله يقوم بالعمل أو القول، وهذا ما تقتضيه الحكمة عند جماعة العقلاء.

مضافاً إلى ذلك ولإنجاح عمله ينبغي أن يختار الوسيلة والطريق المؤدي إليه، ولما كان عالمنا يعيش الانتقائية في الموازين حيث يتحكم ذوق النفوذ والمال بإصدار الأحكام على أفعال الناس وتحركاتهم خصوصاً عندما يريدون تغيير

وأقمعهم المرير عبر تغيير حكامهم الظلمة هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى هؤلاء الحكام أتباعٌ وأذنابٌ لذوي النفوذ الذين يدعون القيمية على حقوق الناس، وقييز حركتهم إلى عادلة وظالمه، ومشروعة وغير مشروعة.

من خلال كل ذلك لا بدّ لأصحاب الصحوة والثورة من اتخاذ - ولو مرحلياً - الأسلوب الذي لا يترك لأرباب ذوي النفوذ مجالاً لإدانتهم ليكون ذلك عوناً لهم في الوصول إلى هدفهم المنشود.

من هنا وبلاحظة هذه الأمور مجتمعة تكون السلمية أحد أساليب الثورة والمقاومة ما دامت طريقاً في تحصيل الغاية المبتغاة. وبعد ذلك وعندما تقوى شوكة الثورة ويتسلط أصحاب الصحوة يتم إعلان ما يريدونه ولو أدى إلى المقاومة الجهادية الدموية.

وهذا ما شاهدناه ظاهراً في أمثال مصر واليمن وإن كان الطريق لازال شائكاً وقطعاً كثيرون، إلا أن ذلك لا يُسقط تكليف المسلم الواعي عن إكمال الطريق حتى الفوز بإحدى الحسينين، النصر أو الشهادة، كما سطر ذلك أبو الأحرار - صاحب الثورة الأصلية والخالدة لأنّها تحضت في إخلاصها لله تعالى - الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ فكان حجّة على البشرية جميعاً في القيام بوجه الظالم مهما كانت النتيجة؛ لأنّ الغاية هي أداء التكليف، والنتيجة على الله يحكم ما يشاء و﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٩).

❖ هل أن إقامة حكم الله في الأرض واجب شرعاً يفترض على كل مسلم أن يسعى لأدائه؟

❖ لا ينبغي التأمل من قبل من أسلم لله وآمن بما جاء به النبي ﷺ طرفة عين في بدهة لزوم ذلك والسعى بالقدر لإقامة حكم الله بين العباد على كافة

المستويات.

وهذه الدعوى ببينة الظهور من خلال مراجعة كتاب الله تعالى، سواء بالنص الصريح قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١٠)، أم بالظهور من آيات كثيرة قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾^(١١). والنبي الأعظم عليه السلام إنما جاء بالإسلام وقضى حياته الشريفة في الدعوة إليه بالسلم والمرب، وقد أمرنا باتباعه والأخذ بما جاء به: ﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾^(١٢)، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِيطُكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقُلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾^(١٣).

مضافا إلى السلوك العملي والقولي لخلفائه عليهما السلام، ويكتفي إلقاء نظرة متأملة فيما سطّره الإمام الحسين عليه السلام حيث بذل كل ما عنده في سبيل الإسلام وإقامة الدين والشريعة، ولا ينبغي الإطالة في هذا الأمر الواضح لكل ذي عقل سليم قد اعتنق الإسلام وسلم لما أراده الله تعالى.

✿ وإذا كان واجباً فهل هناك شروط توجب فعليته؟

❖ من الأمور التي اتفق عليها بنو العلاء عدم التكليف بغير المقدور لقبحه واستهجانه، وهذا الأمر الوجدي قد أيدَهُ اللهُ تعالى في حكم كتابه الكريم حيث يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾^(١٤).

ويترسّع على ذلك أن كل فعل يريد الإنسان القيام به لا بد من توفير شرائطه الاختيارية، وحصول شرائطه الغير اختيارية، وأعظم الأفعال الواجبة على كافة المسلمين إقامة حكم الله في الأرض، وهذا يتطلب توفير شرائط ذلك الممكنة، وتهيئة الظروف المناسبة، كل ذلك شريطة إمكانها ومقدوريتها للإنسان المسلم كإعداد العدة سواء على مستوى العقيدة والعلم الواجب لثبتات المسلمين

من خلال نشر تعاليم الإسلام وتعليم أحكامه وإحكام قواعده أم على مستوى الإمكانيات المادية من التجهيز العسكري والأمني للحفاظ على بلاد المسلمين قبل الأعداء.

ويستثنى من ذلك حالة واحدة لا بدّ للمسلم أن يبذل كلّ ما يملك حتى روحه، ولا يشترط فيها قدرة الإنسان مع بقائه حيا، وهي حالة الخوف من ضياع الإسلام وببلاد المسلمين.

وهذا ما جسده عملياً إمامنا أبو عبد الله عاشور في مدرسة كربلاء المقدسة حيث قال عاشور: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه»^(١٥)، وقوله عاشور: «لم أخرج أثراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظلماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي صلّى الله عليه وآلّه أريده أنْ أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(١٦)، إلى أن بذلَ مهجته الشريفة، ومُهّج أهل بيته وأصحابه، كلّ ذلك لعدم بقاء الشريعة، وتغيير موازينها لو لا ذلك.

❖ ما هي نظرتكم لمستقبل الأمة الإسلامية والعربية من خلال ما يحدث من تطورات وبدلات في الواقع الخارجي؟

❖ نظرة الإنسان المسلم لا بدّ أن تكون نابعة من تعاليمه التي يتدين بها حتى تكون صائبة وسليمة يرضها الله تعالى، وما يحصل وبحسب ما نسمعه ونراه من شعارات مؤشر إيجابي يشير إلى صحوة الأمّة من سباتها وغفلتها عن حقيقة تعاليم الدين الحنيف التي لا تحمد على الشعار إلا إذا كان شعاراً وعلامة دالة عليها.

وحقيقة هذه الصحوة وديومتها مرتبطة بالأهداف التي لا بدّ أن تترجم عملاً وقولاً معاً، فإن استمرت -وندعوا الله لذلك-، وجسدت شعاراتها من تطبيق حكم الله فالامر إلى غوٌ وازديادٍ وخيرٍ للأمة جماء، فإنّ ما كان الله يينمو، قال

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرِعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١٧)، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ....﴾^(١٨).

وهذا الأمر يعتبر سنة إلهية لا تبدل لها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾^(١٩).

وأما مسألة التبدل الخارجي لوحده من حاكم إلى آخر فلا يدل على عامل إيجابي، فإن طلاب الدنيا يفعلون أكثر من ذلك.

﴿عاشت الشعوب الإسلامية والعربية ردحاً من الزمن تحت وطأة الظلم والاضطهاد والجور، في ظل سكوتٍ تامٍ، وخضوعٍ مطلقٍ، إلى أن حلَّ ربيع الثورات فاشتعلت النفوس عزيمة وإصراراً، لتغيير النظم الفاسدة، وإقامة الحكم العادل، فما هو تفسيركم لهذه الحالة، وهل كانت لها مقدمات توجبها؟﴾

❖ ما لا شك فيه أن السنن الإلهية لا تبدل لها، وقد تقدمت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ..﴾ وقد نصَّ الله تعالى في محكم كتابه الكريم أن: ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٢٠)، و﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢١)، وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام: «إِذَا طَلَبَتِ الْعِزَّ فَاطْلُبْهُ بِالطَّاعَةِ»^(٢٢)، وعن الباقر عَلَيْهِ السَّلَام: «الْيَأسُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَزْلُ الْمُؤْمِنِ فِي دِينِهِ»^(٢٣)، وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَام: «مَنْ أَرَادَ عِزًا بِلَا عِشْرِيَةَ، وَغَنِيَ بِلَا مَالَ، وَهَبَيَ بِلَا سُلْطَانٍ فَلَيَتَقَلَّ عَنْ ذَلِكَ مُعْصِيَةُ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ»^(٤٤).

من خلال هذه التعاليم المعصومة نأخذ قاعدة وسنة إلهية لا تبدل ولا انحرام فيها وهي: أنَّ الإنسان المسلم إذا ترك تعاليم شريعته سوف تضرب عليه الذلة والمسكنة ويترك لنفسه مما يؤدي إلى ذلة وسلط الظالمين عليه، ووقوعه في العاصي والمهلك.

وأماماً إذا رجع إلى رشده وسعى سعيه الصحيح لا حاله سوف ينتج ذلك شجاعته وعزته وخروجه من ذل المعصية إلى عز الطاعة كما عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا يدعوه إلى الصحوة بعد الغفلة، والجهاد بعد الخنوع مما يؤدي إلى نصرته من قبل الله تعالى في نيل إحدى الحسينين، والنصر والتحرر الصحيح أو الشهادة والخلود.

إذاً لكل من الخنوع والذلة، والعزة والصحوة أسبابها الواضحة الصرحة قرآنًا وسنةً.

❖ ما هي مقومات نجاح الثورة؟

❖ لنجاح أي عمل فردي أو اجتماعي فضلاً عن الثورة والتبديل الشامل للحالة التي يعيشها المجتمع أسبابٌ وشرائطٌ ومقوماتٌ متعددة تحتاج إلى بحث مفصل لا يسعه المقام.

إلا أنه باختصار، سرُّ نجاح الثورة يكمن في تحديد المهدف، ووضوح الرؤية، والمراقبة التامة للنتائج التي تحصل، وهذا كلُّه ركيزته الأساس وجودُ القيادة الحكيمية، والرقيب الأمين، وإلا فلن يحصل إلا الخسران والضياع للأنفس والأموال.

ونجاح الثورة في سبيل الإسلام يحتاج مضافاً إلى ما تقدم إلى عنصر آخر رئيس، وهو الإخلاص وعدم الركون إلى الدنيا، وكون الغاية هي الله عَزَّوجَلَّ.

❖ وما هي الأسباب التي تؤدي إلى حمود الثورة وجمودها؟

❖ وإذا فقد أحد هذين العنصرين الرئيسين وهم القيادة الحكيمية والأمينة التي تسهر على مراقبة النتائج، وعدم السماح للأعداء بالتخريب والانقضاض عليها بأساليبهم المختلفة. أو فقد الإخلاص لله تعالى، فالمصير الحتمي هو الحمود،

والجمود، والضياع.

من هنا أكدت الشريعة المقدسة على عظيم خطر وأهمية المراقبة الدائمة. وهذا لا يختص بحالة تهذيب النفس والجهاد الأكبر على مستوى الإنسان فردياً، بل يشمل كل ما من شأنه الحفاظ على بلاد المسلمين وما يرتبط بهم، مما يؤدي إلى نجاحهم وفلاحمهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين.

الهوامش:

- (١) سماحة الشيخ موسى سويدان العاملاني عليه أحلامه أحد علماء الجالية اللبنانية في مدينة قم المقدسة، وأحد المدرسين في حوزاتها. حالياً يشغل منصب مدير مدرسة الإمام الصادق عليه السلام.
- (٢) سورة العصر: ١-٣.
- (٣) سورة الإسراء: ٧٠.
- (٤) سورة البقرة: ٢٩.
- (٥) سورة الإنسان: ٣.
- (٦) سورة البقرة: ٢١٣.
- (٧) سورة المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧.
- (٨) سورة آل عمران: ١١٠.
- (٩) سورة الحج: ١٤.
- (١٠) سورة المائدة: ٤٤.
- (١١) سورة يونس: ١١٣.
- (١٢) سورة الحشر: ٧.
- (١٣) سورة الأنفال: ٢٤.
- (١٤) سورة البقرة: ٢٨٦.
- (١٥) البحار، ج ٤٤، ص ٣٨١.

- (١٦) البخار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.
- (١٧) سورة إبراهيم: ٢٤.
- (١٨) سورة الحج: ٤١.
- (١٩) سورة الرعد: ١١.
- (٢٠) سورة التوبة: ٤٠.
- (٢١) سورة يونس: ٦٥.
- (٢٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٩٥٨.
- (٢٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٩٥٩.
- (٢٤) عن الخصال، في البخار، ج ٧٥، ص ١٩٢.





كلمات سماحة الإمام الخامنئي (حفظه الله) حول البحرين

إعداد: دار الولاية للثقافة والإعلام



هذه مقتطفات من بعض خطابات سماحة الإمام القائد
السيد الخامنئي (حفظه الله تعالى) فيما يتعلق بثورة البحرين
المجيدة، أخذناها من دار الولاية للثقافة والإعلام التي تعنى
بنطابات سماحة القائد عليه السلام وترجمتها للغة العربية، والعنوانين
متّا^(١).

البحرين لا تختلف عن غيرها

يقول سماحته ^{حفظه الله}: "أما قضية البحرين فهي من حيث الماهية تشبه تماماً القضايا الأخرى في بلدان المنطقة. أي إن قضية البحرين لا تختلف إطلاقاً عن قضية مصر وقضية تونس وقضية ليبيا. إنه شعب تحكمه حكومة تتجاهل حقوقه. ماذا كان يريد الشعب البحريني بشورته هذه؟ المطلب الأساسي للشعب البحريني هو إقامة انتخابات وأن يكون لكل إنسان صوت واحد، فهل هذا شيء كثير؟ وهل هو توقع كبير؟ حسب ظاهر الأمور في البحرين هناك انتخابات، ولكن الشعب لا يتمتع إطلاقاً بحق التصويت بمعنى أن يكون لكل شخص صوت واحد، وهناك ظلم يجري على هذا الشعب. هنا اغتنم الغربيون الفرصة للتدخل في شؤون المنطقة عن طريق إثارة قضية جديدة هي قضية الشيعة والسنّة.

قضية البحرين ليست طائفية

لأن الشعب البحريني المسكين شيعي يجب أن لا يدعمه داعم في العالم! التلفزيونات التي تبث تفاصيل أحداث المنطقة تسكت عن أحداث البحرين ولا تعكس تقتيل الشعب البحريني، ويخرج عدد من الأشخاص في بلدان الخليج الفارسي -سواء كانوا سياسيين أو صحفيين- فيهذرون ويقولون إن قضية البحرين قضية حرب بين الشيعة والسنّة! أية حرب بين الشيعة والسنّة؟ إنه اعتراض شعب على الظلم الذي يقع عليه، والأمر تماماً كما في تونس وكما في مصر وكما في ليبيا وكما في اليمن، لا فرق بين ذاك وهذه. والأمريكان فرحون لأنهم يستطيعون بأدواتهم الإعلامية في المنطقة الترويج لفكرة أن قضية البحرين قضية اختلاف بين الشيعة والسنّة، فيتحولوا بذلك دون وصول المساعدات التي قد يفكر البعض بتقدیمها، وفي الوقت نفسه يغيرون ماهية الأمور.

الجمهورية الإسلامية تدعم كل الشعوب المظلومة

يقولون لماذا تدعم إيران الشعب البحريني. نحن دعمنا الجميع. إننا ندعم الشعب الفلسطيني منذ اثنين وثلاثين سنة. أي بلد أو حكومة أو شعب قدم مثل هذا الدعم طوال هذه الأعوام الاثنين والثلاثين؟ فهل الشعب الفلسطيني شييعي؟ كم بذل شعبنا من المجهد فيما يتعلق بغزة؟ توجه شبابنا للمطار ليذهبوا إلى غزة! كانوا يريدون التوجه إلى غزة للقتال ضد إسرائيل، وكانوا يتصورون أن الطريق مفتوح، لكن الطريق كان مغلقاً ولا يمكنهم الذهاب إلى هناك. وقلنا لهم لا تذهبوا.. منعناهم لئلا يبقوا حائرين تائرين وسط الطريق. لم يكونوا يسمحون لهم بالوصول طبعاً. لقد أبدى شعبنا مشاعره في كل مكان حيال غزة وحيال فلسطين وحيال مصر وحيال تونس، وهؤلاء ليسوا بشيعة. إذن القضية ليست قضية شيعة وسنة. يحاولون عن خبث وسوء نية إظهار قضية البحرين وكأنها قضية شيعة وسنة. وللأسف فإن بعض الذين يتصورون الإنسان أنهم لا يحملون نوايا ومحفزات سيئة وقعوا في هذا الفخ. إذا كان هناك خيرون مخلصون في هذا الخضم فإني أعلن لهم بأن لا يحولوا القضية إلى قضية شيعة وسنة فهذه أكبر خدمة لأمريكا ولأعداء الأمة الإسلامية بأن يحملوا تحركاً عاماً مناهضاً للاستبداد يقوم به شعب على أنه صراع بين الشيعة والسنوة. ليس هناك صراع بين الشيعة والسنوة. إننا لا نفرق بين غزة وفلسطين وتونس ولibia ومصر والبحرين واليمن. الظلم ضد الشعوب مدان أينما كان. تحرك الشعوب بشعارات الإسلام وباتجاه الحرية مما نؤيد.

وقاحة الولايات المتحدة وتدخل السعودية

ذروة وقاحة الأمريكان حينما لم يعتبروا نزول دبابات الحكومة السعودية إلى شوارع المنامة في البحرين تدخلاً، ولكن حينما يقول مراجع تقليدنا وعلماؤنا

وخلصونا لا تقتلوا الناس، يقولون لنا إنكم تدخلتم! هل هذا تدخل؟! أن نخاطب حكومة أو نظاماً ظالماً ونقول له لا تقتل شعبك فهذا تدخل، لكن نزول الدبابات الأجنبية لشوارع البحرين ليس تدخلاً! هذه ذروة وقاحة الأميركيين وأذنابهم في المنطقة أن يتصرفوا بهذه الطريقة ويتخدوا بهذه الطريقة ويتحذوا مثل هذه المواقف الإعلامية.

السعودية أخطأت بتدخلها في البحرين

بالطبع نعتقد أن الحكومة السعودية قد أخطأت وما كان ينبغي لها أن تتخذ مثل هذه المواقف وتجعل من نفسها مكرهه مبغوضة في المنطقة. الأميركيان يبعدون آلاف الكيلومترات عن هنا، فإذا صاروا مكرهين مبغوضين فقد لا يكون الأمر مهمأ لهم بدرجة كبيرة، لكن السعوديين يعيشون في هذه المنطقة ومن الخسارة الكبيرة أن تكون الشعوب كارهة مبغضة لهم. لقد أخطأوا بفعلهم هذا. وكل من يفعل مثل هذا يكون قد أخطأ.

الحركات الإسلامية ستنتصر حتماً

ما أقوله بنحو حاسم هو أن هناك حركة جديدة في المنطقة قد انطلقت بتوفيق من الله. إنها حركة الشعوب وحركة الأمة الإسلامية، وهي حركة بشعارات إسلامية ونحو الأهداف الإسلامية ومؤشر على الصحوة العامة للشعوب. وحسب الوعد الإلهي فإن هذه الحركة ستنتصر يقيناً وبلا شك^(٢).

القوى المستكبرة والتحكم بالشعوب

"إن القوى المستكبرة في العالم - أي القوى الغربية والأمريكية والصهيونية - لا تقف عند حدّ معين، وتريد الاستيلاء على العالم كلّه وعلى جميع المصادر المالية في العالم وعلى كل الطاقات البشرية، فما هو ذنب الشعوب؟ لماذا يجب على

الشعوب أن تطبق هذا الوضع؟ ولكن للأسف هذا هو الواقع، يضعون أشخاصاً من سخنهم على رأس الشعوب ليضمنوا لهم مصالحهم ويعملوا ما استطاعوا ضد صالح الشعوب ويضغطوا عليهم. منذ حوالي مائة عام، حيث ظهر الاستعمار، حدث هذا الشيء بأشكال مختلفة في العالم. الشعوب الأخرى لم تكن مشكلتهم خلال هذه الحقبة مجرد تسلط مستبد عليهم إنما كانت مشكلتهم هي أن هذا المستبد له سند من القوى الدولية التي تسحق وتحطم صالح هذا البلد وهذا الشعب. هذه هي المشكلة خلال فترة الاستعمار. إذا نظرنا من هذه الزاوية فسوف يكن تحليل جميع هذه القضايا بصورة صحيحة. وكذا الحال بالنسبة للقضايا الراهنة.

الصحوة الإسلامية ستؤتي أكلها

تقع في المنطقة حالياً أحداث معينة ببركة الإسلام وببركة الثورة الإسلامية وبفضل الصحوة الإسلامية العامة. ولا مراء في أن هذه الصحوة الشعبية سوف تؤدي نتائجها، وقد آتت نتائجها إلى هذا اليوم وإلى هذه الساعة في بعض المناطق. عزية الشعوب وإيمانها واستعدادها للتضحية كلما استمر أكثر كلما كان احتمال انتصارها أكبر. وهذا ما لا يريد الاستكبار والصهابية وقوعه ولا يريدون للشعوب أن تصمد. لقد وقعت أمريكا في هذه الأحداث في مbagة وحلت الضربة بها على حين غرة وبصورة مفاجئة، وكذا الحال بالنسبة للصهابية، وكذا الحال بالنسبة للحكومات الاستعمارية الأوروبية المتعددة -لقد تفاجئوا- لكنهم يريدون الهيمنة على الساحة بأي شكل من الأشكال، إلا أنهم لحسن الحظ لم يستطيعوا ذلك لحد الآن. في بلد أو بلدين لم يستطيعوا ذلك إطلاقاً، وهم يحاولون في بلد أو بلدين آخرين. من الأكيد أن هذه الصحوة ليست بالشيء الذي ينتهي. تحرك الجماهير إلى الأمام هذا ليس شيئاً يمكن أن يرجع إلى الوراء. مهما فعلوا

سيكون لهذه الحركة نهاية جيدة ولصالح الشعوب وبضرر القوى الكبرى. طبعاً يجب أن تكون الشعوب يقظة وتعلم أن العدو يتربص لها في كمائنها.

الشعب البحرياني الأكثر مظلومية

وفي بعض الأماكن يارسون -للحق والإنصاف- ظلماً عليناً جلياً. في قضية البحرين وفي قضية ليبيا وفي قضية اليمن الآن، كل الذين يستطيعون إبداء آراءهم في هذه القضايا إذا دققوا سيجدون هذه القوى الغربية مجرمة ومقصرة لا يمكن التغاضي عنها. هؤلاء يظلمون الناس. وتحليل ذلك من شأن المحللين السياسيين، فهم يحللون ويتحدثون، ومحصلة كل ذلك هو أن أمريكا والغرب يارسون الضغط على الشعوب ويظلمونها لصالح الصهاینة ولصالح الحكومة الإسرائيلية المزيفة، والذين تعرضوا للظلم أكثر من غيرهم هم الشعب البحرياني للأسف.

موقف الجمهورية الإسلامية مما يحدث

لأن الجمهورية الإسلامية تتخذ الموقف الحق وتقول كلمتها بصرامة فإنهم يوجهون جميع هجماتهم الإعلامية ضد نظام الجمهورية الإسلامية. كانوا يتمنون أن تكون الجمهورية الإسلامية متفرجاً غير مكترث، ومثل هذا شيء غير ممكن، وهذا ليس من طبيعة الجمهورية الإسلامية. لا يكن لشعب إيران ولا للمسؤولين الإيرانيين ولا للحكومة الإيرانية ولا للنخب السياسية في إيران بطبيعة الحال أن يبقوا متفرجين غير مكترثين في هذا الصراع الظالم الذي يشنّه المستكرون ضد الشعوب. فيقولون: إن إيران تتدخل! أي تدخل؟! أي تدخل؟! ما هو التدخل الذي قامت به إيران في البحرين وفي ليبيا وفي اليمن؟ نعم التدخل هو أننا ذكرنا رأينا بصرامة، ولم نخف أبداً من عبوس القوى الورقية ولم ولن

نکترت ها. إننا نذكر مواقفنا الحقة وكلامنا الحق بكل صراحة.

الشعب البحرياني صاحب حق

الموقف الحق هو أن الحق مع الشعب البحرياني، فهو شعب معترض واعتراضه في محله. أي إنسان صاحب بصيرة في العالم إذا عرضتم عليه هذه القضية وذكرتم له وضعهم وأخبرتوه بنوع الحكومة التي تحكم هذا الشعب، وطبيعة الأعمال التي يمارسها الحكام هناك في استغلال ذلك البلد الصغير، لكم أن تشاهدو هل سيدين الجهاز المحاكم هناك أم لا يدينه. إنهم مخطئون إذ يجاهبون الشعب، ولا فائدة من عملهم هذا. قد تستطعون الضغط وممارسة الأعمال الوحشية فتطهروا النار لأيام معدودات، لكن النار لن تنطفئ، إنما ستزیدون عقد الناس يوماً بعد يوم، وذات يوم سيفلت الزمام من أيديكم بحيث لا يمكن تلافي الأمر بأي شكل من الأشكال. إنهم مخطئون. هم على خطأ والذين يعيشون القوات للبحرين من الخارج أيضاً يرتكبون خطأ كبيراً. يتصورون أنهم بهذا يستطيعون القضاء على حركة الشعب. هذا هو رأي الجمهورية الإسلامية وكلامها^(٣).

أغلبية شيعية ولكن الحركة ليست طائفية

"الشعب البحرياني يعيش مظلومية مطلقة، هناك أيضاً من يريد الإعلان عن حركة الشعب باعتبارها حركة طائفية مذهبية مجرد أن الشعب من الشيعة، والحال أن القضية ليست كذلك. طبعاً الشعب البحرياني شيعي وقد كان شيعياً على امتداد التاريخ، الأكثري فيه شيعية، بيد أن القضية ليست قضية شيعة وسنة. القضية هي أن هذا الشعب مظلوم ومحروم من أبسط حقوق المواطن في بلده وعلى أرضه. إنه شعب يطالب بحقه، يطلب بحق التصويت والاقتراع ويقول: نريد تكيننا من التصويت وأن يكون لنا دور في تشكيل الحكومة. وهذه ليست جريمة

إنما هي حق مشروع.

الولايات المتحدة هي المسؤولة

وإذا بالأمر يكان الكاذبين المرائين المخادعين الذين يتشددون بحقوق الإنسان ومزاعم الديمقراطية يتصرفون بتلك الطريقة ضد الشعب البحرياني. هم ينكرون الأمر طبعاً، ويقولون لسنا نحن المسؤولين إنما هم السعوديون، لكن السعوديين لم يكن بإمكانهم الدخول إلى البحرين وارتكاب تلك الأعمال الدامية المريرة من دون ضوء أحضر من أمريكا. لذا فالأمريكيان هم المسؤولون^(٤).

شعب مظلوم والنصر حليفة

"أما بالنسبة للأوضاع في البحرين نحن قلقون جداً، فالشعب البحرياني يتعرض للجفاء والظلم. وقطع له الوعود ولا يتم الوفاء بها. إن الشعب البحرياني شعب مظلوم. ولا يخفى أن كل حركة، كل خطوة تكون في سبيل الله، تكون معززة بالعزם والإرادة، فإنها قطعاً ستنتهي إلى النجاح وتحقق الانتصار، وهذه القاعدة تجري في كل مكان، وتجري هناك [البحرين] أيضاً"^(٥).

"إن تونس واليمن والبحرين سوف تجري على منهاج واحد من إحياء العزة والكرامة الوطنية لنيل مطالبتها"^(٦).

الهوامش:

(١) الموقع الإلكتروني: www.alwelayah.net

(٢) خطاب الإمام الخامنئي دام عزه الله عليه، في تاريخ: ١٦/٤/١٤٣٢ هـ، ٧/٧/٢٠١١ م.

(٣) خطاب الإمام الخامنئي دام عزه الله عليه، في تاريخ: ١٩/٥/١٤٣٢ هـ، ٢٣/٠٤/٢٠١١ م.

(٤) خطاب الإمام الخامنئي دام عزه الله عليه، في تاريخ: ١/٧/١٤٣٢ هـ، ٤/٦/٢٠١١ م.

(٥) خطاب الإمام الخامنئي دام عزه الله عليه، في تاريخ: ١/١٠/١٤٣٢ هـ، ٣١/٨/٢٠١١ م.

(٦) خطاب الإمام الخامنئي دام عزه الله عليه، في تاريخ: ١٨/١٠/١٤٣٢ هـ، ٢٦/٦/١٣٩٠ هـ.



الصحوة الإسلامية ورياح التغيير

قراءة في خطب آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

غازى عبد الحسن استمك

تمهيد

حينما عادت الشعوب العربية إلى إسلامها عادت إليها إرادتها التي طالما كبلتها العروش وأرعبتها التيجان، عادت الإرادة فأشرقت شمس الحرية وألقت بأشعة كرامتها وعزتها وشرفها على ربوع الشعوب، وأحرقت عروش السلاطين. هكذا هو الإسلام، يُعزز من أخذ من عزته، ويهدى من استرشد به، ويحرر من طلب عبودية الله عزوجل وحده، ولا يخيب من اعتمد بحبه. فالعودة إلى الإسلام تتكسر القيود وتنحي التيجان وتتساقط العروش.

وفيما يلي نستعرض جملة من خطب سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم طه تتعلق بالصحوة الإسلامية ورياح التغيير، فكلمات سماحته رائدة في هذه الصحوة ورافدة لها.

السياسة في الإسلام

الطرح السياسي موجود في الإسلام، على الرغم من اختلاف المسلمين في فهم هذا الطرح وكيفية التعاطي معه، فمدرسة الإمامة لا تفكك بين سياسة الدين والدنيا، وتشترط العصمة في الإمام والاصطفاء من الله عز وجل، استناداً إلى الأدلة العقلية والنقلية، بينما مدرسة الشورى تحصرها في الدنيا وتعطي أهل الحل والعقد حق اختيار الحاكم على ضوء مواصفات دينية.

يقول سماحته: "في الإسلام طرح سياسي واحد لا اثنان، ولكن المسلمين اختلفوا حول هذا الطرح، فمدرسة الإمامة غير مدرسة الشورى فهماً لهذا الطرح. تذهب مدرسة الإمامة، وهي تربط بين سياسة الدنيا والدين، بلا تفكيك بينهما فيه - بلا تفكيك بين الإمامة فيهما معاً على الإطلاق -، ولكن إمامنة الدين متوقفة على فهمه فهماً دقيقاً مأموناً كاملاً، وتطبيقه كذلك، وعلى حاجة السياسة الدينية ونجاحها إلى خط الدين، اقتضى ذلك تعيين الإمام من الله عز وجل، لأنه وحده الذي يعلم بالمعصوم الثابت على العصمة في علمه وعمله، وتستند مدرسة الإمامة مع ذلك إلى عدد من النصوص الواردة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وموافق الرسول صلوات الله عليه وآله العملية.

وتذهب مدرسة الشورى إلى حق أهل الحل والعقد فيها، في اختيار الإمام على ضوء مواصفات دينية مطلوبة، ولا وقفة هنا للنظر في أي من المدرستين، فالحديث ليس بقصد التحقيق المقدى^(١).

العودة إلى الإسلام

عادت أمة الإسلام إليه، وابعثت الحياة في روحها تحت ظل تعاليم القرآن الكريم وقيادة النبي محمد ﷺ. وهي عودة فيها صحوتها وحياة عقلها وإرادتها وعزتها وكرامتها وتحررها من العبودية لغير الله تعالى.

يقول سماحته: "أمة الإسلام تعود لماضيها عودة حياة لا موت، حركة لا جمود، تقدم لا تراجع، تجدد لا تقادم، ذلك لأنها عودة لقيادة الإسلام، قيادة القرآن، قيادة الرسول ﷺ وهي قيادة لإنماء الحياة وإثرائها، لتدفقها، لتقدمها، للارتفاع بها، لتخليص حركة الإنسان في إنسانيته الكريمة، وفي إنجازاته المشرفة، وإبداعاته واكتشافاته وأضافاته النافعة من كل معوقاتها، والدفع بها إلى الأمام على الخط القويم.

وإن عودة الأمة إلى هذه القيادة فيها صحوتها، وحياة عقلها وإرادتها، وفيها حيويتها ونشاطها، وعزتها وثقتها بنفسها، وقوتها عزيمتها، وحريتها واستقلالها وإبائها ورشدتها وهدتها.

العودة إلى الإسلام لا توجد معها هزيمة، ولا يوجد معها كلل ولا بطر ولا فساد ولا إفساد، هي القوة، وهي الاستقامة، وهي الرشد، وهي الصلاح والإصلاح. ما يقيم على خط الإسلام لن تضعفوا ولن تستضعفوا، ولن تتضروا ولن يضل بكم، ولن تتراجعوا أو تقهروا، ولن تذلوا، ولن تبطروا أو تستكبروا، ولا بد لكم من النصر وستحيل عليكم الهزيمة^(٢).

الحكم الوراثي والرؤية الإسلامية

الحكم الوراثي خطيئة اقترفها أرباب السياسة في الدولة الأموية، واستن بهذه السنة الأموية من عبد الكراسي وعشيقها، وكان العروش والتيجان خلقت له ولخلفه، باعتبارها إرثاً يتوارث وكراً يتلقفها الصبيان. والحكم الوراثي الذي

تنتهجه جل الأنظمة العربية، حكم لا ينتمي إلى الإسلام بصلة، لا على نظرية الإمامة ولا على نظرية الشورى، بل ولا على النظرية الديمقراطيّة التي طلما تغنى بها حكام الجور الذين ورثوا العروش والتيجان من أسلافهم.

يقول سماحته: "وقع المسلمين في خطأ الحكم الوراثي، الذي لا يلتقي مع أي من المدرستين -مدرسة الإمامة ومدرسة الشورى-. جاءت الدولة الأموية التي كانت ترى أن على الأمة أن تعيش تحت سيطرة الحكم الأموي ما دام على الأرض إنسان، وهكذا كانت وجهة نظر العباسيين والعثمانيين من بعد، وكل أسرة حكمت بلادًا من بلاد المسلمين صار رأيها أن تحكم هذا البلد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وحتى لا يشتبه الأمر على أحد، ويخلط بين هذا الفهم -الأجنبي قطعاً عن الإسلام- وبين فهم مدرسة أهل البيت عليه السلام، فلا بد من الالتفات إلى أن مدرسة الإمامة بعيدة كل البعد عن الحكم الوراثي، فإنّمامة الحسن أو الحسين عليهما السلام ليس لأن هذا أو ذاك ابن علي ابن أبي طالب عليهما السلام وإنما لأنّه منصوص عليه بالنص الدينى، وممن بشر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بإمامته، وهكذا الحال في إمامية الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، والإمامية في أهل البيت عليهم السلام إنما حدّدت في إثنى عشر إماماً سُمّوا سلفاً، وقبل ولادة الكثير منهم، ولا تمتد الإمامية في ذرية النبي وعلي عليه السلام حتى النهاية.

ثم إنه في غياب المعصوم عليه السلام لا تقتصر مدرسة الإمامة إمامية المسلمين على ذرية رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

وعليه فإنه إذا أراد المسلمون أن يحترموا فهمهم للإسلام في المسألة السياسية حتى مع تخلّيهم عن مدرسة الإمامة، فليس لهم أن ينسبوا الحكم الوراثي للإسلام ويشرعوا له على هذا الأساس، وإذا أعطوا الحكم لأي فرد من أي عائلة فلا بد أن ينظروا في صلاحيته على أساس ما فهموه من مواصفات الحاكم في الإسلام حتى تتحقق نسبة اختيارهم إليه وأنهم اختاروه لأن الإسلام يوافق عليه، وأن اختيارهم ذاك إنما هو من اختيار الإسلام^(٣).

الصحوة الإسلامية والربيع العربي

حركة الشعوب العربية لها خلفياتها وتطلعاتها، من حيث الظلم والاستعباد والقهر والأسر والتهميش، فتحرّكت الشعوب من أجل كرامتها وحريتها وحاضرها المشرف وغدّها الأفضل. وهذه الحركة لا رجعة فيها للوراء ولا انحسار لها، بل هي في تصاعد وإصرار، لأن الربيع العربي ولد من رحم الصحوة الإسلامية، وإذا حضر الإسلام في وعي الشعوب حضرت كرامتها وعزتها ورفعتها، وذهب عنها الذل والهوان.

يقول سماحته: "تحرّك عدد من الشعوب العربية في سبيل واقع جديد، وحاضرٌ مشرّفٌ وغدٌ أفضل ينطلق من إصلاح الوضع السياسي الظالم في الأمة وتغييره، ومن تحقيق الانعتاق من الأسرِ الخانق الذي تعاني منه شعوب الأمة على يد الأنظمة السائدة، وحالة التهميش التي تفرضها عليها، والاستخفاف الذي تتعامل به معها، إذ كل جنّبات الحياة عند الإنسان يصيّبها الضررُ والتصدّع والتآثر بسبب سوء الوضع السياسي والخلل الداخلي عليه".

تحرّك هذا العدد من الشعوب لاسترداد كرامة الدين والإنسان وحريتها، وإنقاد الثروات الوطنية من يد العبث والنهب والتلاعب، وهو تحرّك لا رجعة فيه إلى الوراء ولا انحسار، وشعوب الأمة التي لم تلتحق بعد بحرّاكِ الإصلاح والتغيير لاحقة به لا محالة. وقطار التغيير مواصلٌ انتلاقته إلى آخر الطريق ولن توقفه قوّة غاشمة ولا تحايل ولا مكر، ولا كلّ ألاعيب السياسة، ولا موقف دولةٍ صغرى ولا دولةٍ كبرى في الأرض كلّها على الإطلاق.

ربيع الثورة العربي وحركات الإصلاح إنما ولد كلّ ذلك من رحم الصحوة الإسلامية التي سرت في روح هذه الشعوب. وكلما حضر الإسلام في وعي شعبٍ وشعوره، كلما امتنع أن يردّ هذا الشعب رادًّا عن طريق العزة والكرامة والحرية

والطالبة بالحقوق والتغيير الصالح والانعتاق.

منطلق الربيع العربي مخزونٌ من الشعور بالقهر والإذلال والحرمان والتهميش والكبت فقد الأمان، وكل ذلك من عطاءات النظام السياسي العربي الفاشم، منطلقه هذا المخزون وتلك الصحوة التي بعثت الوعي وأحيت الضمير، وحركت الإرادة وألهبت الشعور.

والنجاحُ الحقيقى لحركات التغيير والإصلاح وتحقيق مستقبلٍ زاهرٍ كريمٍ رائدٍ للأمةِ مرهونٌ باستمرار هذه الصحوة وتعمقها وصدقيتها في ميزان الدين وشدتها وتوسيعها^(٤).

يقظة الشعوب ونوم السلاطين

استيقظت الشعوب من سبات خوفها وشعورها بالعجز والفاقة، ونفضت عنها غبار التبعية الذليلة، ولبست ثوب العزة والكرامة والإباء، فما عادت تجدى أساليب البطش والقمع، فقد صدح صوت الأحرار بأهازيج الحرية المصبوغة بالدم، فارتعد السيف حينما تجلى نزف الدماء.

يقول ساحته: "العام العادي عشر بعد الألفين الميلادي ما هو إلا عام البداية للثورات العربية في وجه الأنظمة الحاكمة التي ضاقت بها الأمة ذرعاً، بما أوقعتها في مستنقع التبعية الذليلة وسلبتها العزة ولقمة العيش وأذاقتها الهوان. ثورات لن تُتقى عصا السير ولن تتوقف عن تصاعدها ولن تستريح حتى تكون الحكومية التي تؤمن بها الشعوب، لا الحكومية التي تؤمن طاغوتية السلاطين؛ ذلك لأنها لم تتطلق من فراغ ولا نظرة سطحية أو حالة انفعالٍ عابر أو رؤية مُتعجلة أو إرادةٍ متلکئة أو عزمٍ ضعيف."

وإنه لن تتفع -بعد يقظة الشعوب وانبعاث إرادتها والإصرار على استرداد حقوقها وحرrietها وكرامتها في إيقاف هذه الثورات- أساليبُ بطشٍ وقمعٍ، ولا حيلةٍ ولا وسيلةٍ

مما يقع تحت يد الباطشين الذين لا يرعون إلأ ولا ذمة ولا يقيمون لإنسانٍ وزناً^(٥).

الزلزال العنيف

رياح التغيير في البلاد العربية والزلزال العنيف ليس من قبيل الصدف، بل جاء على وفق السنن التاريخية، حيث إن المقتضي موجود، والمانع ليس بالشدة التي تحول بين الأمة وبين التغيير.

يقول ساحته: "هذا الذي يعرض الأجواء السياسية في البلاد العربية هو من رياح التغيير العاتية والزلزال العنيف والطوفان الجارف والتحولات الكاسحة، ما يحدث ليس صدفة، ولا مفاجأة كاملة، ولا شذوذًا في سير التاريخ، ولا خروجاً عن صنعه. المقتضي موجود والموجب تام والسبب قائم في جور الأنظمة، ونهبها للقمة الشعوب، وسياسة الإذلال والهوان، وتهميش الأمة، وبيع المقدرات، والتذكر للهوية، وسحق الكرامة، وبيع الأوطان، والفساد والإفساد الشامل.

وإذا كان مانع من التغيير فهو على ما هو عليه لم يتغير، ما هو المانع؟ هو قرار الأنظمة، بطشها، تمسكها بالحكم بأي ثمنٍ تجده على الإطلاق، استهزاؤها بإرادة الشعوب.

والثابت أن المانع على شدته ليس إلى الحد الذي يعطل رياح التغيير، ويؤجل الزلزال، ويحول بين الطوفان وبين أن يبدأ، ويمد في عمر الباطل لو حصل شرط التغيير. المفقود كان هو الشرط، والمقتضي للتغيير موجود، والمانع ليس بالشدة بين الأمم وبين التغيير، لكن الشرط كان مفقوداً^(٦).

الطوفان بدأ لا ليهدأ

طوفان بدأ لا ليهدأ، وهو لا يستجيب لمنطق الترهيب أو الترغيب أو التخدير أو التأجيل، فهو بدأ ليسترد حقوقه المسلوبة، وخيراته المنهوبة، وإذا لم يعطها اليوم فسوف يأخذها غداً، ولن يقبل بها إلا مضاعفة بحجم تضحياته

ومعانته.

يقول ساحته: "الطوفان بدأ لا ليهدأ، ولا ليقف عند حد بلدٍ وشعب، وهو غير قابلٍ للاتفاق والمغالطة والتخيير والتأجيل".

ومن التغيير ما يكلف البلدان الكثير من الخسارة على مستوى الإنجازات والإنسان، ومنها ما هو دون ذلك، والمسألة ترتبط بحكمة الأنظمة وتعقلها، ومبادرتها في الاستجابة لضرورات الناس ومطالبها العادلة السياسية وغيرها، والاعتراف العملي العاجل بكرامة الشعوب وحقوقها في شكل الحكم وسياسته.

وقد رأينا أن ما يمتنع عن إعطائه للشعوب اليوم، لا ترتضيه غداً على مضاعفته. اليوم أي شعبٍ يطلب قدرًا من الحقوق، غداً يتضاعف الطلب، وتعرض عليه الحكومات أكثر مما طلب، إلا أنه بعد التضحيات الكثيرة لا يقبل بما يعطى. وهو درس يجب أن تتعلم منه الأنظمة.

وأن الذين يتذرون بألوان التذرع، ويعتذرون بألف عذر عن الإعطاء للقليل والتغيير في حال السعة، يملئون عن استعدادهم للإعطاء الواسع والتغيير الكبير إذا ضاقت بهم الأمور، وعند فوات الأوان^(٧).

الوطن العربي بين خريف وربيع

طال الخريف العربي في ربع البلدان العربية، وكاد أن يُذهب ببقية الفصول، إلا أن أمطار الصحوة الإسلامية أحالت الأرض القفراء إلى جنة خضراء يفوح أرجوها بعقب الحرية والكرامة والعزة، ذهب الخريف وجاء الرياح العربي للشعوب وسيستمر بإذن الله تعالى وإن بقي خريف الحكومات والأنظمة.

يقول ساحته: "الوطن العربي بين خريف حارق لكل أخضر وبابس على مستوى العقول والقلوب والضمائر، وارادة الخير والإبداع الكريم في الإنسان، وعلى مستوى الساحة الخارجية وكل مظاهر الحياة، هو بين ذلك وبين ربيع بدأت نسائمه تهب عقبة

ببشائر الحياة.

طال الغريف العربي حتى كاد أن يقضي على الحياة، إلا أن الأرض العربية بدأت تستقبل الربيع، وتعيش مظاهره في واقع الشعوب وحركتها، والخريف العربي والجمود في الواقع العربي الرسمي لا زال يقاوم بشراسة ودهاء وإمكانات وخزائن هائلة حركة الوجود الشعبي وانباثقة الحياة في الأرض العربية.

وما بيد الوجود الرسمي من خزائن وجيوش وإمكانات إنما هي ملك الأمة، وكل إمكاناته التي يواجهها بها من صنع ثروتها. الحركة حركة شعوب لا حركة أنظمة من ذاتها، ولا حركة لأي نظام عربي بمقدار خطوة إيجابية صغيرة إلا بتحرك من الزلزال العربي على مستوى الشعوب.

دور الأنظمة دور مقاوم، مجاهض، مبطل، محرف، متحايل، سارق لحركة التغيير ونتائجها^(٨).

لغة الحكومات ولغة الشعوب

لغتان تتصارعان، لغة الحكومات المستبدة ولغة الشعوب الأبية، لغة حكومات تخير الشعوب بين الذلة والسلة، ولغة شعوب تهتف هيبات منا الذلة، مستلهمة هذا الشعار من إباء الإمام الحسين ع - نصاً أو معنى - ومن كانت هذه لغته فنصر الله عز وجل حليفه لا محالة.

يقول سماحته: "لغة الحكومات لشعوبها، هي أن تموت هذه الشعوب أو تتحني، أن تموت جسداً أو تموت فكراً وإرادةً وإنسانية وتنما عن حريتها، أن تقبل الهوان والذل والفقر والجهل والمرض وتختسر دينها.

وذراع هذه اللغة ما بنته ثروات الأوطان التي هي ملك الشعوب من قوة عساكر، ومؤسسات استخباراتية، وسجون، وقوى تسلحية، وصحافة موالية، وقوّات إعلامية تحت التصرف، وإمكانات هائلة، ومرتزقة وكل ما يستعن به لقهر الآخر وإذلاله.

أما اللغة الأخرى، فهي لغة شعوب أهافت من غفوة طالت، ونفضت عنها غبار المسكنا، وخلصت من عقدة الخوف، وكسرت طوق رعبها، ولسان هذه اللغة يعلو مجلجلاً الموت لا الانحناء، الحرية وإلا فالمقى، الموت أولى من الذل والعار^(٩).

الحسين عليه ملهم الرياح العربي

ويواصل سماحته: "أخذت كلمة الإمام الحسين عليه التي انطلقت من روحه الأبية، وقطعت مسافة القرون المتواتلة لتملأ الساحة التورية العربية والإسلامية الواسعة الملتهبة كلها، وتطلق مدوية على ألسن الملايين . نصاً أو معنى . لتملأ مسمع الدنيا كلها بشعار هيئات منا الذلة، كلمة قالها الإسلام من أول يوم، وبقيت على لسان الرسول عليه وفي سلوكه، وعلى لسان كل إمام بمعناها وبمؤداها، وهي باقية على لسان المسلم الحق إلى الأبد"^(١٠).

لغة الشعوب تنتصر

ويقول سماحته: "هذه اللغة سلاحها الإيمان بقيمة الإنسان وكرامته، وأن الله يرى أن يأبى للمؤمن أن يذل نفسه، وأن يطأطئ لإرادة العبيد المخالفه لإرادة ربها، وأن يسلم للعبودية لغير خالقه، وسلاحها الصبر على مواجهة الموت، وبذل الروح في سبيل الله وما أذن الله أن يبذل الدم من أجله.

ولغة الشعوب هذه أخذت تتحول إلى لغة عامة ومفهومها ومستذوقها بل مشوقة في العالم العربي والإسلامي، وأخذت في التعمق والتتجذر يوماً بعد يوم في ظل ظاهرة الاستشهاد المتتابع، وبحور دماء شهداء هذه اللغة في الأرض العربية.

هذه اللغة بدأت تفرض نفسها على الأجيال الجديدة بقوة بعيداً عن العدوانية، وإنما هو عشق الحرية والكرامة، ورفض العبودية إلا لله سبحانه الذي لا يستكثر عليه أي ثمن في سبيل رضاه.

وما تجلى عن هذا الصراع بين الافتين، هو انتصار لغة الدم على السيف، والحق

على البطش، والعرية على رغبة الاستبعاد، والشعوب المطالبة بالإصلاح على الحكومات المضطهدة للشعوب^(١١).

حاجز الخوف ورياح التغيير

ارتفع حاجز الخوف عند الشعوب فسقطت عروش الأنظمة الظالمه وتزحزح بعضها، فبداية التغيير مرهونة بهدم جدار الخوف والرعب الذي بنته الأنظمة. يقول سماحته: "مسألة بداية التغيير وزحفه، وحدوث الزلزال واشتداهه، وانطلاق الطوفان واكتساحه، مرهونة بانهدام حاجز الخوف والرعب الذي أقامته ومنتته الأنظمة السياسية الجائرة في نفوس أبناء الأمة، والحرص على الحياة الدنيا وإن كانت شحيحةً ذليلةً في نفوس أبناء الشعوب، ومرهونة بإدراك الحالة البائسة حتى لم كان شيئاً من الناس، وافتتاح الأمل بعد اليأس المقيت"^(١٢).

القيادة ورياح التغيير

لا بد للتغيير من رشد يقيه من الانفلات أو الانحراف أو الالتفاف، ورشد التغيير يتمثل في وجود قيادة شرعية وحكيمة وشجاعة وعاقلة، تقود السفينة في البحر المتلاطم إلى شاطئ الأمان. فكل ثورة تحتاج إلى خميني، والخميني يعني الفقيه العالم العادل البصير الشجاع الحكيم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم. يقول سماحته: "رشد التغيير، وتحقيقه للأمال العريضة، وانضباطه، وأمنه من العرف والالتفاف عليه، ويسره، وانسيابيته بدرجة أكبر وأضمن، فيحتاج إلى شرط القيادة الموحدة الكفوءة الرشيدة الأمينة الشجاعة، النابعة من ضمير الأمة، المنسجمة مع آمالها، المجسدة لرؤيتها، التي لا ينقصها الوفاء والإخلاص، والتقدير الدقيق، وقد تجسد هذا الشرط في مثل قيادة الإمام الخميني "رضوان الله عليه" في ثورته العملاقة أمام طغيان النظام الشاهنشاهي الم libero.

وكل ثورة تحتاج إلى خميني جديد، في عزمه، في رشده، في إسلاميته، في تصميمه، في دقته، في تقواه.

على أن أي تغيير صالح في الأنظمة الفاسدة، تتتوفر عليه الشعوب هو خير، وإن لم يبلغ كل ما تبلغه ثورةً تامةً المقومات، مكتملةً الشروط^(١٣).

عند حكومات وإصرار شعوب

الشعوب صامدة صابرة مصرة على تحقيق مطالبها وخروجها عن الأسر والقهر والذل والهوان، والحكومات في عناد وخيانة وعنجهية واستهتار في إرجاع الحقوق المغتصبة لأربابها، إلا أن الليل قد انجلى بصبح جديد، والقيد قد انكسر بعد أن صدأ الحديد. فالشعوب لا تتراجع، بل الحكومات هي التي تسقط إن لم ترجع عن غيّها وظلمها وجبروتها.

يقول سماحته: " الحكومات لا تريد أن تتنازل عن شيء من استبدادها، وظلمها ونهبها، واستعلائها واستكبارها، أو تعرف بشيء من قيمة الشعوب وحقها في رسم مسار حياتها وتقرير مصيرها، وتمتعها بحريتها وكرامتها، والاعتراض على إرادتها.

وشعبٌ لم يعد يثنى عن استرداد هذا الحق صうوية من الصعوبات، ولا تحدُّ من التحديات، ولا أي آلام تلقاها على الطريق أو سبب منيَّة يعترضها. عود الأمور إلى ما كان ليس في الإمكان، وليس له أي مكان، والتنازل السهل من الحكومات غير واردٍ في الكثير، والواقع المشهود وما يسجله من استماتة الشعوب رغم كل التضحيات، وتصاعد الروح الثورية في إنسان هذا الجيل - يوماً بعد يوم - حتى لا يزيده ارتفاع مستوى التضحيات إلا إصراراً وصموداً، ينفي تماماً إمكان أن يحصل تراجعٌ في حركة المقاومة، لظلم الحكومات واستبدادها وما تصر عليه من استعباد الشعوب.

والظلوم إذا استرد إرادته أقوى من الظالم، والموجع أشد انفاساً للتخلص من

آلامه من مترفٍ يهمه أن يحافظ على ترفة، فالنتيجة للصراع حسب المقدمات الموضوعية هو الإصلاح والتغيير، والتراجع لصالح إرادة المظلومين وحقهم، وهو التراجع الذي يدعو إليه العقل والدين والضمير، وهو التراجع الذي يحفظ إنسانية الطرفين ومصلحتهما^(١٤).

خيارات الأنظمة الظالمة

للأنظمة خيارات لا ثالث لها، الاستجابة لإرادة الشعوب التي رجعت إلى إسلامها وأبْتَأْتَ إِلَّا العبودية لِللهِ الواحد القهار، أو قتل الشعوب واستبدالها بشعوب تقبل الذل والهوان، ولن يجدوا شعباً بعد هبوب رياح التغيير يقبل الذل والهوان، والختار الأول فيه رجاحة عقل، بينما الخيار الثاني فيه سفاهة وبداية للسقوط. يقول سماحته: "مع استمرار هذه الصحوة وتصاعدتها يستحيل على أي نظام من أنظمة الحكم الظالمة أن يكون في منأى عن المواجهة والمطالبة بالإصلاح والتغيير. وفي ظل الواقع الجديد لشعوب الأمة لم يبق أمام الأنظمة الحاكمة المناهضة للإصلاح والتغيير إلا أن تستبدل عن شعوبها أو تستجيب لإرادتها.

يا رجال أنظمة الحكم الظالمة إذا أردتم أن يبقى لكم ظلمكم واستئثاركم بكنوز الأوطان واستعبادكم للناس فاقتلو شعوبكم واستبدلوا عنها شعوباً ميتة ذليلة تقبل الأسر والاستعباد، ولن تجدوا بديلاً في الأرض اليوم من هذا النوع. شعوبكم العربية المسلمة صار يستحيل عليكم بعد صحوتها وعلى من هو أشدّ منكم وأقسى أن يحكمها بالحديد والنار، ويقتل إرادتها ويُخمد في داخلها روح الثورة وطموح الإصلاح والتغيير. سبilkم الوحيد إذا عزّ عليكم الإصلاح والتغيير أن تحصدوا هذه الشعوب حصدًا إلى آخرها إن أمكنكم ذلك -ولن تستطعوا- وإنْ أَيْ شعبٍ من الشعوب التي حرّكها الشعور بضرورة التغيير على ضوء الإسلام لن تراجع ما دام الدم سارياً في عروقها، ولن يطول سكت أي شعبٍ من الشعوب المظلومة التي لم تهُبْ بعد على

الظلم. وكل الاحتياطات الوقائية من التغيير لن تصمد أمام هبة الشعوب وعزماها وجديتها، واستمراركم في الظلم يُفقد شعوبكم الصبر ويستهضِّر إرادتها. على أي حكومة عربية ألا تصدق نفسها بعد اليوم بأنها ستبقى صاحبة الكلمة الوحيدة وسيدة القرار والموقف، تحكم في مصير شعبها كما يحلو لها^(١٥).

الطائفية مخرج الطوارئ عند الحكومات

للسياحة القذرة الرسمية جرائم في حق الأوطان والشعوب، فساسته العروش إذا اكتوت مصالحهم بحرارة هب ثورة الشعوب لتحرير الأوطان، نراهم يفتعلون إشعال حرائق جانبية بعيدة عن قصورهم، لتحميمهم من هب الثورة الذي يقترب من قصورهم وحصونهم، ومن تلك الوسائل التي تحرق اليابس والأخضر، هب الفتنة الطائفية التي هي مخرج الطوارئ للحكومات من هب الثورات.

يقول سماحته: "من له شيءٌ من عقل، شيءٌ من دين، شيءٌ من ضمير، شيءٌ من إنسانية، شيءٌ من غيره، شيءٌ من حياة لا يُحرق وطنه، أهل وطنه، ثروة وطنه، أخوة مواطنيه، دينه، أخلاقه، إنسانيته، أمنه، حاضره، مستقبله. وكل ذلك تحرقه الفتنة الطائفية التي يضيع فيها العقل، ويغيب الدين والضمير، وتعطل الكوابح، وتتفز على الحواجز وتجاوز الحواجز".

فلا ريب أن من يسعى لإشعال الفتنة الطائفية، فإنما يريد إشعال حريق شامل يجد منه مخرجاً للتحكم في الأوضاع، غير مبالٍ في نفوس الناس وما لهم من أرضٍ ومال.

إنها جريمة السياسة القذرة في حق الوطن والمواطنين أن يعمد أحدٌ إلى إحداث فتنة طائفية، إنها عملية استهتار، وسحق إلى الدين والقيم والإنسانية وكل حرمة من الحرمات.

هناك من يريد احتراق الوطن، من يريد لكم يا أبناء الشعب سنة وشيعة أن

تقتتلوا، أن تسفكوا دماءكم، أن تدخلوا في حربٍ مفتوحةٍ لا حدود لها، ولا تستثنى مالاً ولا عرضاً ولا دماً، ولا ترعى حرمةً من الحرمات، ولا تحترم أخوةً ولا تاريخاً ولا ديناً ولا خلقاً.

أمامكم مصر، ليبيا، اليمن، سوريا انتظرواكم حصداً السياسة الدينوية المقاومة لطلاب الشعوب وحركات الإصلاح، وإصرار السلطات على كل مكاسبها الظالمية من أرواح هذه الشعوب.

لم يُحصد الليبيون على يد القذافي السنّي لأنهم شيعة، ولم يُحصد المصريون على يد حسني مبارك السنّي لأنهم شيعة، ولم يُحصد أهل صناعة وعدن على يد صالح السنّي لأنهم شيعة، حُصد كل أولئك وهم سنة من الحكم السنّي بذنبٍ واحدٍ مشترك هو المطالبة بالحقوق والإصلاح والحرية والكرامة، ولم تشفع لهم أخوةٌ دينيةٌ ولا مذهبيةٌ ولا وطنيةٌ يشترك الحاكم معهم فيها. إن السياسة الدينوية لا تعرف وزناً لدين ولا مذهب ولا قيم ولا أعراف، كل القيمة عندها للكرسي والسلطة والدنيا.

ولا تقتصر السياسة الدينوية إلى الحيلة والمكر الذي يوقع أبناء الشعب الواحد في الاقتتال حفاظاً على السلطة بل على كل ما تفتضبه من الشعوب وتصادره من ثروة وحرية وكرامة الأوطان ظلماً، والمداخل لهذا المكر متوفرة دائمًا والفرص ميسورة.

هناك التعدد الديني، التعدد المذهبي، التعدد القومي، التعدد اللوني، التعدد القبلي، التعدد المناطيقي، التعدد الطبقي، التعدد اللغوي، كل هذه التعدادات وكثير منها يتواجد في الوطن الواحد والشعب الواحد، أي شعب يخلو من هذه التعدادات ومن غيرها حتى لا تجد السياسة الظالمية مدخلاً تلجه للفرقة وتقتفي الشعب الذي تحكمه واحتراط أبنائه؟

في مصر استخدمت ورقة التعدد الديني، وفي ليبيا استخدمت ورقة التعدد القبلي والمناطقي وكذلك في اليمن. أما ورقة الاتهام والورقة الرابحة في البحرين هي ورقة الطائفية التي تجيد السلطة لعبة استخدامها.

أما ورقة الاتهام بالتأمر والعملة للأجنبي والخيانة، فهي ورقة مشتركة استخدمها المصري والليبي واليمني، وهي مستعملة في سوريا وفي كل مكان. والسياسة التي لا تقدس إلا الدنيا، لا تستثنى أي أسلوبٍ دنيٍّ إجرامي في سبيل الحفاظ على مصالحها، ومن أبشع هذه الأساليب دناءةً وإجراماً تمزيق الشعب الواحد، وزرع روح الكراهية بين أبنائه، وإثارة الأحقاد والريبة والبغضاء بين صفوفه، والانتهاء به إلى حربٍ داخليةٍ طاحنة لا تلتقت إلى دينٍ ولا قيمٍ ولا مصلحةٍ وطنٍ^(١٦).

باعة الضمير والدين

ويقول سماحته في معرض حديثه عن باعة الضمير والدين في ظروف النزاعات بين الشعوب وحكامها: "هناك محبٌ ظهور، باحثون عن مال، باحثون عن مناصب، أصحابُ أحقاد، أصحابُ عقد، لا يجدون فرصةً أفضلَ من جو التراجع والصراع وتضارب المصالح بين شعبٍ وحكومة، والحكومات تبحث في كل الظروف عن عملاء، عن أحسن، عن أيدي، عن عيون تستعين بهم لتنفيذ خططها وتشتيت وجودها بأي ثمنٍ مستطاع، ولا تجد أفضلَ من باعة الدين والضمير من كل الفئات والشرائح والملل والمذاهب والتخصصات ممن يبحثون عن مشترٍ لهم كما تبحث تلك الحكومات عن من تشتريه لأغراضها السيئة".

وأعظم ما تشتد حاجة الحكومات لهذه السلعة ويكثر طلبها عليها، فيكبر ثمنها في حال أزماتها مع شعوبها وإصرارها على كسر إرادة الشعب وإذلاله وعدم التنازل له في أي من حقوقه الثابتة، وهذه هي الفرصة الذهبية لمن كان يبحث عن الدنيا في أي بُعدٍ من أبعادها وأي مُغْرِي من مغرياتها أو تقاهاتها وكان مستعداً أن لا يُبقي لنفسه ذمةً ولا ديناً ولا إنسانيةً ولا شرفاً في قبال ما يطمح له من مال أو منصب أو تزلف، وفي هذا مصيبةٌ كبرى للدين والشعوب والأمة^(١٧).

الوحدة الإسلامية وقلق الأنظمة

الدعاة إلى الوحدة الإسلامية من أبغض الناس إلى الحكومات، فترأهـم ملـاحـقـونـ مـنـهـاـ بـالـتـشـوـيـهـ وـالـكـذـبـ وـالـافـتـراءـ،ـ وـالـخـاسـرـ الـأـكـبـرـ مـنـ تـحـقـيقـ الـوـحدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ هـيـ الـحـكـومـاتـ،ـ بـقـدـرـ رـبـ الشـعـوبـ مـنـ تـحـقـيقـهـاـ فيـ أـرـضـ الـوـاقـعـ.

يقول سماحته: "الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والوطنية موجعة إلى الحكومات الظالمـةـ وـمـفـشـلـةـ لـأـهـادـافـهـاـ الـخـبـيـثـةـ إـذـاـ دـعـوتـ إـلـىـ الـوـحدـةـ آـذـتـكـ الـحـكـومـةـ الـتـيـ تـرـيدـ تـفـرـيقـ الـشـعـبـ،ـ وـأـلـبـتـ عـلـيـكـ الـأـقـلـامـ وـالـأـلـسـنـ.ـ وـالـدـعـاـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـوـحدـةـ مـنـ أـبـغـضـ مـنـ يـكـونـواـ لـهـذـهـ الـحـكـومـاتـ،ـ وـهـمـ مـلـاحـقـونـ مـنـهـاـ بـالـتـشـوـيـهـ وـالـعـقـوـبـةـ وـقـلـبـ الـعـقـائـقـ وـالـكـذـبـ وـالـزـيفـ وـالـبـهـتانـ.

وعليـناـ أـنـ نـؤـكـدـ دـائـمـاـ عـلـىـ وـحدـتـاـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـوـطـنـيـةـ وـلـيـغـضـبـ ذـلـكـ مـنـ يـغـضـبـ،ـ وـهـذـاـ الـشـعـبـ الـوـاحـدـ حـينـ يـطـالـبـ بـالـدـيمـقـراـطـيـةـ الـتـيـ تـعـطـيـهـ حـقـ الرـأـيـ فـيـ دـسـتـورـهـ وـقـوـانـيـنـهـ وـحـكـومـتـهـ وـتـقـرـيرـ الـمـصـيرـ لـاـ يـطـالـبـ بـدـيمـقـراـطـيـةـ شـيـعـيـةـ أـوـ دـيمـقـراـطـيـةـ سـنـيـةـ،ـ فـالـدـيمـقـراـطـيـةـ لـيـسـ ذـاتـ تـصـنـيـفـ مـذـهـبـيـ وـلـيـسـ صـدـيقـةـ مـذـهـبـ مـعـيـنـ وـعـدـوـةـ مـذـهـبـ آخرـ،ـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ فـيـ مـجـالـهـاـ السـيـاسـيـ لاـ حـدـيـثـ لـهـاـ عـنـ المـذاـهـبـ وـلـاـ مـسـاسـ لـهـاـ بـهـاـ.ـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ لـإـنـصـافـ الـشـعـوبـ وـلـيـسـ لـظـلـمـهـاـ،ـ إـذـاـ كـانـ هـنـاكـ مـتـضـرـرـ مـنـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ فـهـيـ الـحـكـومـاتـ الـفـاسـدـةـ وـالـمـسـتـبـدـةـ وـأـهـلـ الـمـطـامـعـ الـظـالـمـةـ الـذـيـنـ يـشـارـكـونـهاـ الـأـثـرـةـ وـالـفـسـادـ وـالـبـفـيـ فـيـ الـأـرـضـ وـتـهـمـيـشـ الـشـعـوبـ،ـ وـهـؤـلـاءـ لـيـسـوـاـ قـصـرـاـ عـلـىـ مـذـهـبـ مـعـيـنـ أـوـ قـومـيـةـ خـاصـةـ".ـ

وعاظ السلاطين وإنكار الظلم

كـمـاـ أـفـضـلـ الـجـهـادـ كـلـمـةـ حـقـ عـنـ سـلـطـانـ جـائـرـ،ـ فـإـنـ شـرـ الـخـلـقـ مـنـ تـاجـرـ بـالـدـينـ بـسـرـقةـ لـبـاسـهـ خـدـمـةـ لـلـسـلاـطـينـ،ـ بـعـدـ أـنـ أـخـذـ اللـهـ عـلـىـ الـعـلـمـاءـ أـنـ لـاـ يـقـارـئـوـاـ عـلـىـ كـيـنـيـةـ ظـالـمـ وـلـاـ سـعـبـ مـظـلـومـ.

يقول سماحته: "ليس مسلم وعلى أساس الإسلام أن ينكر على الأمة مواجهتها إلى الظلم ومحاولتها ردع الظالم عن ظلمه، وإنما على المسلم من منطلق إسلامه أن لا يقر أحداً على ظلم، ولا يسكت على مظلمة مظلوم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ومنفذًا، فكلما وجد سبيلاً أو منفذًا إلى إنكار المنكر وإيقاف الظلم كان ذلك متعيناً على المسلمين جميعاً.

إن الوقوف مع الظالم ضد المظلوم يفصل العالم الديني -وأي متحدث باسم الإسلام- عن الإسلام نفسه في هذا الموقف الشائن المعادي لدين الله، ورفع شعار الإسلام ممن يقفون هذا الموقف الشيطاني، ممن يقفون موقف المناصرة للظلم؛ من أكبر عمليات التزوير المضرة بصفاء الدين ومكانته في الناس، وعلى الأمة فضح هذه المواقف والتبرير من أصحابها، إنقاذًا للدين من التزوير وسوء السمعة، وللأجيال من الاغترار بالزور، كما حدث كثيراً في التاريخ وابتليت به الأمم، وكم من أمة ضلت أجيال منها بسبب مواقف علماء الدين الموالين للسلطات الظالمة، وإن الذين يناهضون حركات التحرير والتغيير النافع والإصلاح ويعادون المصلحين إنما ينطليقون في هذه المناهضة والعداوة من ارتباط مصالحهم المادية بالوضع الظالم المتخلف والفساد المستشري فيه، وإن تستروا بشعارات مختلفة منها الديني والمذهبي والدفاع عن هذه الفئة أو تلك من قئات المجتمع التي كلها تعاني من آثار الوضع الظالم الذي يضطهد الجميع، ويسلب ويسرق ويستغفف بكرامة الجميع ويستعبد الجميع ويمزق النسيج الاجتماعي الذي يحفظ وحدة كل الفئات"^(١٩).

فتاوي واعاظ السلاطين

ويقول سماحته: "من انتسب إلى دين أو مذهب أساء إليه بإساءاته إلى الناس، وشوّهه بمارسته للظلم أو مساندته له، وإذا جاءت الإساءة أو الظلم أو المساندة له من عالم دين عظمت بذلك الإساءة إلى الدين، أما أن يحدث ذلك من عالم دين



وباسم الدين أو المذهب فهو من أظلم الظلم للدين والمذهب.

وليس هناك ما هو أشد عداوة على دين أو مذهب من عالم يسيء لخلق الله أو يمارس ظلماً في حقهم، أو يعين على الظلم والجور والفساد بما يفهم منه أن هذا بإذنهم ما يلتمس لذلك من مبررات ينسبها للدين والمذهب للذين ينتسب لهم، أو يرى الناس فيه أنه يمثلهما في قوله وسلوكه.

وما أكثر العلماء اليوم من يصدرون فتاوى تحرم المظاهرات والمسيرات والاعتصامات ومختلف أنواع الاحتجاج السلمي ضد السياسات الظالمة، والتي تطالب بالحقوق والإصلاح في صالح الإسلام وال المسلمين.

ولا يخلو بلد من بلاد المسلمين اليوم من علماء تعتمدهم الحكومات الجائرة لمحاربة الشعوب بفتاوي التحرير والتکفير لمن يعلنون الإنكار على السياسات الظالمة ويطالبون جهراً بالإصلاح بطرق الاحتجاج السلمي.

وهذا من أسوء ما يواجه الدين من مسخ وتشويه وزيف، وعمل مسقط لقيمة الدين، ملوث لتراثه، وهو من أحد أدوات الفتك به وأشدتها فاعلية وأثراً قاتلاً له^(٢٠).

مسؤولية الأمة تجاه وعاذه السلاطين

ويقول سماحته: "ينبغي للجماهير في كل مكان أن تعي المنطلقات الحقيقة والدّوافع الخلفية للمناهضين لحركات التغيير والإصلاح وتعزّلهم، وإذا كان البعض يرى في الإصلاح إضراراً بامتيازاته المادية بالوضع الطالم والصيغة السياسية الفاسدة وتقليلياً من فرص تسلقه إلى الواقع المغربي، والمكاسب العرام، التي لا يرى له فرصة ولا طريقة إليها إلا بمساندته للظلم والفساد، واستماتته في التبرير والدفاع عما لا يرضاه الله سبحانه من ظلم العباد، وامتهان كرامة الاستئثار بالثروة المشتركة، فإن الشعب الذي يرى في الإصلاح حياته وكرامته، وفي التخلص عن الإصلاح العبودية

والانتحار، لأشد استماتةً ودفعاً عن حقه في الحياة الكريمة والحرية والعيش في سعة وأمان.

لن يكون المدافعون عن الظلم والفساد -خوفاً على مصالحهم الشخصية وامتيازاتهم الظالمة القائمة على آلام المحرومين- أشدّ حماساً وتضحية من المكتوبين بنار الوضع الظالم والمتطلعين إلى الخروج من العذاب، على الذين يتمنون بقاء الأوضاع السياسية المنحرفة الظالمة في البلاد العربية على ما هي عليه من صورة سيئة مخزية تتنافى مع حقوق الإنسان وكرامته والشأن العزيز للمسلم، حرصاً على ما يستفيدونه من امتيازات محمرة ترتبط بهذه الأوضاع أن يبأسو من ذلك، وليس لهم يوم يأتي نصر الله للمؤمنين إلا أن تقطع قلوبهم حسرات^(٢١).

تساقط العروش والتيجان

حينما ارتفعت صرخات الأحرار وعلت قبضاتهم، انحنت تيجان السلاطين وتساقطت عروشهم، فالصبر ملًّ من الصبر، والظلم حسان جوح بلا عنان، فإذا تكلمت الشعوب الحرة، سكتت الحكومات والأنظمة.

يقول سماحته: "في أقلّ من عام سقطت ثلاثة أنظمة من أعظم الأنظمة العربية، وغادر حاكمُ اليمن موقع السلطة مُكرهاً تحت ضغط الشعب الثائر الذي لن تهدأ ثورته حتى يتمّ له مطلب في الحرية والكرامة، ويختار نظام الحكم الذي يؤمن به من غير هِيمَنةٍ أحدٍ عليه إِلَّا اللَّهُ تبارَكَ وَتَعَالَى".

وسيبقى التحرّك الثوريُّ زاحفاً للأمام وعلى مساحة الأمة كُلّها، وتعالى الصرخات ويستمرُّ الزلزالُ حتى تتحقق أهداف الشعوب في الحرية والكرامة واسترداد الحقوق، ويُستجابُ لإرادة الأمة فيما تختار من حُكم وحاكمين.

لم يبقَ صبرُ للأمة على الذلّ والهوان والإقصاء والتحكم ومصادرة الإرادة الشعبية والفساد السياسي والاقتصادي وألوان الفساد الأخرى؛ نعم هناك صبرٌ جديدٌ

مُضاعفٌ كبيرٌ على البذلِ والأذى في سبيل الله والتضحيات، لا صبرٌ على طاعةِ كطاعةِ العبيد، وفي ذلك ضمانةٌ من ضمانات الاستمرار على طريق الجهادِ من أجل العزة والكرامة.

صار مستحيلًا في وعي الأمة وشعورها وتصميماً أن تكون عودة للأمسِ الظالم،
وصار لا بدّ أن تُنْفَقَ كلّ أبوابِ العودةِ إليه، بل لا بدّ أن يكونَ غدُ الأمةِ أفضلَ دائمًا
من يومها الذي تعيشه والحالُ الذي تكون عليه".^(٢٢)

أبيهـة الـحـكم وغـرـور السـلـطـان

غرور الحكام والسلطين وثقافتهم الفرعونية المتمثلة في دعوى الربوبية العليا عملاً، وأن الشعوب مجرد مربوبين وظيفتهم التسبيح بحمد الحكومات والتقديس لتيجانها والطواف حول عروشها، كل ذلك أدى إلى التعجيز بسقوط الكراسي والعروش، ولكن هل يتعظ فراعنة اليوم بمصير فرعون الأمس؟

يقول سماحته: "ما أكثر ما يغيب الخيار الصحيح عند الإنسان في هذه الحياة في ظل جهالة النفس التي تغمر العقل، وتظلل رؤيته أو تعزبه عن التأثير فيما يتجه إليه خياره، وهذا سار في الكثير من الناس، هذا سار في شأن القوي والضعف، والغنى والفقير، والحاكم والمحكوم، وفي كل الطبقات، والختار الصحيح أن يعترف الإنسان ب العبودية للواحد الأحد وبظل كل حياته ثابتا على طريق هذه العبودية المشرفة.

ومن أشد ما يثقل الإنسان رشه وهذا الخيار الصحيح، أبْهَةُ الحكم وغُرُورُ
السلطان وبنَخْ المُلْك، وضحايا هذا الفرد، بِمَأْهُولٍ ساحةُ الحياة.

كان يسع الذين أطاحت بهم ثورات هذه الأونة أن يعترفوا بعبوديتهم لله سبحانه،
ولا يخسروا شيئاً من اللذة العلال في الحياة وأن يخرجوا منها كراماً أماجداً لا يلعنهم
اللاعنون.

وخيار العدل لو كان، لرفع لهم شأنًا في الدنيا ما يقيت، وجعل الملايين تودعهم

بالدموع، والأجيال تذكّرهم في الخالدين، فلماذا الظلم والبطش والنهاي والتعالي يا ذوي السلطان؟

إن في مقتل القذافي درساً واعظاً يضاف إلى دروس كلها عظة، غنيت بها الساحة العربية في زمن قصير، عظة للطغاة بأن لا تطغوا فلستم آلهة، إنما أنتم عبيد ولكم يوم محثوم، ودرس وعظة للحكومات البديلة بأن كونوا أذكياء فلا تخرجوا من هذه الدنيا ملعونين كما ودعت من قبلكم لعنات الملايين، وعظة لعبدة السلطان بأن هذا هو مصير آلتهم المكذوبة، فلا تأوا إلى ركن ضعيف، وعظة للمستضعفين بأن لا تسوا أن الإله الحق هو الله، وأنه رب غيره، وأنه مهلك الظالمين^(٢٣).

الحكومات بين الوظيفة والواقع

بين ما ت يريد الشعوب من الحكومات وما ت يريد الحكومات من الشعوب تتراجح الحرية والعبودية، فمطلوب الشعوب هو العيش الحر الكريم، وتتأبى الحكومات إلا ب العبوديتها للحكام، هذا هو واقع الحكومات، وهذه هي صحوة الشعب.

يقول ساحاته: "الحكومات تمثل وظيفة من أجل أمن الشعب، ونظم أمره، ولم شمله، وحماية دينه ونفوس أبنائه وبناته، وتطوير اقتصاده وثروة وطنه وتوظيفها لفائدته وصحته وتقديمه العلمي والاجتماعي، وتحسين بيئته، وتوفير الخدمات المدنية التي يحتاجها، وتقدم كل أوضاع حياته.

أما عن واقع حكومات كثيرة فقد صار مطلوبها شعباً بلا أظافر، بلا عقول، بلا إرادة، بلا اعتزاز بذات، بلا رأي، بلا شوق للحرية، بلا إيمان بالكرامة، بلا تطلع لحياة مريحة، بلا أمل، وحتى بلا لسان.

وصار مطلوبها شعوباً مستسلمة مستكينة متنازلة عن حريتها، أو لا تؤمن بهذه الحرية أساساً، وكل إيمانها بالحرية المطلقة للحكومات في أن تفعل فيها ما تشاء

وتختار لها ما شاء، وأن الحكومات مالك مطلق للأرض والشعب وكل الثروة، وأن على الشعوب أن تدح جاهدة لثراء حكوماتها التي إن شاءت أن تصدق عليها بما يقيم أودها لتقوى على خدمتها كان ذلك منها إحساناً، وإن شاءت أن تقبض يدها فهي تمارس حقها الطبيعي ولا مورد لأي اعتراض عليها.

المطلوب لهذه الحكومات شعبٌ يسبّح باسم حاكميه ليلاً ونهاراً، وينسى ذاته وربه ودينه وقيمه وضروراته وحاجات حياته، ويكون بلا أمل ولا أمنية ولا تطلع، وهذا هو الواقع الذي تعاني منه شعوب هذه الأمة، ويشير تحركات أقطارها، ويفجر ثوراتها، ويسقط حكومة تلو حكومة ونظاماً تلو نظام من حكوماتها وأنظمتها.

هذا الواقع المرفوض عقلاً وديناً ووجوداناً، والذي يحرك جميع شعوب الأرض اليوم من أجل الانعتاق واسترداد الحرية والكرامة، هو الذي يؤدي إلى كل التحركات الشعبية، ويدفع بها إلى الأمام، ويعطيها الدوام والاستمرار، ولا يأذن لها بالتوقف، ويجعل الأثمان الغالية في سبيل التخلص منه زهيدة رخيصة^(٢٤).

تبعة الحكومات والقرارات المستوردة

الحكومات بين مدّ التبعية وجزر الاستقلالية، فاستقلالية الحكومات عن التبعية الخارجية ربما يُعجل ويعزّز من مسألة التوافق بينها وبين شعوبها، بينما تبعيتها لجهة خارجية يُعقد العلاقة بين الحكومات وشعوبها، ويشتد التعقيد إذا كانت التبعية لأكثر من جهة خارجية.

يقول ساحته: "هناك حكومات مستقلة تأتي قراراتها من إرادتها بلا أن تكون هذه الإرادة مهيمناً عليها ومملوكة لإرادة حكومة أخرى، هذه الحكومات قد تتوافق في سياساتها مع شعوبها وقد تختلف، لكن حتى على فرض الاختلاف لو اقتنعت أن مصلحتها الدائمة أو المؤقتة في التوافق مع إرادة الشعب والسماع إلى مطالبه فإنها لا يبقى أمامها مانع من إعمال إرادتها في هذا الاتجاه وحل المشكل وإنهاء الأزمة.

وهناك حكومات لا تتمتع بالاستقلال الكافي وتكون إرادتها مقيدة ببارادة مهيمنة لحكومة أخرى، وهذه المهيمنة تلزم -في العادة- العلاقة مع الشعب وتزيد من تعقيد حالات الاختلاف وتخلق مانعاً من الوصول إلى التوافق في موارد التراع، وخاصة عندما يكون استمرار التراع مطلوباً للطرف المهيمن ويرى فيه فرصة للتمكين لهيمنته وترسيخها، والمد في بقائهما وفرض شروط أكبر على الطرف الواقع تحت هيمنتها، ويزيد التعقيد تعقيداً حينما تكون حكومة عبداً مملوكاً لأكثر من جهة خارجية تفرض عليهما هيمنتها، وتعيش هي الحاجة إليها وتعتمد على حمايتها أو عطائهما أو إمدادها، فالعبد المملوك لأكثر من جهة سيادية يكون نهباً في مشاعره ومواقفه لهذه الجهات، ولا يستطيع أن يتخذ قراره بنفسه، فهو إن أرضى جهة بما يريد اتخاذه من قرار ينهي مشكلته، ربما لن ترضى عنه جهة أخرى، وقد تتصادم إرادات مالكيه إلى الحد الذي يحيره ويمزقه ويعنّ عليه اتخاذ قرار واضح وافق مصلحته أو مصلحة الشعب، إلا أن تتفاوت قوة مالكيه فتكسر إرادة الأقوى إرادة الأضعف من أولئك.

ثم إن هذه الحكومة أو تلك قد لا يأتي دور إرادتها إلا في المرتبة الثالثة من إرادات سيادية يكون متوسطها مملوكاً لأعلاها، وهي مملوكة لكل ما فوقها من إرادات، وعندئذ تشتد مصيبة شعب حكومته في هذه المترفة من الضعف والذلة، في حين أنها تعد نفسها سيداً للشعب، وما أكثر الحكومات الإسلامية والعربية التي تعيش حالة تبعية واضحة في إرادتها وسياساتها وعلاقاتها وتعاملها مع شعوبها لإرادة حكومة أخرى أو أكثر^(٢٥).

ولاء الأوطان لا ولاء الأنظمة

الوطنية والولاء للوطن ليس مجرد كلمات ولقلقة لسان يلوّكها أزلام الأنظمة المستبدة كدروس تلقينية إلى الشعوب، بل الوطنية -كل الوطنية- تمثل في حب الخير إلى الوطن والمواطنين من خلال رفض ظلم الظالمين حفاظاً على الوطن

من جورهم وبطشهم، ففرق بين الولاء للوطن والولاء لأنظمة و الحكوم المستبديةن.

يقول سماحته: "المقياس الذي تعمل به الحكومات العربية غالباً هو مقياس الولاء للنظام لا الكفاءة، وينبغي أن نلتفت جيداً إلى أن ولاء النظام يختلف عن ولاء الوطن، لأن ولاء الوطن قاضٍ برعاية مصلحته، وأخطاء الأنظمة وظلمها وتجاوزاتها لا تلتقي مع مصلحة وطن، فهنا يأتي كثيراً أن ولاء النظام يعني الكفر والمواجهة لمصلحة الوطن.

ولاء النظام يتطلب منك أن تقف مع كل تجاوز، ومع كل خطأ، ومع كل جرم في حق الناس، ولاء النظام يقتضي منك أن تقف مع أخطاء سياسته وظلمها واستخفاها بمصلحة الوطن، وأن تقف مع مخالفتها لدين الله وإرادته، ويطلب منك أن تقف بحزم في وجه أي دعوة إصلاحية لا يعطي النظام بها إشارة ضوئية خضراء لحاجة في نفس يعقوب أو ضرورة قاهرة، وأن تعين على كل ظلم ترتكبه السياسة وتسرف فيه".^(٢٦)

بيع الأوطان

ويقول سماحته: "ينطلق المسلم المؤمن بدينه حق الإيمان في حب وطنه وكل ما يقع عليه حبه من رؤية وشعور ديني لا يعدل به عن حب الخير وبغض الشر من خلق الله من نفس، ولا يبغض المؤمن في أحد إلا شراً، ولا ينكر منه إلا إضراراً، ولا يخرجه من حبه إلا سوءه وبمقدار سوءه.

وحب المؤمن لوطنه يدفع به إلى الأخذ به دائماً في اتجاه خيره ورقمه وصلاحه، والعمل على رفاهه وسلامة أوضاعه، وذلك لا يتم إلا بالأخذ بإرادة الله سبحانه في إقامة القسط، والرضا بالعدل، والتمسك بالحق، وخضوع كل طاعة لطاعتة، وكل رضاً لرضاه، وكل تشريع لتشريعيه، فلا بد من الدعوة لكل ذلك باليتي هي أحسن، وهذا

دأب المؤمنين.

والمؤمن لا يبيع وطنه على المخلوقين، كما لا يبيع نفسه إلا لله، ولا يجد ثمناً أبداً عند أحد لبيع الأوطان، وأي ثمن ذاك الذي يبيع به المؤمن نفسه وولده وأهله وإخوانه ومواطنيه في ظل شعوره الديني النافذ الذي يحترم الإنسان ويحاف الله؟! فإذا كان خارج وطنه نماذج إنسانية طيبة، ففي وطنه نماذج طيبة كذلك، وإذا كان من أبناء أمه الواسعة مؤمنون أتقياء، ففي وطنه منهم الكثير، وإذا كان لأمه كلها عليه حق، فإن حق أبناء أمه وآخوته في الإسلام والإيمان من أهل وطنه أكبر. وراحة الأوطان وسعادتها في إصلاحها وسلامة أوضاعها، وليس في وضعها في مزاد علىي أو سري لبيعها على أي كان.

المؤمن لا يمكن أن يبيع وطنه، أتدرون من يبيع الأوطان؟ إنما يبيع الأوطان والمقدسات أهل الدنيا، ومن لا يرون أن لهم وزناً إلا في المال والجاه، ولا يشبع أحدهم أن تكون له الدنيا خالصة بلا مزاحم، لا يبيع الأوطان إلا من لا دين له ولا شرف ولا احترام عنده للإنسان.

وكثيراً ما يسوق الإعلام العربي الرسمياليوم في حق العركات التصحيحية والمطلبية والتغييرية وصمة التامر وبيع الوطن للخارج، هرباً من الاستجابة لضرورة الإصلاح والتغيير، وللتشويش على سمعة وصدق المعارضة، واستغفال من يمكن استغفاله، واصطياد من يمكن اصطياده، وهذا مضحك.

فماذا أبقيت الأنظمة العربية من مادة أو معنى مما تفني به الأوطان لم تساوم عليه الأجنبي -القريب والبعيد- من أجل الإبقاء على تسلطها الظالم، واستترافها لما يبقى من ثروات الأوطان بعد أن تعطي منه ما تعطي للأجنبي، ومن أجل استعباد إنسانها؟^(٢٧).

جامعة الدول العربية .. عين ترى وعين لا ترى

أجمعـت جامـعـة حـكـام الدـول الـعـربـية -بـقـرـار أـمـريـكي وـتأـيـيد أـورـوـبي- علىـ وـأدـ حـرـكةـ الشـعـوبـ الـعـربـيةـ، وـمـنـ مـنـطـلـقـ الـكـرـمـ الـعـربـيـ وـحـسـنـ الضـيـافـةـ الـعـربـيةـ،ـ نـرـىـ جـامـعـةـ حـكـامـ الدـولـ الـعـربـيةـ يـتـاجـرـونـ بـدـمـاءـ الشـعـوبـ مـنـ أـجـلـ إـيـادـ شـبـحـ الـأـنـظـمـةـ الـمـانـعـةـ لـلـكـيـانـ الـغـاصـبـ الـإـسـرـائـيلـيـ،ـ فـلـذـاـ نـرـاـهـاـ تـفـتـحـ عـيـنـاـ لـظـلـمـ نـظـامـ لـشـبـعـ -ـ وـتـرـىـ الإـبـرـةـ فيـ قـعـرـ الـبـحـارـ وـالـحـيـطـاتـ فيـ الـلـيـلـ الـمـلـمـ،ـ بـيـنـماـ تـغـضـ الـطـرـفـ بـعـيـنـهاـ الـأـخـرـىـ عـنـ ظـلـمـ نـظـامـ لـشـبـعـ فيـ وـضـحـ الـنـهـارـ.

يـقـولـ سـماـحـتـهـ:ـ "ـوـضـعـ الـجـامـعـةـ الـعـربـيةـ بـالـنـسـبـةـ لـظـلـمـ الـأـنـظـمـةـ الـعـربـيةـ وـمـأـسـةـ شـعـوبـهاـ وـضـعـ مـنـ لـهـ عـيـنـ تـرـىـ وـعـيـنـ لـاـ تـرـىـ،ـ أـذـنـ تـسـمـعـ وـأـذـنـ لـاـ تـسـمـعـ.

الـعـيـنـ الـتـيـ تـرـىـ وـالـأـذـنـ الـتـيـ تـسـمـعـ مـتـوجـهـةـ لـأـنـظـمـةـ وـشـعـوبـ بـعـيـنـهاـ.ـ وـالـعـيـنـ الـتـيـ لـاـ تـرـىـ وـالـأـذـنـ الـتـيـ لـاـ تـسـمـعـ مـتـوجـهـةـ لـأـنـظـمـةـ وـشـعـوبـ أـخـرـىـ.

بـلـ الـأـمـرـ أـكـبـرـ،ـ فـإـنـ عـيـنـ الـجـامـعـةـ الـعـربـيةـ تـرـىـ ظـلـمـ بـعـضـ أـنـظـمـتهاـ عـدـلاـ،ـ وـخـطـأـهاـ صـوـابـاـ،ـ وـتـكـيـلـهاـ بـشـعـوبـهاـ حـقاـ،ـ وـمـعـارـضـةـ حـكـمـهاـ جـورـاـ،ـ وـمـطـالـبـةـ شـعـوبـهاـ بـحـقـوقـهاـ ذـنـبـاـ،ـ وـحـرـصـهاـ عـلـىـ حـرـيـتـهاـ وـكـرـامـتـهاـ إـثـمـاـ،ـ وـالـمـقـابـلـةـ لـصـوتـ شـعـبـيـ يـطـالـبـ بـالـحـقـوقـ وـالـحـرـيـةـ وـالـكـرـامـةـ بـكـلـ أـنـوـاعـ الـقـمـعـ وـالـتـكـيـلـ وـالـسـحـقـ حـقـ طـبـيـعـيـ لـهـذـهـ الـأـنـظـمـةـ،ـ تـبـارـكـهـ الـجـامـعـةـ الـعـربـيةـ وـتـقـفـ مـعـهـ وـتـسانـدـهـ بـكـلـ قـوـةـ.

وـتـرـىـ الـجـامـعـةـ الـعـربـيةـ أـنـ تـرـفـعـ عـنـ مـقـابـلـةـ مـنـ يـمـثـلـ الـمـعـارـضـةـ لـظـلـمـ هـذـهـ الـأـنـظـمـةـ الـمـخـتـارـةـ،ـ أـوـ تـسـمـعـ لـهـ وـجـهـ نـظـرـ يـنـقـلـ فـيـهـ مـعـانـيـ شـعـبـهـ وـمـاـ تـصـبـ عـلـيـهـ حـكـومـتـهـ مـنـ أـلـوانـ الـعـذـابـ وـالـمـهـانـةـ صـباـ^(٢٨).

أـبـواـ أـنـ يـقـابـلـواـ وـفـدـ الـمـعـارـضـةـ،ـ وـأـنـ يـسـمـعـواـ مـنـهـ كـلـمـةـ،ـ مـاـ لـشـبـ الـبـحـرـيـنـ وـمـطـالـبـهـ الـمـشـروـعـةـ مـنـ الـجـامـعـةـ الـعـربـيةـ هـيـ هـذـهـ الـعـيـنـ الـتـيـ تـرـىـ حـقـ هـذـاـ الـشـعـبـ بـاـطـلـاـ،ـ وـمـطـالـبـتـهـ بـحـرـيـتـهـ وـكـرـامـتـهـ تـعـدـيـاـ،ـ وـتـطـلـعـهـ لـتـقـرـيرـ مـصـيـرـهـ غـرـورـاـ،ـ وـتـرـىـ فـيـ سـلـمـيـتـهـ

حربا.

وليس لها عين ترى من ظلم الحكومة لهذا الشعب شيئاً، لا من ظلم قتل الأبرياء تحت التعذيب، ولا الاغتيالات للأمنيين العاديين، ولا انتهاك حرمة النساء والمساجد والقرآن الكريم، ولا سجن المئات بسبب التفوه بكلمة ناقدة أو مشاركة في مسيرة سلمية، ولا حرمان الآلاف من أبناء هذا الشعب القليل العدد ومن يعيلونه من سبب الرزق الشريف، ولا سلب طعم الأمن ليلاً ونهاراً للكبار والصغار من أبناء هذا الوطن، وتحويل مناطق كثيرة من مناطقه إلى ساحة حربٍ من طرف واحد.

هذا إلى جانب التمييز والتهميش والاضطهاد الديني والثقافي وإنسانية الإنسان الذي تمارسه هذه الحكومة، كل ذلك والجامعة العربية لا ترى.

كل ذلك لا تراه عين الجامعة العربية، وأذنها صماء عن كل صرخ وتوجه وأنين طفل أو ثكلى أو معذب من أبناء هذا الشعب^(٢٩).

جامعة الدول العربية بين سوريا والبحرين

ويقول سماحته: "جميل أن تذهب الجامعة العربية إلى مطالبة سوريا بإنهاء العنف وسحب القوات من الشوارع، وبالتجددية السياسية والإصلاح الجذري، لكن لماذا هذا في سوريا دون البحرين مثلاً؟

أهذه حقوق إنسانية أو جغرافية؟ لماذا يُشدد على هذه الحقوق في قطر أو أكثر من قطر، وتُحرم الحقوق نفسها على يد المتشدد من أجلها هناك؟ لماذا هناك مطالبة وهنا عقاب؟

دول الخليج دورها في القرار المتعلق بالوضع السوري بارزٌ وريادي، وعدد منها له تواجد العسكري في البحرين لتأييد المطالبة بهذه الحقوق، ولتفريح جيش البحرين بمواجهتها على الأقل حسب الإعلان الصريح. كيف ينسجم هذا كله بعضه مع بعض؟

كيف يجوز هذا مجتمعاً يا وزراء يا محترمون يا مسلمون يا عقلاً يا عرب؟

افرضونا غير عرب، افرضونا غير مسلمين، لكن هل لا إنسانية لنا على الإطلاق؟ ألسنتم تتحدثون عن هذه الحقوق بما هي حقوق إنسانية؟ وإذا كانت هذه حقوقاً فيما ترون - وهي حقوق فعلاً - فلماذا لا يأخذها المطالب بها الغير حقوقاً على نفسه قبل غيره؟! ^(٣٠).

النصر من عند الله عز وجل

حينما يتم الحديث عن الجامعة العربية أو غيرها من المؤسسات العربية والإقليمية والدولية، ليس ذلك من باب الاستجاء إلى النصرة أو من منطلق وهن وضعف، بل الناصر الأوحد هو الله عز وجل، ولا يستجدى النصر من المخلوقين بل هو من الخالق وحده لا شريك له، وإنما الحديث معهم من باب إزامهم بما التزموا به نظرياً وخالفوه عملياً.

يقول سماحته: "نحن نعرف أن النصر إنما هو من عند الله، وأنه لا يستجدى إلا منه، ولا يملكه غيره، وليس بيده غيره، ولا يجد من سواه سبيلاً إلى منعه وتأجيله، فتحن لا تستجدى النصر من المخلوقين وإنما نسأله ونستجديه من الخالق، وعلينا أن لا نتوكل إلا عليه، مع الأخذ بما أمر به من بذل المظلوم لما يجد من جهد في سبيل النصر والخلاص من الظلم، ولكن هذا لا يتنافى مع إنكار ما عليه موقف الجامعة العربية من هذا الشعب المظلوم، وتذكيرها بأنها تحمل مسؤولية ثقيلة بين يدي الله عز وجل لهذا الموقف غير العادل وغير الأخلاقي والبعيد كل البعد عن الحق والدين، وما النصر إلا من عند الله، والله خير الناصريين". ^(٣١).

الموقف الأميركي في التعاطي مع الحكومات والشعوب

يعتمد الشيطان الأكبر -أمريكا- في تعاطيه مع الآخر -حكومات أو شعوب- بمحورية مصالحه ومصالح صناع سياسته، فلا صديق دائم ولا عدو دائم،

ففي سياسة صُنَاع السياسة الأمريكية التي ترتكز على التغيرات، لا ثابت لها إلا ثابت المصالح.

يقول ساحته: " رائع جداً ومفرح جداً أن تتجه الإرادة في النظام العربي الحاكم إلى إنكار الظلم من أي دولة من دوله للشعب الذي تحملت أمانة حكمه بصورة وأخرى، وأن تردها عن ظلمه وتقرض عليها الاحترام لإرادة الشعب الذي همشت إرادته وإرجاع حقوقه المسلوبة منه وحرفيته المصادرة عليه وثروته المتلاعنة بها، هذا رائع ومحل ثمين كبير إذا كان من العودة إلى الحق والأخذ بالصحيح واحترام الشعوب والنظر إلى الإسلام وأحكامه وقيمه، فهل هذا هو المنطلق لإدانة هنا ولخطوه هناك يمارسها النظام العربي في مساحة منه ضد إحدى دوله؟ ظاهرها أنها من أجل تصحيح وضع تلك الدولة أو تغييره انتصاراً للشعب هناك.

إذا كان هذا هو المنطلق فالشعوب العربية كلها مضطهدة ومهمشة ومنهوبة ومسروقة ومستخف بها، وحرفيتها مصادرة وكلمتها مقهورة وحقوقها مضيعة ودينها مغيب وإرادتها مسحوقة، وكل الحكومات العربية تمارس هذا بدرجة عالية وبصورة فاضحة في حق شعوبها، وبذلك يتساوى الجميع، وإذا كان كذلك فعلى كل هذه الحكومات أن تتყض ضد نفسها وتدين ظلمها ضد شعوبها، وتتخذ قراراً جماعياً شجاعاً ينهي تسلطها على هذه الشعوب ومن أجل إنهاء مأساتها وأن ترجع إلى إرادة الأمة في حكم نفسها.

كيف يصبح النظام الرسمي العربي أن يكون منه مطالب بالإصلاح والتغيير ومطالب، بينما كله يعيش الحاجة إلى الإصلاح والتغيير، وكله غارق في الظلم والخطأ والتخلف والاستبداد واضطهاد الشعوب؟!

ما تفسير أن الصوت المطالب من داخل النظام الرسمي العربي بالإصلاح والتغيير والمحشّد لهما والمستنصر بالغرب أحياناً لتنفيذهما، هو نفسه المدافع عن ظلم حكومات من داخل هذا النظام، ويثبت أركانها ويدين ويخون أي تحرك داخلي ضد



تلك الحكومات وأي حركة إصلاحية تريد أن تغير من الواقع المأساوي؟

ولا يكفيه إلا أن يحشد الجيوش لإجهاض أي لون من الحراك يقاوم تلك الأوضاع. من جهة هناك دفاع عن شعوب، ومن جهة أخرى هناك دفاع عن حكومات وحماية حكومات بينما الحكومات على حد واحد والشعوب على حد واحد.

وما تفسير هذا التوافق بين كلمة هذا الصوت و موقفه مع الكلمة الأمريكية والموقف الأمريكي في إدانة من تدين أمريكا، و الحرب من تحارب ومقاطعة من تقاطع والسكوت عن من تسبت، وتأييد من تؤيد ومناصرة من تناصر؟

وما تفسير الموقف الأمريكي المتباين من حكومات تتساوى ظلماً وتسلطاً ودكتاتوريةً واستبداداً ونهباً وسرقةً وعبثاً بمصير الشعوب؟ ومن شعوب تشتراك في المعاناة والأسرة من هذه الحكومات، وتصادر حريتها وتؤاد إرادتها وتحارب وتتجاهل وتُمزّق بثرواتها على يد الساسة المسلمين عليها؟

حكومة من هذه الحكومات تُدان علنًا وتُناصر خفاء حتى يتم اليأس منها، ويُعثر على بديل مناسب لها. وحكومة أخرى يتدخل ضدها بالسلاح، وبالصورة المكشوفة. وثالثة تُغازل وتُدَلِّل وتُكرِّم لقمع شعبها.

وشعب تُوجّح مشاعره ويلهب حماسه ضد حكومته، وربما مُدّ بمال وسلاح. وآخر يُفرّر بكلمة، ويلام بكلمة، وثالث يُفرّى بالوعود الزائفة، ورابع يُيأس من أجل أن يركع.

السِّرُّ تعرفه كل الشعوب، وكل الدنيا، وكل الحكومات. السِّرُّ أن أمريكا لها ميزان واحد، ومقدس واحد ليس هو إلا مصلحتها المادية، وقبل ذلك المصلحة المادية لكيان ساستها، والطامعين في رئاستها، والمراكز السياسية العليا فيها".^(٣٢)

حركات الإصلاح والتغيير بين الأخطار والهوا جس

إن بقاء الأنظمة المستبدة مرهون بإرادة الأجنبي، والأجنبي لا ثواب له في

صدقاته أو عداوته، حيث إن ثابته الوحيد المصلحة الذاتية، لذا نراه يوجد البديل وإن كان إسلامياً من حيث إطاره وعنوانه لا محتواه ومضمونه، خدمة لنفوذه وتحقيقاً لمصالحه. أو يغازل من هو قوي في الميدان من أجل تحديد مبادئه أو مساومته عليها أو تغييرها.

يقول سماحته: "امتحن الوطن العربي خاصة والوطن الإسلامي عامه منذ زمن طويل بأنظمة حكم تسلطية، فرضت نفسها على خلاف إرادة الأمة ودينها، ولا يمكن لها في ظل وعي الأمة وصحتها وإدراكتها لمقتضيات هويتها ومصلحتها واعتزازها بذاتها وحضارتها، أن تثال ولاءها وثقتها ومناصرتها، فصارت تعمل دائماً على تجهيلها واستغفالها وقتل إرادتها، ومنع أسباب القوة والنهوض عنها، درءاً لما تراه خطراً عليها في صحتها ووعيها وقوتها، وإدراك مأساتها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، لقد مكنت هذه الأنظمة الأجنبية من رقبتها، وأباحت له الأرض العربية والإسلامية وخیراتها، وأعانته على غزو ثقافتها وأخلاقيتها وقيمها، وإفساد دينها وتربيتها، شعوراً منها أمامه بالضعف، وحاجتها إلى دعمه وتأييده في قبال حركة الشعوب المتوقعة، وهذا ما جعل بقاء هذه الأنظمة مرهوناً بإرادة الأجنبية، وأتاح له أن يبيتزا بأي درجةٍ من الدرجات متى شاء وكيف شاء، وجعل له تقليلاً واضحاً في كل مفاسيل هذه الدول الذليلة المستسلمة، وملكه علاقاتٍ مهيمنةٍ على مستوى التفكير والشعور والإرادة ونوع الطموح على كثيرٍ من أبنائها خارج جسم الحكومات، لتكون البديل المناسب لخدمة نفوذه ومصالحه عند الضرورة.

وقد جعل هذا الواقع المعقد حركات الإصلاح والتغيير الصالحة في الأرض العربية والإسلامية، تواجه خطر القمع الداخلي العنيف على يد الأنظمة الحاكمة والدعم الأجنبي لها، والذي كان قائماً في المثال الليبي إلى وقتٍ كان القذافي يقمع فيه الشعب ويترن حم سخطه عليه.

كما تواجه خطر البديل المتعاون مع الاستعمار الأجنبي من أبناء شعوبها، ممن

صُنعوا على عين المستعمر نفسه لمدة طويلة على أيدي الحكومات الظالمة، وأُعدوا بصورة جاهزة لخدمته وتمثيل سياسته وأهدافه.

وخطر آخر على حركات الإصلاح والتغيير في البلاد العربية والإسلامية، قد أوقعها فيه ذلك الواقع المريض الذي صنعته الأنظمة الفاسدة والحكومات الجائرة، وهو شعور الكثير من هذه الحركات إلى مغازلة الأجنبي واسترضائه، والدخول في مساومة معه، لا إيماناً بقيمه ولكن إذاعنا لهيمنته، وقبل أن تتحرر حركة تغيير أو إصلاح من هذا الهاجس، وتتمتع بروح الاستقلال الحقيقي، وتعتمد على قوتها الداخلية ورصيدها الوطني، وجهادها وتجهادها وتضحياتها وإن طال الطريق، وذلك وإن قل إلا أنه قد تحقق على الأرض وهو قائمٌ موجودٌ فعلاً. وإذا وجد كان معادٍ من جميع قوى الظلم والانحراف والزيف والظلال، وكان عليه أن يواصل جهوده المضنية، ويصبر على مر الأعداء الكثرين وحربهم وأذاهم، وأن يملك دائماً انتباهه ويقظته لما يدور حوله وما يحاك له من مؤامرات، وأن يبني قوة متينةً متاميةً تحميه.

ولا أمل في تحرر الأمة وانتهاها من ذل العبودية لقوى الطاغوتية في الداخل والخارج، إلا في حركة إصلاح أو تغيير مستقلة عن هيمنة القوى المعادية للأمة، تولد من رحم أمتها المجيدة، ووعيها الإسلامي، وخطها الحضاري، وإرادتها الحرة التي لا تخضع إلا للله، ولا تستكين إلا أمام إرادته، ولا تتطلع إلا إليه، ثم لا تعتمد مع بذل كل الجهد إلا على ربها، وتحمل المعاناة الصعبة والتضحيات الجسيمة في سبيله، وتكون على نباهةٍ ووعيٍ بالغين لا يسمحان بأن تسرق صنائع الأجنبي وخلایاه المعدة عطاء التضحيات الباهضة لجماهير الأمة ومكاسبها^(٣٣).

الإسلاميون والامتحان الصعب

ويقول سماحته: "هناك أكثر من ثورة عربية أسقطت نظاماً حاكماً مغضوباً عليه من شعبه، وهي في طريقها لإقامة حكومة أخرى ونظام حكم آخر مكانه وعلى

أنتاضه، والغالبية في الشعوب العربية - عاطفة أو رأي وعاطفة- لا تقدم نظاماً وحكماً على الإسلام ولا تسجم معه، وفي حال أن تجري انتخابات حرة بالمعنى الحقيقي، بعيدة عن كل ألوان المغالطة والغش والخداع والمراوغة والاحتياج والتلاعب وشراء الذمم، فسنجد أن خيار الغالبية من الشعوب الإسلامية هو الإسلام.

وهنا يكون الإسلام والإسلاميون أمام تجربة جديدة صعبة، وامتحان عسيرٍ مكتشوّفٍ مؤثِّرٍ بدرجة عالية على مصيرهما، ولو أخفقت هذه التجربة المتعلق إليها من قبل جماهير مسلمة عريضة، والتي ستكون مراقبة بالمجهر الدقيق من قبل مختلف الملايين، ومقاومةً من قبل كثرين، فإنها ستكون أشد خطراً وأبلغ في تأثيرها السلبي على الإسلام من حالة إقصائه عن السياسة وعداوتها السافرة له.

والإسلام قد خاض تجربة الحكم قديماً وحديثاً، ولم تتحقق أي أطروحة أخرى ما حققه من نجاح حينما خاض هذه التجربة برؤيته وعقيدته الدينية والسياسية الصادقة وشرعيته وقيمه وأخلاقيته الحقيقية.

وكذلك، قد خاض الإسلام تجربة الحكم مظلوماً على يد التزوير والأطماء الرخيصة ممن لا يؤمن به حق الإيمان، وإنما اتخذه مطيةً لأطماءه وهو عاذِّ للدنيا -ولأكثر من مرة في القديم وال الحديث- فسجل ذلك تشويهاً للإسلام، وتحرifaً لأحكامه وقيمته، وإسقاطاً لوزنه، وانقلاباً في الرأي العام في أوساط المسلمين عليه، وبحثاً عن بديلٍ سيءٍ له.

واحتاج في تصحيح رأي الناس في إسلامهم بعد ذلك إلى جهود مضنية، وتوعية صبورَة، وثورات قاسية، ودماء غزيرة.

ويبقى امتحان المسلمين في التجربة الجديدة، لو تأتى للأمة أن تعطيهم خيارها، وتضع يدها في يدهم، وتحملهم أمانة الحكم وهي أمانة ثقيلة لا يتحملها إلا أمناء كبار، وقادة أوفياء، وعقول راجحة، وهم عاليه، ونفوس متحركة من شهوتها، متأتية على الأهداف الرخيصة، وذمم ظاهرة، وأيدٍ نظيفة، وفهم إسلامي ناضج،

وقلوب لا تغفل عن ذكر الله ولا يصرفها عنه لهو ولا تجارة.

موقع الحكم يتطلب كل هذا، فهل يكون الإسلاميون في هذه التجربة الجديدة بوزن هذه الأمانة الكبرى بمقدار لا يسيء إلى الإسلام، ولا يظلمه ظلماً أشد من ظلم أعدائه؟ هل يقربون في فهمهم من فهمه، وفي طهر نقوسهم ونياتهم من طهره، وفي حكمتهم من حكمته، وفي إنسانيتهم من إنسانيته، وفي عقلانيتهم من عقليته؟ وهل يأخذون في سيرة حكمهم نزاهة تزيفهم من نزاهته، ودرجة عدل تعشقهم بها الملائين من عدله المطلق الشامل الذي تفرد به؟

إن كان لهم ذلك، سعدت بهم الأمة وسعدوا بها، وحمتهم بقلوبها وأيديها، وكانت قلعتهم الحصينة، وسياجهم المتن، ودعامة وجودهم الثابتة بعد دعم الله وحمايته، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتمقّع إيمانهم به، وتصلب وثبت اختيارهم الإسلام ولن يستبدلوا عنه أو يتخلوا عن نصرته.

أما لو أساوا فهم الإسلام، ولو صبغوه بالعصبية العمياء، لو فصلوه عن بعده الإنساني، لو أوغلا السيف في رقب العباد، لو ظلموا وهم يعلّمون انتماءهم للإسلام ويتحدون باسمه، لو كان أول تنافسهم على الواقع والثروة، لو اشتعلوا بالفنائهم عن هموم الناس ومشاكلهم، لو توجهوا لبناء الأمجاد الدينية الشخصية والفتوية ضاربين بمصالح الأمة عرض العائط، فإنهم سيسقطون من نظر الأمة، وسيسقطون الإسلام من ناحية عملية إلى حدٍ كبير، ويجنون عليه أكبر جنائية، وفي الجنائية على الإسلام أعظم جنائية على الأمة المظلومة والإنسانية المعذبة، وحرمان لأهل الأرض من منقذ لا منقذ لهم سواه إلى مدى قد يطول، وإن كان لا بد أن ينقذ الإسلام العالم من مأساته التي أغرقها فيها البعد عن الله سبحانه على يد الكافرين والظالمين.

ويُسقط الإسلاميون الذين يصلون إلى الحكم باسم الإسلام، ويُترّلوا به ضربة قوية أن يساوموا أعداءه عليه، ويحرفوه مجاملة لهم وكسباً لودهم، ليجدوا فيهم سندًا أو يأمنوا منهم شرًّاً وتأمراً.

نجاح الإسلاميين في حكم الأمة أو شعب من شعوبها أن يكونوا رساليين مبدئيين بمقدار رسالية الإسلام ومبدئيته، واقعيين عند حدود واقعيته، جديين بمستوى جديته، منفتحين بسعة افتتاحه، نزيهين كتراهته، عادلين في الناس لا يعدلون عن عدله، بعيدين عن كل عصبية أرضية تكرر نقاطه وصفاءه، بهذا يقوون وتقوا بهم الأمة ويجدون منها محضراً دافئاً، وحصناً حصيناً، وعيناً ساهرة، ويداً ضاربة، وإمداداً غير منقطع، وبهذا يحترمهم العدو وبهابتهم، ويقطنون لأوطانهم الإستقلال ولأمتهم العزة والهيبة والكرامة.

يخطئ الإسلاميون لو طلبوا البقاء في الحكم عن طريق الإكراه والتحايل على الأمة وترهيبها، إنهم يستطيعون أن يضمنوا البقاء في الحكم والعودة إليه عبر صناديق الاقتراع في كل مرة تعطى الأمة فيها فرصة الانتخاب، لو رأى الناس منهم صدق الإسلام وعدله ورحمته وأخلاقيته، واهتمامه بتقدم المجتمع في كل مسارات حركته الصالحة وأبعاد وجوده الكريمة، ولو رأوا منهم التقاني في خدمة الشعب والإخلاص له، والأمانة الصادقة على ما تحت أيديهم من خيراته وثرواته، والاحترام لإرادته وكرامته على خلاف ما رأوا ويررون في غيرهم من الطفافة والمستكبرين وأهل المصالح الدنيوية الضيقة.

وبعد أن تجدد وجود الأمة فكراً ورؤياً وإرادةً وطموماً وعزماً وشعوراً بالعزّة والكرامة ووعياً وخبرة، لن يسع الأنظمة المُنتَهِيَّةُ عن الثورات العربية أن تتعامل مع شعوبها تَعَامِلَ الأنظمة البائدة وأن تعود بها إلى ما كانت عليه من حالة الإقصاء والتهميش والاستغلال والاستراف والذليلة والتبعية المهينة.

ومن جهة أخرى لا بد أن ترك الأنظمة الطاغوتية التي أسقطتها إرادة الشعوب بصمات سيئة ومتاعب جمة وأثاراً مُعرِّفة وأزمات متراكمة من مخلفاتها، يحتاج للتخلص منها مع الجد والإخلاص إلى جهود مضاعفة ووعي كبير وعمل حثيث وزمن مُمتد^(٣٤).

مستقبل الصحوة ورياح التغيير

إن مستقبل صحوة الشعوب مرتبط ب مدى رجوعها إلى إسلامها ونصرتها لربها وبارئها وحالفها ورازقها، ومن ينصر الله عز وجله، فالنصر حليفه لا محالة.

يقول سماحته: "كل الأنظمة الجائرة عليها أن تعدل، كل الحكومات المفسدة عليها أن تُصلح، وإنما مكان لها في المستقبل، هذا هو منطق الواقع الجديد لإنسان الأمة وشعوب الأمة وكل شعوب العالم، وهذه هي الحتمية المترتبة على الصحوة والثورة العارمة في وعي الأمة وإرادتها والتولدة من وحي الحياة الجديدة في إيمانها بربها وإسلامها".^(٣٥)

الهوامش:

- (١) خطبة الجمعة (٤٨٢) لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم عليه السلام - ٢١ محرم ١٤٣٣ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١١ م - جامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.
- (٢) خطبة الجمعة (٤٧٧) ذو الحجة ١٤٣٢ هـ - ١١ نوفمبر ٢٠١١ م.
- (٣) خطبة الجمعة (٤٨٢) ٢١ محرم ١٤٣٣ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١١ م.
- (٤) خطبة الجمعة (٤٨٤) ٥ صفر ١٤٣٣ هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠١١ م.
- (٥) خطبة الجمعة (٤٨٥) ١٢ صفر ١٤٣٣ هـ - ٦ يناير ٢٠١٢ م.
- (٦) خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ - ١١ فبراير ٢٠١١ م.
- (٧) خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ - ١١ فبراير ٢٠١١ م.
- (٨) خطبة الجمعة (٤٦٩) ١٧ شوال ١٤٣٢ هـ - ١٦ سبتمبر ٢٠١١ م.
- (٩) خطبة الجمعة (٤٧٣) ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ١٤ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (١٠) المصدر السابق.
- (١١) المصدر السابق.
- (١٢) خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ - ١١ فبراير ٢٠١١ م.
- (١٣) المصدر السابق.

- (١٤) خطبة الجمعة (٤٦٨) ١٠ شوال ١٤٣٢ هـ - ٩ سبتمبر ٢٠١١ م.
- (١٥) خطبة الجمعة (٤٨٤) ٥ صفر ١٤٣٣ هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠١١ م.
- (١٦) خطبة الجمعة (٤٧٦) ٧ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ - ٤ نوفمبر ٢٠١١ م.
- (١٧) خطبة الجمعة (٤٧٤) ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ٢١ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (١٨) خطبة الجمعة (٤٨٣) ٢٧ محرم ١٤٣٣ هـ - ٢٣ ديسمبر ٢٠١١ م.
- (١٩) خطبة الجمعة (٤٨٢) ٢١ محرم ١٤٣٣ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١١ م.
- (٢٠) خطبة الجمعة (٤٧٣) ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ١٤ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (٢١) خطبة الجمعة (٤٨٢) ٢١ محرم ١٤٣٣ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١١ م.
- (٢٢) خطبة الجمعة (٤٨٥) ١٢ صفر ١٤٣٣ هـ - ٦ يناير ٢٠١٢ م.
- (٢٣) خطبة الجمعة (٤٧٤) ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ٢١ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (٢٤) خطبة الجمعة (٤٧٥) ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ٢٨ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (٢٥) خطبة الجمعة (٤٧٤) ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ٢١ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (٢٦) خطبة الجمعة (٤٦٩) ١٧ شوال ١٤٣٢ هـ - ١٦ سبتمبر ٢٠١١ م.
- (٢٧) خطبة الجمعة (٤٧٠) ٢٤ شوال ١٤٣٢ هـ - ٢٣ سبتمبر ٢٠١١ م.
- (٢٨) يشير سماحته إلى رفض الجامعة العربية لمقابلة وفد المعارضة البحرينية، ورفض استلام رسالة الوفد المعارض.
- (٢٩) خطبة الجمعة (٤٧٧) ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ - ١١ نوفمبر ٢٠١١ م.
- (٣٠) خطبة الجمعة (٤٦٩) ١٧ شوال ١٤٣٢ هـ - ١٦ سبتمبر ٢٠١١ م.
- (٣١) خطبة الجمعة (٤٧٧) ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ - ١١ نوفمبر ٢٠١١ م.
- (٣٢) المصدر السابق.
- (٣٣) خطبة الجمعة (٤٧٢) ٨ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ٧ أكتوبر سبتمبر ٢٠١١ م.
- (٣٤) خطبة الجمعة (٤٧٥) ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ - ٢٨ أكتوبر ٢٠١١ م.
- (٣٥) خطبة الجمعة (٤٨٦) ١٩ صفر ١٤٣٣ هـ - ١٣ يناير ٢٠١٢ م.



وقفات خامنائية في الصحوة الإسلامية

أحمد إبراهيم نوار

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على خير
خلق الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وللعنة الدائم
المؤبد على أعدائهم أعداء الدين إلى قيام يوم الدين.

مقدمة

إن الصحوة الإسلامية التي نعيش بجرياتها اليوم ليست
(حدثاً) عابراً، وليس (ظاهرة) مؤقتة، وإنما هي (ثورة)
تاريجية بحق، وليس من المبالغة أن نقول إن هذه الثورة لم
يحدث لها نظير في وطننا العربي بهذا الامتداد وبهذه الكيفية،
إن في بدايتها وشراراتها الأولى، وإن في انتقالها من بقعة إلى أخرى، وإن في طابعها

الإسلامي الواضح... وما إلى ذلك.

يقول الإمام الخامنئي في كلمته في مؤتمر الصحوة الإسلامية: ”إن الحقائق المتزايدة الحالية في العالم الإسلامي، ليست بالحوادث المنفصلة عن جذورها التاريخية وأرضيتها الاجتماعية والفكرية، ولذلك من العبث أن يعمد الأعداء أو السطحيون إلى اعتبارها موجة عابرة وحادية سطحية، وأن يحاولوا بتحليلاتهم المنحرفة والمغرضة إطفاء جذوة الأمل في قلوب الشعوب“.

وإني أستطيع أن أقول كما قال سماحة العلامة المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم رحمه الله أن الطوفان بدأ لا ليهدأ، وكما قال العلامة المجاهد الشيخ عبد الجليل المقداد فرج الله عنه أن هذه الثورات التي نشهدها ليست من تدبير البشر وليس من صنعهم وإنما هي من تدبير الله ومكره، وأستطيع أن أقول أيضاً كما قال سماحة آية الله الشيخ محسن الآراكبي رحمه الله ورعاه أن ما نشهده اليوم هو بداية لسنة الأخذ الإلهية لرقب الظالمين، وانتهاء لسنة الإمهال.

نعم إن هذه الثورات التي نشهدها اليوم في وطننا العربي تحتاج إلى كل هؤلاء الفطاحل الكبار ليحللوها ويتأملوا فيها، ليعرفوا أسبابها، ويدرسوا خصائصها، ويستنتجوا نتائجها، ولا بد لنا أن نرجع إلى معين هؤلاء الكبار لنتهلل من معينهم ونستفيد من كلامهم في تحليل هذه الثورة الكبرى.

ولكن من خير من تكلم عن هذه الثورات وهذه الصحوة الإسلامية العارمة هو قائد الأمة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي دام ظله، وقد تكلم سماحة الإمام الخامنئي عن هذه الثورات في مواضع كثيرة، ولكن من الموارد التي وجدت أن سماحته قد بسط الكلام فيها وتكلم بشكل تحليلي رصين هو كلمته في افتتاح مؤتمر الصحوة الإسلامية الذي عقد في الجمهورية الإسلامية^(١).

ومن هذا الباب سوف نتوقف عدة ”وقفات خامنائية في الصحوة الإسلامية“

في ظلال هذه الكلمة المباركة بشكل أساسي، إضافة لبعض كلماته المباركة من هنا وهناك، وسوف أضيف إليها مدخلاً فكرياً مهماً يتعلق بأصل الثورة وضرورتها.

المدخل

الثورة ضرورة.. بعض النظر عن النصر العاجل:

يقول الإمام الخامنئي في مؤتمر الصحوة الإسلامية: "إن التحرك الجماهيري قد يؤدي إلى تأخر الانتصار النهائي للثورة، ولكنه يبعد عن السطعنية وعن عدم الثبات. إنه الكلمة الطيبة التي قال عنها سبحانه: ﴿أَلمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾".

ويقول عليه السلام في كتاب الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات: "الحسين قد ثار وأدى هذا الواجب عملياً ليكون درساً للجميع وقد توفر الظروف المناسبة لأي أحد للقيام بهذا العمل على مر التاريخ... وقد تكون الأرضية في بعض أقطار العالم الإسلامي الآن مهيأة لقيام المسلمين بذلك أيضاً، فإن قاموا بذلك فقد ضمنوا بقاءه، وقد يواجه واحد أو اثنان الفشل، لكن عندما يكثر هذا التغيير وهذه الثورة والحركة الإصلاحية، فتقوا باجتثاث جذور الفساد والانحراف".

هذه استفادة من استفادات القائد الخامنئي الفكرية والتأصيلية، ونراه أيضاً استفاد هذه الفكرة التأصيلية والفكرية من ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فليس دائماً مطلوب من الثورة على الظلم والطغاة الانتصار العاجل، ولا تتوقف شرعية الحركة ضد الحكومات غير الشرعية على التيقن بالظفر بالحكومة، بل يكفي تراكم هذه الثورات ضد الحكومات الظالمة لسلب الشرعية عنها وكسر هيبتها من جهة، ومن جهة أخرى فإن تراكم هذه الثورات والحركات الإصلاحية يؤدي - كما يقول الإمام الخامنئي - إلى "اجتثاث جذور الفساد والانحراف".

فالإمام الحسين عليه السلام كان يعلم باستشهاده مع ثلاثة المؤمنة التي كانت معه، ويعلم أنه لن يظفر بالوصول للحكم - وعندما نقول يعلم فلا نقصد هنا علم الغيب بل يعلم من خلال الظروف الموضوعية بذلك - ورغم علمه بذلك فإنه عليه السلام ثار ضد الحكم اليزيدي مما أدى لسلب الشرعية عن هذا الحكم الجائر وكسر هيبيته من جهة، ومن جهة أخرى فإن ثورة الإمام المباركة هيأت الأرضية لثورات العلوين بعده إلى أن سقط الحكم الأموي.

لذلك من الخطأ الكبير تقييم أية ثورة على أساس أنها هل تنجح أو لا؟ فالثورة على الظلم ليست مطلوبة فقط من أجل الانتصار الظاهري بل هناك أهداف أخرى لها، منها -إضافة إلى ما مر - إرباك خطط الظلمة ووقف مسيرتهم المنحرفة والحفاظ على روح الرفض للظلم في نفوس الأمة.

ورد في موسوعة أعلام المهدية^(٢) ما نصه: "الثورة على مستوى حاجة مسيرة الأمة تعتبر ضرورة اجتماعية وسياسية لئلا تتنازل الأمة مطلقاً للظالمين عن حقوقها وشخصيتها ولتحافظ على هويتها الإسلامية من حيث الحيوية والحساسية ضد الباطل بشكل عام، من هنا كان العمل الثوري مفيداً للأمة وإن لم تنجح الثورة على المدى القريب".

ومن المناسب هنا أيضاً اقتباس ما ذكره الشيخ محمد الريشهري في كتابه القيم القيادة في الإسلام حيث ناقش تلك الروايات التي تدين الثورة قبل الإمام المهدي عليه السلام وقال إن هذه الروايات تتعارض مع حكم العقل ومخالف القرآن وسيرة الأنمة عليه السلام، وكذلك أضاف أنها تتعارض مع الدلالة الصرحة لقسم آخر من الروايات والتي قسمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأحاديث الواردة في وجوب الثورة ضد الظالمين عند الإمكان
وعدم الانقياد لمطالبهم غير المشروعة، وذكر الشيخ روايات عديد ذكر منها:

روى أبو عطاء أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أقبل عليهم يوماً وهو محزون يتنفس، فقال: «كيف أنت وzman قد أظلكم؟ تعطل فيه الحدود، ويتحذذل فيه دولاً، ويعادى [فيه] أولياء الله، ويواли فيه أعداء الله!! قلنا: [يا أمير المؤمنين] فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع؟ قال: «كونوا ك أصحاب عيسى عليه السلام، نشروا بالمنابر وصلبوا على الخشب. موت في طاعة الله عز وجل خير من حياة في معصية الله»^(٣).

القسم الثالث: الأحاديث التي أخبرت عن قيام ثورة ناجحة قبل ظهور ولادة العصر أرواحنا فداء، وجعلتها مهدة لظهوره، ولعالمية الثورة الإسلامية، ونقتصر على حديث واحد هنا:

عن الإمام الバقر عليه السلام أنه قال: «كأني بقوم قد خرجوا بالشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلهم شهداء، أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^(٤).

القسم الثاني: وما يتعلق بالبحث مباشرة هو هذا القسم لذلك أخرناه وهي الأحاديث المؤيدة لبعض الثورات في عصر الأئمة عليهم السلام وهنا أيضاً نقتصر على ذكر بعض ما ذكره سماحة الشيخ الريشهري من روایات والتي منها:

بعض الروایات التي قدست ثورة زيد بن علي عليه السلام وثورة الحسين بن علي عليه السلام ودعمتهما، ومن هذه الأحاديث ما عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تقولوا: خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليه السلام، ولو ظهر لوفي بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه»^(٥).

وجاء في خبر أن كلاماً دار عند الإمام الصادق عليه السلام حول الشائرين من أهل

بيت الرسالة، فقال: «لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد عليهما السلام، ولو ددت أن الخارجي من آل محمد عليهما السلام خرج علي نفقة عياله»^(٤).

ثم يعلق ساحة الشيخ الريشهري عليهما السلام ويقول: «ثمة نقطتان مهمتان نستشفهما من هذه الأحاديث:

١- المقصود من الأحاديث التي تخطئ الثورات القائمة قبل ظهور قائم آل محمد عليهما السلام هي الثورات التي تتطلق من الهوى.

٢- ليس من الضروري لإثبات شرعية الثورة أن يعلم الثائر علم اليقين أنه سيفلح في تشكيل حكومة الحق، بل يكفي لإثباتها كسر هيبة الحكام الجائرين وأبهتهم أو إشغال أذهانهم سياسياً وعسكرياً للحؤول دون فرض قيادتهم على المجتمع الإسلامي^(٥).

الوقفة الأولى: الثورات.. إسلامية الهوية

يقول ساحة الإمام في افتتاح المؤتمر: «يمكن بوضوح تشخيص أن أصول الثورات الحالية في مصر وبقية البلدان تتجلى بالدرجة الأولى في... رفع راية الإسلام الذي يمثل العمق العقائدي والعاطفي للشعب وتوفير الأمن النفسي والعدالة والتقدير والازدهار مما لا يتحقق إلا في ظل الشريعة الإسلامية».

إن هذا التشخيص الذي أطلقه الإمام القائد ليس تشخيصاً عابراً انفعالياً وإنما تشخيص دقيق لواقع المركبات والثورات التي تشهدها البلدان الإسلامية اليوم، ورغم محاولة الحكومات والأنظمة الظالمة خنق القيم والمبادئ الإسلامية في وج Дан الشعوب وغرس قيم العلمنة والتغرب إلا أنها لم تستطع ذلك، يقول ساحة الإمام الخامنئي في بيانه لحجاج بيت الله الحرام عام ١٤٣٢: «رغم سيطرة الحكام الإماميين وما يذلوه من سعي في السر والعلن لعزل الدين عن الحياة في هذه البلدان، فإن الإسلام بنفوذه وحضور باهر وعظيم قد صار هادياً وموجهاً للأنسن والقلوب،

ومثل ينبوع متدفق بعث الطراوة والحياة في أقوال الجماهير المليونية وأعمالهم.
وفيتجمعاتهم ومواقفهم".

إن هذه الحقيقة - وهي حقيقة إسلامية هذه الثورات - لم تعد خافية على أحد، وقد ألمت كل الاتجاهات الفكرية حجراً، فسقطت تلك المقوله التي طالما حاولوا أن يخدعوا بها البعض وهي "الدين أفيون الشعوب"، فها هو الدينوها هو الإسلام يحرك الضمائر، ويزيل العوائق، لتنطلق مرة أخرى - بعد الثورة الإسلامية في إيران - ثورات ذات طابع إسلامي وذات خلفيات إسلامية.

شواهد لإسلامية هذه الثورات:

في تكملة كلام القائد السابق يقول: "وفي تجمعاتهم، ومواقفهم، المآذن، والمساجد، والتکبیر، والشعارات الإسلامية، معالم واضحة لهذه الحقيقة، والانتخابات الأخيرة في تونس برهان قاطع على هذا الادّعاء. ومن دون شك فإن الانتخابات الحرة في أي بلد إسلامي آخر سوف لا تكون لها غير نتيجة ما حدث في تونس".

إذن يمكن أن نخلص أن هذه الثورات ذات طابع إسلامي واضح وذلك لعدة

شواهد ومنها:

- شعارات هذه الثورات، فنحن نلاحظ أن شعار "الله أكبر" مثلاً شعار بارز في كل هذه الثورات بلا استثناء، فقد سمعنا هذا الشعار في تونس ومصر ولبيبا واليمن والبحرين، فليس هذا الشعار خاص بشورة دون أخرى بل نراه حاضراً بقوة في كل الثورات.

- موافق الثوار أثناء احتجاجاتهم، فنلاحظ مثلاً إصرارهم على إقامة صلوات الجمعة في وسط ميادين الاحتجاج وفي أثناء المواجهات، وليس هذا إلا رسالة واضحة من الثوار على مرادهم وعقيدتهم وفكرهم.

- إن أية فرصة تتاح للثوار للتعبير عن آرائهم ترى بوضوح أن أصواتهم

الانتخابية لا تذهب إلا للتكتلات الإسلامية وهذا يدل على ثقتهم بالإسلام كعقيدة وفكر وقائد للحياة، وهذا ما وجدها في تونس وما وجدها مؤخراً في مصر.

ومن هذا المنطلق وعلى أساس هذه الحقيقة يوصي سماحة الإمام الخامنئي حفظه الله في مؤتمر الصحوة قائلاً: "أحد أهم مطالب الشعوب الثائرة والمحررة أن يكون لها الحضور وأن يكون لأصواتها الدور الحاسم في إدارة البلاد.

ولما كانت هذه الشعوب مؤمنة بالإسلام فإن مطلوبها هو نظام السيادة الشعبية الإسلامي، أي إن الحكام يُنتخبون وفق تصويت الناس، وأن تكون القائم والأصول الحاكمة على المجتمع وفق أصول قائمة على المعرفة والشريعة الإسلامية.

وهذا يمكن تحقيقه في البلدان المختلفة بأساليب وأشكال مختلفة بمقتضى ظروفها، لكن يجب المراقبة بحساسية كاملة كي لا يختلط هذا المشروع بالديمقراطية الليبرالية الفرنسية".

الوقفة الثانية: الثورة.. توكل على الله ومجابهة للكفر والنفاق

من الأمور التي تلفت النظر في خطاب القائد الخامنئي حفظه الله تعالى في

مؤتمر الصحوة الإسلامية هو أنه بدأ خطابه بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا وَأَتَيْعُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٨).

بل ونراه يختتم خطابه بنفس هذه الآية المباركة ويؤكد عليها بقوله حفظه الله:

"الآيات التي تليت في مطلع الحديث تشتمل على منهج كامل للعمل وله الفاعلية الدائمة وخاصة في هذه البرهة الحساسة المصيرية. إنها تخاطب النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه، لكننا جميعاً في الواقع مخاطبون بها ومكلفوون".

وهذا يؤكد على أن الإمام الخامنئي يريدنا أن نتلمس بعض المفاهيم الحركية في هذه الآية المباركة وخصوصاً فيما يتعلق بالثورات العربية المعاشرة، ولعل الآية تحتوي على كثير من المفاهيم المهمة والتي تحتاج لبحث متكمّل ومستقلّ، لكن من أبرز تلك المفاهيم التي تحويها هذه الآية الشريفة هي:

- النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين.
- التوكل على الله سبحانه وتعالى.

النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين:

لو تتبعنا كلمات الإمام الخامنئي في عموم كلماته المتعلقة بالثورات وغيرها لوجدنا بوضوح أن الإمام القائد يركز على هذه الفكرة، وهي التحذير من الكافرين والمنافقين، وذلك لخطورة كلتا هاتين الفتتين، ولا أريد هنا تتبع خطورة كل فتة وتأثيرها السلبي على المؤمنين، ولا أريد تحليل كيفية نفوذ هذه الفتات للكيان المسلم، بقدر ما أريد الاكتفاء بنقل بعض كلمات الإمام الخامنئي عليه في حديثه وتحذيره من هاتين الفتتين، وبالخصوص الفتنة الكافرة والمتمثلة اليوم في الشيطان الأكبر أمريكا، وسأكتفي بالذكر اليسير من كلماته وذلك في مؤتمر الصحوة الإسلامية.

يقول السيد القائد عليه بشأن تدخل القوى الأجنبية في ليبيا: "من هنا فإن هذه القوى لا يحق لها أن تعتبر نفسها مسامحة في هذه الثورات. وفي بلد مثل ليبيا لا يستطيع تدخل أمريكا والناتو أن يكدر هذه الحقيقة. في ليبيا أنزل الناتو خسائر فادحة لا تعمّض. لو لم يكن هذا التدخل فإن انتصار الشعب الليبي كان من الممكن أن يتأخّر قليلاً، ولكن سوف لا يترك بالبلد كل هذا الدمار في بناء التحتية، ولا تزهد كل هذه الأرواح من النساء والأطفال، ولا يدعّي أولئك الأعداء الذين كانت يدهم لسنوات بيد القذافي بأن لهم حق التدخل في هذا البلد المظلوم المُدمّر".

ويقول سماحته محذرا من خطط وابتسمات العدو: "إن الثقة بالعدو والانخداع بابتسماته ووعده إنما هو من الآفات الكبرى الأخرى التي يجب أن يحذر منها بشكل خاص النخب وقادة المسيرة. يجب معرفة العدو بعلاماته مهما تلبس من لباس، وصيانته الشعب والثورة من كيده الذي يدبّره في مواضع خلف ستار الصداقة ومدّ يد المساعدة. ومن جانب آخر قد يغتر الأفراد غروراً ويحسبون العدو غافلاً، لا بدّ من اقتران الشجاعة بالتدبر والحزم وحشد كل الإمكانيات الإلهية في وجودنا لمواجهة شياطين الجن والإنس".

ويقول أيضاً في مقام عرض الأخطار والآفات التي يخاطط لها الأعداء مباشرة: "أما أخطار القسم الثاني فإن شعوب المنطقة قد خبرتها غالباً في الحوادث المختلفة. وأولها توّي الأمور عن انصار تعتقد أن لها التزامات أمام أميركا والغرب. الغرب يسعى بعد السقوط الاضطراري للعناصر التابعة أن يحافظ على أصل النظام والمحاور المفصلية للقدرة ويضع رأساً آخر على هذا البدن وبذلك يواصل فرض سيطرته. وهذا يعني إهاد كل المساعي والجهود، وفي هذه الحالة إن واجهوا مقاومة الجماهير ووعيها فسوف يسعون إلى بدائل انحرافية أخرى يضمونها أمام الثورة والجماهير. هذه البدائل يمكن أن تتمثل باقتراح نماذج للحكم والدستور تدفع بالبلدان الإسلامية مرة أخرى إلى شراك التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية للغرب، ويمكن أن تتمثل في اختراق صفوف الثورة وتقديم الدعم المالي والإعلامي لتيار مشكوك وعزل التيارات الثورية الأصلية. وهذا يعني أيضاً عودة هيمنة الغرب وتشبيتها لنماذج المتهرئة الغربية والبعيدة عن مبادئ الثورة ثم سيطرة الأجنبي على الأوضاع".

التوكل على الله سبحانه وتعالى:

مفهوم التوكل على الله تعالى من المفاهيم الإسلامية المهمة جداً والتي تشكل حجر أساس في البناء الفكري للإنسان المؤمن، وهكذا فإن هذا المفهوم من المفاهيم

التي يركز عليها القرآن الكريم أشد التركيز وخصوصاً في ساحة المواجهة والمجاهدة بالنسبة للمجاهدين والثوار.

والإمام الخامنئي قد تحدث عن هذا المفهوم في موضع عدة وبأساليب مختلفة، ولكن من الموضع التحليلية التي وقفت عليها وتناسب المقام ما تفضل به في مؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران^(٩)، وقد تكلم سماحة الإمام بشيء من التفصيل والتحليل حول هذا المفهوم والتصفين به، وأكتفي بنقل كلامه نصاً لما فيه من غنى.

يقول سماحته:

لاحظوا أن هناك نوعين من الأفراد في مواجهة الأعداء ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ◆ وَإِذْ قَاتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوهُمْ﴾^(١٠)، هذه نظرة ورؤية في مواجهة هذه الأحداث. وهناك نظرة أخرى تقول: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(١١)، وهذه بدورها نظرة، وكلا النظريتين في حادثة واحدة، كلاهما تعود لحادثة الأحزاب. البعض حينما يرون الأحزاب يقولون: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، والبعض الآخر حينما يرون الأحزاب يقولون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، هذا شيء مهم، وهو شيء يعرض على وضعنا الحالي.

لدينا نوعان من الأفراد، نوع من الأفراد حينما يرون هيمنة أمريكا وقدراتها العسكرية والdiplomatic والإعلامية وأموالها الوافرة، يفزعون ويقولون إننا لا نستطيع فعل شيء، فلماذا نهدى طلاقتنا دون فائدة؟ ومثل هؤلاء الأفراد موجودون الآن، وكانوا موجودين في زمن ثورتنا، لقد واجهنا أفراداً من هذا القبيل كانوا يقولون: لماذا تجهد نفسك دون فائدة يا سيد، افتعلوا بالحد الأدنى، وأنهوا القضية. هكذا هم البعض.

والبعض الآخر لا، يقارنون قدرة العدو بقدرة الله تعالى، ويضعون عظمة العدو مقابل عظمة الخالق، وعندما سيرون أن العدو تafe على الإطلاق، وليس بشيء، وسيحسبون الوعد الإلهي حقاً وصدق، ويحسنون الظن بالوعد الإلهي..هذا مهم..
 لقد وعدنا الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١٢). هذا وعد قاطع وأكيد، إذا أحسنا الظن بالوعد الإلهي سوف نعمل بطريقة معينة، وإذا أحسنا الظن بالوعد الإلهي فسوف نعمل بطريقة أخرى... سوء الظن بالله يجعل الإنسان يقع ويعجز عن التحرك والسعى والعمل، وإذا أحسنا الظن بالله استطعنا العمل والتقدم...”.

الوقفة الثالثة: شعبية الثورات وجماهيريتها

وأضع الحديث عن هذه الوقفة المهمة ضمن النقاط التالية:

١- أهمية الحضور الجماهيري:

يقول ساحة الإمام القائد: ”اعتقد أن أهم عنصر في هذه الثورات الحضور الواقعي والشمولي للشعوب في ميدان العمل وساحة النضال والجهاد، لا فقط بقلبهم وبعواطفهم وإيمانهم، بل أيضاً بأجسامهم وإندامهم“.

هكذا يرى الإمام الخامنئي أهمية الحضور الجماهيري في ساحة الميدان، فهذا الحضور في فكر الإمام الخامنئي يشكل ركيزة مهمة بل هي الركيزة الأهم، وهذا ما تؤكد عليه كل تجارب الحاضر والماضي فإن الجماهير إذا نزلت الميادين وتحركت وأرادت فإن العادات تتغير لصالحها.

وعلى هذا الأساس يفرق السيد القائد عليه السلام تعالى بين ثورة جاهيرية وبين حركة نخبوية تريد التغيير، فيقول: ”في حوادث العقددين الخامس والسادس من القرن الميلادي الماضي كان عباء الثورات في عدد من بلدان آسيا وأفريقيا لا تحمله



الجماهير والشباب، بل تنهض به مجموعات انقلابية أو فئات صفيرة ومحددة مسلحة. أولئك عزموا وأقدموا، ولكن حين غيروا هم أو الجيل الذي تلامهم طريقهم على أثر دوافع وعوامل عديدة فإن الثورات قد انقلبت إلى ضدها وعاد العدو ليفرض سيطرته مرة أخرى.

إن هذا يختلف كل الاختلاف مع تغيير تنهض به جماهير الشعب التي تتدفع بأجسامها وأرواحها إلى الميدان وتطرد العدو من الساحة.

وهنا، وهنا فقط تصنع الجماهير شعاراتها، وتحدد أهدافها وتشخص عدوها وتفضحه وتعقبه".

ويقول أيضاً: "في مثل هذه الثورات المبادئ والقيم والأهداف، تدون في مشاريع مسبقة على يد الفئات والأحزاب، بل هي مدونة في أذهان كل أفراد الشعب المتواجد في الساحة وفي قلوبهم وإرادتهم".

٢- الجماهير.. تختار الشعارات.. وتقطع الطريق أمام المذاهنين:

وهكذا يواصل السيد القائد حديثه عن الحالة الجماهيرية لهذه الثورات، وأن شعارات هذه الثورات الجماهير هي التي اختارتها وهي التي أصلت لها لأنها تنبع من وجدانها وفطرتها، وبالتالي فإن هذه الحالة الجماهيرية ومن الرقابة الجماهيرية تشكل حصانة لشعارات هذه الثورات وأهدافها فتقطع الطريق أمام من عبر عنهم السيد القائد بـ "الخواص المذاهنين" فيقول حفظه الله تعالى:

"إن هذا يختلف كل الاختلاف مع تغيير تنهض به جماهير الشعب التي تتدفع بأجسامها وأرواحها إلى الميدان وتطرد العدو من الساحة.

وهنا، وهنا فقط تصنع الجماهير شعاراتها، وتحدد أهدافها وتشخص عدوها وتفضحه وتعقبه، وترسم - ولو ياجمال- مستقبلها، وبالنتيجة تقطع الطريق أمام الخواص المذاهنين والملوثين بل أمام المندسين وبذلك تحول دون الانحراف ومداهنة

العدو وتغيير المسار.

إن التحرك الجماهيري قد يؤدي إلى تأخر الانتصار النهائي للثورة، ولكنه يبتعد عن السطحية وعن عدم الثبات".

٣- الجماهير تحرس الثورة وترسم مستقبلها:

يقول سماحة الإمام: "إن جماهير الشعب والنخب الجماهيرية والذين انطلقوا من الجماهير هم أصحاب هذه الثورات والأمناء على حراستها والذين يرسمون مستقبلها ويدفعون بعجلتها إن شاء الله تعالى".

الخاتمة

هذه بعض الوقفات السريعة من كلام سماحة الإمام الخامنئي حفظه الله تعالى في تحليله لهذه الثورات، وليست هذه الوقفات تحصر كل ما تفضل به سماحة السيد القائد، ولكن حاولت الاقتصار على بعض الوقفات واللاحظات المهمة التي أبدتها حفظه الله تعالى، وإنما ما تفضل به يحتاج إلى بحث أوسع وأعمق من هذا بكثير، بل أقول أن هذه الثورات فعلاً من الثورات التي تحتاج أن نبذل لها الجهد في دراستها وتحليلها وليس ذلك للترف الفكري بل للمحافظة على هذه الثورات من الانحراف والتمييع ولضخ كل ما يسهم في ديمومتها حتى تصل إلى بر الأمان إن شاء الله تعالى.

الهوامش:

(١) مؤتمر الصحوة الإسلامية انطلق في يوم الأحد ٢٩/١/٢٠١٢م في العاصمة طهران، راجع نص كلمة الإمام القائد عليه السلام في موقع الصحوة الإسلامية: www.alsahwah-alislamiah.com.

(٢) موسوعة أعلام المداية، ج ٨، ص ٧٦.

(٣) القيادة في الإسلام، الريشهري، ص ١٦٩.

خُلَقَ كُوْشُوكُ كُلُّ سَيِّمٍ

أحمد إبراهيم نوار

٧٧

وقفات خامسية في الصحافة الإسلامية



- (٤) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٤٣.
- (٥) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ٢٦٤.
- (٦) القيادة في الإسلام، الريشهري، ص ١٧٢.
- (٧) المصدر نفسه، ص ١٧٢ - ١٧٣.
- (٨) الأحزاب: ١ - ٣.
- (٩) بتاريخ ٢٠١١/٢٠١١م ، ونشر في نشرة دار الولاية ٥٠٨.
- (١٠) الأحزاب: ١٢ - ١٣.
- (١١) الأحزاب: ٢٢.
- (١٢) الحج: ٤٠.



الثورات العربية وعلاقتها بالإسلام (البحرين مثالاً)

عن زيد بن الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.

مقدمة

ثورات ما يسمى بالربيع العربي أصبحت حديث الساعة في الإعلام العالمي، وأوجدت تحولات مهمة في المنطقة، فلماذا قامت هذه الثورات؟ وما هو مصدر القوة فيها؟ وما هي علاقتها بالإسلام؟ خصوصاً أنها تتكلم عن ثوراتٍ أغلب أفرادها أو كلهم ينتمون إلى الإسلام.
وفي البداية لا بدَّ أن نذكر أنَّ هذه الثورات تختلف عن الانقلابات التي كانت

تحدث على مرّ التاريخ في أنها ثورات جماهيرية، وليس انقلاباً عسكرياً مثلاً من مجموعة من الضباط كما فعله القذافي المقتول، أو من يتلذّبون النفوذ في الدولة كما حصل عند أمير قطر حيث انقلب على والده.

بل هناك هبةً جماهيرية متوقدة، جرفَتْ كلَّ من يقف أمامها، وفاجأت أهل السياسة وأصحاب القرار في العالم، فأخذوا يتخبّطون هنا وهناك خصوصاً في بداية الثورات؛ حيث لم تكن الصورةُ واضحةً، ولم يكن المشهدُ مكتملاً.

هل تونس هي شرارة الثورات العربية؟

تونس وإن كانت البداية للثورات الحالية، إلا أن تساؤلاً مهمّاً يُطرح وهو هل كان هناك مهدٌ لحصول مثل هذه الثورة أم لا؟ قد تختلف وجهات النظر، وفي الرأي الخاص أقول بأنَّ ما حدث في الثورة ضدَّ نظام الشاه، وما حدث في الانتفاضة الشعبانية ضدَّ نظام المقبور صدام، كان له أثر بشكلٍ وآخر، لأنَّ هاتين ثورتين شعبيان عارمتان، كُتب النجاح لإحداهما دون الأخرى، فكانت النقوسُ مهيأةً لـمثلهما عند جميع الشعوب المظلومة المستضعفة.

هل الثورات إسلامية أم لا؟

جدلٌ له أهدافٌ سياسية مقيمة لتشويه صورة ما يحدث من ثورات في دول هي إسلامية قبل أن تكون عربية، فقد كانت في السابق حركة قومية عربية ربّما قادها جمال عبد الناصر وتتأثّر بها بعض هذه الشعوب فكانت بعيدة عن الإسلام؛ إذ الإسلام لا يهمّه اللسان واللغة، وإنّما الجامع المهم هو الدين والشرع، والآن يريدون أن يعنونوا هذه الثورات بالعلمانية (الرافضة للدين)، وواضحُ أنَّ هناك خوفاً من الإسلام الحمدى الأصيل الذي لا يقبل بالذلّ والهوان، ولا يتأثر بالرشاوي وخداع القوى الكبرى، فهل الشعوب التي ثارت فكرها علماني أم هي

متشوقة لحكم الإسلام؟

لا نريد أن ندعى هنا بأنّ كلّ الشعوب التي ثارت تحمل الفكر الإسلامي الصحيح، فهناك علمانيون -وهم متفاوتون في علاقتهم بالإسلام- فبعضهم بين العلمانية والإسلام، وهناك من يعادي الإسلام لسبب وآخر، ولكن يمكننا الادّعاء بأنّ الطابع العام لهذه الشعوب هو الإسلام، وهذا يمكن الاستشهاد له بكثير من الشواهد في مختلف الثورات الحالية.

فهذا كينيث روث المدير التنفيذي لمنظمة هيومان رايتس ووتش يطالب "المجتمع الدولي بـلـعب دور هام في مساندة تطور النظم الديمocrاطية التي تحترم حقوق الإنسان في الشرق الأوسط، بدلاً من رفض صعود الإسلام السياسي، وعليهم أن يعترفوا بأن الإسلام السياسي يمثل اختيار الأغلبية".^(١)

وكذلك وزير الخارجية الألماني جيدو فيسترفيله يقول: "لم يكن من المتوقع أن يسفر الربيع العربي عن خريطة أحزاب مثل تلك الموجودة لدينا في أوروبا.... إن الأحزاب الإسلامية الديمocrاطية قبلت من الكثرين"، ويضيف: "أرى أنه من غير المقبول اعتبار أن هناك تعارضًا بين الدين الإسلامي من جهة والديمocratie والتعددية الإسلامية من جهة أخرى".^(٢)

الانتخابات دليل آخر

قد جرت انتخابات في الثورات المنتصرة كمصر وتونس وقد اختار الناس هناك القوى الإسلامية، وهذا يعتبر من أكبر الأدلة على توجه الناس للإسلام، نعم قد لا تكون هذه القوى الإسلامية الفائزة في الانتخابات قادرة على تنفيذ مطالب شعوبها فيها لا في الإسلام؛ إذ من الممكن أن ينحرف الإنسان إذا ما وصل إلى السلطة، أو لا يكون فهمه صحيحاً للإسلام، أو لا يكون مخلصاً وإنما اتخذ الإسلام وسيلة للوصول للسلطة، ولكن على كل حال اختيار الناس هذه

القوى ذات التوجه الإسلامي يدل على أن هذه الشعوب توأمة لحكم الإسلام الذي كان غائباً طوال القرون الماضية.

المقصود من إسلامية الثورات

ثم إن المقصود من كون هذه الثورات إسلامية لا يعني أنها بالضرورة قد طالبت بإنشاء حكم إسلامي صريح، أو ما يعبر عنه بـ(الدولة الدينية) أي التي يحكمها علماء الدين، وإنما المقصود أعمّ من ذلك؛ حيث يمكن أن نقسم إسلامية أي ثورة إلى قسمين:

القسم الأول: وهو الدعوة إلى إقامة حكم الله في الأرض، وإنشاء دولة دينية صريحة يحكمها علماء الدين العدول.

القسم الثاني: أن تكون الثورة لأجل إقامة حكم ديمقراطي، ولكن بما أن الثوار مسلمون فهم يتحركون وفق ما يتتيح لهم الشرع التحرك فيه، وبطبيعة الحال سيختارون القرارات التي تكون في مصلحة الإسلام؛ إذ المفترض أن الديمقراطية تعني حكم الأكثريّة، فهم يحكمون بحكم أكثريتهم. والثورات الحالية تحركت فعلاً باسم القسم الثاني كما هو واضح.

ولا يعني أن من يدعوا إلى الدولة الدينية قد ارتكب جريمة كما يحاول أعداء الدين الترويج له، بل هو حق ثابت لهذه الشعوب المسلمة، والديمقراطية الصادقة عامة ولا تستثنى أو ترفض حكم أكثريّة فيما إذا اختارت الإسلام بشكل واضح وصريح.

ومع هذا فإنّ الشعوب عندما تحركت تحت عنوان حكم ديمقراطي، وأنها ستقبل بحكم الأكثريّة وإن كانوا غير إسلاميين واجهها الغرب وأعداء الأمة لعلمهم بأنّ هذه الشعوب تحمل راية الإسلام. وهذا من أجلّ وأوضح مصاديق



التناقض الذي يعيشه مدّعوا الديقراطية في العالم.

البحرين الجريحة مثلاً

يمكن أن تكون ثورة أهل البحرين مثلاً واضحاً إن لم تكن أوضح الأمثلة لما نريد أن نتحدث عنه في هذه المقالة، وقبل ذلك لا بأس بذكر بعض الخصائص التي تختلف فيها ثورة البحرين عن الثورات الأخرى وبشكل مختصر:

- ١- أغلبية شعب البحرين هم من الطائفة الشيعية، ومن الطبيعي حينئذ أن يكون الشّوّار أغلبهم من هذه الطائفة، مما جعل ذلك فرصة للنظام البحريني باتهام الثوار بالطائفية، بينما أغلبية الثوار في الثورات الأخرى هم من الطائفة السنّية الكريمة، ولذلك استخدمت أنظمتهم سلاح الخلاف القبلي كما في ليبيا، أو الدينية (المسلمون والسيحيون الأقباط) كما في مصر بدلاً من الطائفي.
- ٢- البحرين جزيرة صغيرة جداً من حيث المساحة وعدد السكان، وهي من أصغر دول العالم.

٣- الجيش وقوات الأمن والشرطة هم غير بحرينيين، بل خليط من دول عدة كاليمين وسوريا والأردن وباكستان والهند وبلوشستان وغيرهم -مع ملاحظة أنهم يجلبون في الغالب غير المتعلمين، وأصحاب القلوب المريضة والحاقدة-، مما يبعدهم عن التعاطف مع أهل البحرين، بل ويكونون مستعدين لفعل أي جريمة مهما كبرت بأهل البحرين، بينما في تونس أو مصر أو اليمن فإن الجيش من نفس الشعب.

٤- لقد ظلمت ثورة البحرين إعلامياً من قبل كثير من القنوات الفضائية التي كانت تغطي الثورات العربية بشكل مستمر، ولكنها تقف عندما يصل الأمر للبحرين، بل بالعكس نجد التامر من قبل هذه القنوات على ثورة البحرين وأهلها المجاهدين، وكأن أهل البحرين ليسوا من البشر أو ليس لهم حقوق



كغيرهم من الشعوب، ولا قوة إلا بالله العظيم.
ونقسم حديثنا إلى محورين رئيسيين؛ الأول يتحدث عن إسلامية هذه الثورة.
والثاني يتحدث عن مواجهة الغرب والأعداء لهذه الثورة.

المحور الأول: إسلامية ثورة البحرين

من الواضح جداً أنّ أهل البحرين من أكثر الشعوب تديناً وتعلقاً بالإسلام، وهذا ما يشهدُ له كلُّ من عاشرَ أهل البحرين قديماً وحديثاً، ولأجل ذلك كان الطابعُ العام للشوارِ فيها هو التدين ورفع شعارات الإسلام، والتقييد بشكل كبير جدّاً بأحكام الشرعية في الحركة والمطالبة بالحقوق المسلوبة، وإليك بعض المظاهر الإسلامية في هذه الثورة المباركة:

المظهر الأول:- الشعارات:

الشعار تستلهمه الشعوب عادةً مما تعتقد به من مبادئ وقيم، وما تتأثر به من شخصيات مختلفة، والشعار الأبرز لثوار البحرين قديماً وفي الثورة الحالية، هو شعار التكبير (الله أكبر)، ففي بدء أي مسيرة أو تظاهرة يكون شعار الله أكبر هو أول شعار يرفع. وفي بداية الثورة كان هذا الشعار يرفع من أسطح المنازل ليلياً وفي وقت محدد ولمدة محددة.

وبعد التكبير مباشرةً يأتي شعار (النصر للإسلام)، وأتصور بأنّه من مختصات هذه الثورة، وهو شعار قديم أيضاً، بالإضافة إلى الشعار الإسلامي الجديد في هذه الثورة وهو (منصوريين والناسير للله)، حيث رفع بكثرة أثناء الثورة، وكذلك شعار (لبيك يا إسلام) و(لن نركع إلا لله)، إلى غير ذلك من الشعارات التي تدلّ على ارتباط رافعيها بالإسلام.

المظهر الثاني:- مشاهد الصلاة في ساحات الثورة:

وهذا أيضاً ملحوظ في كلّ الثورات، وبالمخصوص في ثورة البحرين؛ حيث كانت تقام صلاة الجمعة في دوار اللؤلؤة، وأعظم من ذلك عندما هدمت المساجد في البحرين، أصرّ الناس على إعادة بنائهما ولو بالأخشاب أو قطع القماش، وكانت تهدم ويعود الناس لبنائهما ثانية وثالثة في إصرار عجيب، والآن هناك حملات تدعوا لإقامة الجمعة في هذه المساجد لإحيائها، وكلّ ذلك يدلّ على تعقّل الناس بالمسجد الذي هو من أهمّ مظاهر الدين وشعائره.

المظهر الثالث:- الحجاب:

تميزت ثورة البحرين بالحضور الكبير والكتيف للمرأة البحرينية، والمرأة يمكن أن تكون عنواناً للثورة في كونها إسلامية أم لا، حيث أنّ التزامها بالحجاب الإسلامي وعدمه يدلّ على أنّ الثوار مرتبطون بالإسلام أو لا، وقد بيّضت نساء البحرين وجه الثورة عندما قيّمت بلبسها لعباءتها الزينبية، وذلك واضح لمن يشاهد صور المسيرات، بل قد يعجبُ المرء عندما يسمع بعض الحوادث المتعلقة بالعفة، ففتاة صغيرة تصاب وتؤخذ للمستشفى وهي لا همّ لها إلا ستر بدنها عن الأجانب متناسية جرحها وألمها، وامرأة يهجم على بيتها فيصبح مرتعًا للمرتزقة الحاقدين ويفرّ أبناؤها وتنكسر رجل أحدهم، ولكن لا يشغل بالها و يؤلّها إلا أنّ القوات العاشمة رأوا شعر رأسها، ومنعوها من ستره، وكانت النساء في فترة ما يسمى بالسلامة الوطنية - حيث اقتحام البيوت والمنازل في أي لحظة - ينامون باللعبة والمحجب حفظاً لعفتهنَّ.

وهذا التدين والتعلق الشديد بالعفة اخنته السلطة فرصة للضغط على الناس؛ حيث يمارس النظام أفدح أنواع الابتزاز الأخلاقي عندما يضغط على المتهم لكي يعترف بما لم يجنب، بواسطة التهديد بالعرض فيضطر الكثير بالاعتراف

وعلى شاشة التلفاز؛ فكان النظام يحصل على مراده بالتهديد بالعرض بعد أن يعجز بواسطة التعذيب (البدني) الشديد.

المظهر الرابع:- اللجوء إلى الله والتوكيل عليه:

عُرف شعبُ البحرين بالحضور الكثيف في أماكن العبادة، لممارسة الصلاة والدعاء والتضرع لله تعالى حتى في الأحوال الطبيعية، وازداد ذلك - وهو أمرٌ طبيعي - بعد أن اشتدت المخاوف خصوصاً في الأشهر الأولى من الثورة حيث القمع والقتل والتنكيل والتروع والانتهاك، ورغم الخوف الشديد الذي لحق بالناس إلا أنه كان ممزوجاً بحالة من الاطمئنان والتوكيل على الله تعالى، والكل راضٍ بقضاء الله تعالى، وكانوا يرون أن الفرج إنما هو بيد الله، وليس بيد أحدٍ غيره، فالجميع يعرف أن ثورة البحرين مظلومة من أطراف عدة؛ حيث لا تغطية إعلامية؛ وحيث القوى الكبرى في المنطقة كأمريكا وال سعودية تقف حجر عثرة لأي حل أو تحقيق للنصر، ولكنّ عموم الناس مع كل هذا وفي هذه الجزيرة الصغيرة يرون أن نصر الله آت لا محالة، وكل ذلك يدل على تعلق الناس بالله تعالى وارتباطهم بدينهم وتمسكهم بعقائدهم تمسكاً عملياً لا نظرياً فقط.

وكان المعتقلون على رغم تعذيبهم إلى التعذيب الذي لا يطاق بحيث يرى الشخص الموتَ بعينه فينطق بالشهادتين - وهذا ما نقله لنا عدة منهم - إلا أنّهم كانوا يعيشون حالة عجيبة من الاطمئنان والتعلق بالله تعالى، بحيث يجعل المعتذّبين يعيشون حالة من الغضب.

المظهر الخامس:- عشق الشهادة:

من طبيعة الناس التعلق بالدنيا وحبُّ البقاء، وفي الثورات يحبّ المرء أن يرى أيام النصر ولذلك يبتعد عن مواطن الموت، ولكن المؤمن بالله تعالى وبأنّ عمله

ووجهاده إنما هو في سبيل الله ولنصرة دينه، وإحقاق الحق، والدفاع عن المظلوم يحب لقاء الله تعالى، ويستتر خص نفسه لأجل الهدف المقدس، وهذا ما وجدناه في كل الثورات خصوصاً في ثورة البحرين حيث كان الناس يلبسون الأكفان ويكتبون عليها عبارة (أنا الشهيد التالي) وقد حصل بعضهم على مبتغاه. ونُقل عن من عايش أيام ميدان الشهداء (دور اللؤلؤة) أن بعض الناس كانوا يبكون لأنهم لم يرزقوا الشهادة، فهل يصدر ذلك إلا من المسلم المؤمن بدينه، المرتبط بربه عزوجل؟

المظهر السادس:- التمسك بالسلمية:

من الأمور التي تيزّت بها ثورة البحرين هو السلمية التي بلغت إلى حد رباع عاهم فيها بعض الشعوب المتعاطفة معهم، فإن الناس من أول يوم في هذه الثورة المباركة لم يارسو فيها أدنى درجات -ولا أقول العنف- الدفاع عن النفس الذي هو حق كفلته كل القوانين السماوية والأرضية، بحيث كانت الحكومة تحاول يائسة -رغم مراقبتها الدقيقة لتحركات الناس- عن إيجاد أي حركة فيها استخدام للقوة من قبل الناس لتشوه الحركة ولكنها لم تجد ذلك، وكانت قوات الأمن تترك أجياب الشرطة لكي يحرقها الثوار ولكن تفاجئوا بأن الثوار كانوا يضعون عليها علم البحرين.

وكان المنطلق لهذه السلمية هو المحافظة على الدماء والأعراض والأموال - التي شدد عليها الإسلام - من جميع الأطراف، فإن الهدف الذي ثار من أجله الناس هو إحقاق الحق، ونصرة المظلوم، وليس إحداث الفوضى أو التعدى على أحد وإن كان عدواً غاشماً، وهذه من أخلاقيات الإسلام الحنيف.

واستخدام العنف مقابل عنف الطرف الآخر ليس ذنباً بل هو حق ديني ووضعى، فالقرآن يقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى

عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ^(٣). وكذلك في القوانين الوضعية، ولكنّ شعب البحرين خصوصاً في شهره الأولى تنازل عن هذا الحق للمصلحة العامة وكان الناس عند مواجهة القوات المعادية والباطلية المدعومين من النظام يرددون آية أخرى وهي قوله تعالى على لسان هابيل عليه السلام: **﴿إِنِّي بَسْطَتَ إِلَيْيَهِ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**^(٤). وهذا يعني أنّ الناس كانوا يحملون الرأفة والرحمة على الطرف المعادي ويقدمون له النصيحة، وكان إلى جانب ذلك يحملون له الوردة التي تدل على الحبة والسلام، ولكن الجواب كان دائماً هو منطق القوة والتجرّب، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

نعم بعد أن تجاوز النظام الحدّ في التعدي على كل المقدّسات والحرمات، فلم يسلم مالٌ ولا دمٌ ولا عرض، بل لم تسلم بيوت الله ولا المآتم الحسينية، وحتى كتاب الله أحرقوه، فوصل الوضع إلى حدّ لا يطاق، وامتلأ الناس غضباً للدين والمقدّسات والأعراض بدؤوا بالدفاع عن ذلك، وكان الناس يستخدمون الحدّ الأدنى من الدفاع عن المقدّسات والأعراض والأنفس.

ولكن النظام استمرّ في التعدي خصوصاً على الأعراض مما جعل أكبر العلماء في البحرين وهو سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله ورعايه برعياته) يطلق صرخته المدوية بقوله في إحدى خطب الجمعة: "من وجدتموه يعتدي على عرض فتاة مؤمنة فاسحقوه.. نعم اسحقوه"^(٥)، وهذا من الدفاع عن النفس والعرض وهو حقّ لا يجادل فيه منصف. ومع تفعيل الدفاع واستخدامه من قبل الناس إلا أن الثورة لا زالت رغم ذلك تتسم بالسلبية.

المظهر السابع:- الالتفاف حول علماء الدين:

الثورة في البحرين لا تختلف في انطلاقتها عن الثورات الأخرى في اليمن وتونس ومصر وليببيا في كون المحرك الأول لها هم الشباب الثوري المظلوم الطامح

للحصول على حقوقه المسلوبة، ولكنها ربا تختلف عن غيرها في كون الأغلبية من الناس يأقرن بأوامر العلماء ولا يتتجاوزونها، فعامة الناس في البحرين وإن كانوا لا ينتمون إلى جهة حزبية بشكل رسمي، وأكثر العلماء أيضاً لا يتحركون وفق جهة معينة بل يتحركون بما هم علماء يحملون وظيفة شرعية إلا أن الناس في الشدّات والمواطن الحرجية وحالات الحيرة في تشخيص الأمور يرجعون إلى آراء العلماء، فإذا ما علموا أن العلماء يخالفون أمراً ما امتنعوا عنه، وإذا ما رأوه راضين عن شيء مضوا فيه.

وكثير من الاختلافات التي تحصل بين الناس في عمل معين أو خطوة معينة إنما هي راجعة إلى اختلافهم في رأي الشرع ومن يمثله من العلماء.

فالناس بشكل عام لا يفصلون بين الدين والسياسة (كما هو عند العلمانيين) بل يرون أن عالم الدين رأيه في السياسة، بل قوله هو القول الفصل في النزاعات السياسية، وهذا الأمر من أهم المظاهر والدلائل على توجه الناس نحو الإسلام، وأن تحركهم تحرك إسلامي وعن وعي وبصيرة من أمر دينهم.

المظهر الثامن:- الاهتمام بالمسائل الشرعية:

في مواطن الخوف والرعب وال الحرب ربا تغيب عن الناس المسائل الفقهية، ولكن المؤمن الوعي لا يغيب عنه ذلك، فيروى أنه لما بانت القلة في أصحاب الإمام الحسين عليهما السلام التفت أبو ثمرة الصيداوي وقال للإمام الحسين عليهما السلام: "يا أبا عبد الله نفسي لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة، فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصليين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلی" ^(٦).

وهذا ما كان يحدث عند شباب البحرين، حيث أنهما في حركاتهم التي تجاهله



من قبل القوات الأمنية تتوقف عمداً وبتخطيط مسبق عند دخول وقت الصلاة حتى لو استمرت القوات بالتصدي لهم، وفي كثير من الأحيان يتناوب الشباب بين الخروج إلى الشوارع وبين الصلاة.

وترى الكثير منهم يسألون عن الحكم الشرعي في مواجهة القوات المرتزقة، هل يجوز جرهم؟ عندما يهجم المرتزق على في المنزل ما هو المقدار الجائز شرعاً في مواجهته؟ ومن أغرب الأسئلة التي ينقلها بعض طلبة العلم أن الشباب كانوا يسألون عن حكم استنشاق المسيل للدموع هل يفطر الصائم أو لا؟ والسؤال لم يكن في شهر رمضان بل كان في شهر رجب، حيث يتواجد الشباب في الساحات نهاراً وهم صائمون وكان الجو هبيباً والنهر طويلاً، ومن يعيش في البحرين يعرف ذلك تماماً.

المحور الثاني: مواجهة الأعداء لثورة البحرين

لا يشك أحد أنّ أعداء الدين والإنسانية من الغرب والشرق غيرُ مرتاحين لما يجري من ثورات؛ لأنّ الثورات باختصار تقودها الشعوب لا مجموعات معينة يمكن السيطرة عليها بترغيب أو تهديد، خصوصاً أن هذه الشعوب شعوب إسلامية كما تقدم في المحور الأول، والإسلام الحقيقي هو الخطر الأكبر على مصالح أي ظالم متجرد أن يعيث فساداً في الأرض دون حسيب أو رقيب، ولذلك سخروا كلّ إمكانياتهم المالية والسياسية والإعلامية والعسكرية لمواجهة هذه الثورات.

وقوة الإسلام الذي تحمله هذه الشعوب تكمن في أمور أهمها:

- 1- عدم قبوله بالظلم مطلقاً، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٧)، وأنه لا بدّ أن يسود العدلُ ويطبق كقانون على الجميع، الحاكم والمحكوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعَمَا يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ^(٨).

- ٢- تأكيد الإسلام على الوحدة والألفة بين المسلمين والمؤمنين، بل بين أصحاب الأديان، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهُدُوْا بِآنَّا مُسْلِمُوْنَ﴾ ^(٩).
- ٣- لا يفرق الإسلام بين أبيض وأسود وبين صاحب لغة وأخرى، وبين أصحاب بلد على أصحاب بلد آخر، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِحَيْثِ مَا يَكُونُ﴾ ^(١٠).

- ٤- قوة العقيدة المبينة على الأسس والمبادئ العقلية المقنعة، فيكون صاحبها أشد رسوحاً من الجبال الرواسي.

كيف واجه الأعداء الثورات؟

حاول أعداء الدين بما فيهم الحكام العرب، أن يؤثروا على مواطن القوة عند المسلمين، وهذه المحاولات لم تكن وليدة هذه الثورات، بل لم يستطع الغرب والأعداء السيطرة على الأمة وما تملك من ثروات طوال العقود والقرون السالفة إلا بإضعاف المسلمين وإبعادهم عن موارد القوة التي يتلذذون بها، وما يجري حالياً هو عودة من قبل المسلمين إلى دينهم، فهم حقاً يعيشون "صحوة إسلامية".

فلنرى ماذا فعل الأعداء؟ وكيف واجهوا الثورات؟ وكيف حاولوا التأثير على موارد القوة لل المسلمين التاثيرين؟

سلاح التفرقة:

يقول المثل: (فرق تسد)، لأنّ الأمة الواحدة المتحدة لا يمكن هزيمتها، أو سلب

حقوقها وكرامتها، وعندما أتكلم عن الأمة أقصد كل الأمة لا كل بلد على حدة، فإنّ استضعف بلدٍ من قبل القوى العظمى كفلسطين مثلاً سببه تشتت الأمة الإسلامية، قبل تشتت الفلسطينيين، فهل تعجز الأمة متحدةً أن تحرر فلسطين من كيان ضعيف كإسرائيل؟ بالطبع لا.

وقد حاول أعداء الأمة نشر التفرقة بينهم، ففي غير البحرين (تونس ومصر واليمن ولبيبا) حيث الغالبية من الطائفة السنوية الكريمة لعبوا على الوتر الديني كما في مصر بين المسلمين والمسيح، وعلى الوتر القبلي كما في ليببا واليمن، وبدؤوا بالوتر الطائفي في اليمن مؤخراً بين السلفية والزيدية.

وأما في البحرين فإنّ الأمور لديهم مهيئة للعب دور خبيث على الوتر الطائفي حيث أغلبية الشعب والمعارضة من الشيعة الإمامية، فقد سحرت كلّ الوسائل المتاحة لذلك، وقد عاش الناس مأساة حقيقة جراء ذلك، ولكن رغم ذلك وبسببوعي الكبير للناس، فشلت السلطة والنظام في ذلك، وكان الشعار الأكثر شيوعاً بين الناس خصوصاً في الأيام الأولى هو شعار (إخوان سنة وشيعة، هذا الوطن ما نبيعه).

وقد وُسمت ثورة البحرين من قبل السلطة والقوى الحاقدة بأنها ثورة طائفية، وكانوا يكررون في الإعلام مصطلح "المعارضة الشيعية" و"الجمعية الفلانية الشيعية"، و"المعارض الشيعي"، لهذا الهدف المقيت.

مجوسية فارسية صفوية:

هذه هي الكلمات التي أصمت آذناً كلما نهض الشعب للمطالبة بالتغيير، فقد سحرت السلطة في البحرين كتاباً ومحاضرين وعلماء بلاط للتطبيل على هذا الوتر الطائفي الذي يدلّ على أنّ مطلقه طائفيٌ إلى حدٍ النخاع.

فالشيعي يساوي المجوسي لماذا؟ لأن إيران شيعية، ألم تكن إيران قبل بعض

قرن قريبة دولة سنوية؟ أيعني هذا أن السنة في العالم الإسلامي كانوا مجوساً أو فرساً؟ والشيعي يساوي الصفوبي، لماذا؟ لأن هناك دولة قامت باسم الشيعة (عائلة الصفوين) مع أن فقهاء الشيعة لم يعتبروها دولة دينية. ثم إنه لم تقم دول سنوية باسم عوائل معينة كالآمويين والعباسيين والعثمانيين؟ أياً صحيحاً أن نطلق على إخوتنا أهل السنة بأنهم آمويون أو عباسيون أو عثمانيون، مع أن أكثر علماء السنة وافقوا هذه الدول واتبعوا حكامها؟! أليس أكثر الدول الآن تحكمها عوائل سنوية؟

أتباع ولاية الفقيه:

ما يُغيّر به الشيعة أنهم أتباع ولاية الفقيه، أي أنهم يتبعون الفقهاء العدول، فهل هذه جريمة يصح أن يعذّر بها مسلماً؟! أليس على المسلم اتّباع الفقهاء العدول الزاهدين في الدنيا؟!

ولكن العجب من يطلق هذه الأمور وهو من أتباع ولاية السفيه، فعندما تُسأله هل تُحب طاعة الحاكم (سواء كان عادلاً أم فاسقاً أو حتى محارباً للإسلام)، فإنه سوف يجيبك نعم، صوناً للمجتمع من الفوضى والفساد؟!!

دور المعارضة السنوية

ولا بد أن نؤكّد على الدور المهم للمعارضة المنتهية للطائفة السنوية -رغم عدم حبنا لهذا المصطلح، ولكن لأجل البيان- فإنّ أول معتقل في ثورة ١٤ فبراير هو من الطائفة السنوية، وأن القيادي الوحيد من الجمعيات التي طالبت بالملكية الدستورية قد اعتقل وحكم عليه بالسجن هو من الطائفة السنوية، وأن من ضمن الطبيبات المعتقلات بسبب معالجة الجرحى هي من الطائفة السنوية، ... الخ.

طائفية النظام

ونحن نرى بالعكس تماماً فإنَّ الذي يستحق الاتهام بالطائفية هو النظام، فإنَّ العائلة الحاكمة من طائفة معينة تقرب أهل طائفتها في كل شيء دون استحقاق أو مبرر، والطائفية الشيعية محظوظ عليها الوزارات السيادية، والماركز الحكومية المهمة، والجيش والدفاع، والشرطة، ... الخ.

تحريف العقيدة الإسلامية:

وأريدُ في هذه النقطة التركيز على عقيدة مهمة أعتقد بأنها هي السبب وراء تخلف الأمة طوال هذه المدة الطويلة، وهي عقيدة (طاعة ولِي الأمر) التي كانت متركزة في أذهان المسلمين، وحيث أنَّهم مسلمون ولا يخالفون الإسلام فإنَّهم يرون أنَّ الخروج على الحاكم وإنْ كان ظالماً فاسقاً يعتبر ذنباً كبيراً. والغريب في الأمر أنَّ الإمامة عند عامة المسلمين (غير أتباع أهل البيت عليه السلام) تعتبر من الفروع لا الأصول، ولكن مسألة وجوب طاعة ولِي الأمر يتعاملون معها على أنها أصل لا يمكن تجاوزه، ويعملون حرمة الخروج على الحاكم بأنَّ الخروج عليه يسبب الفوضى والاضطراب، والهرج والمرج^(١١). بينما الصحيح هو أنَّ الفوضى والفساد والظلم سببه هو ترك الحاكم يفعل ما يشاء من دون الإنكار عليه والوقوف في وجهه. والحاكم أنفسهم هم الذين كانوا يؤكدون على هذه العقيدة من خلال علماء البلاط لضمان السيطرة على الأمة والأمن من غضبها، والأمة حينئذ تدفع ثمن غفلتها وسباتها العميق، طوال هذه المدة الطويلة.

وما يجري الآن من ثورات لم يكن ليحدث لو تمسك الناس بهذه العقيدة الفاسدة، وهذا يعني أنَّ المسلمين يعيشون "صحوة إسلامية حقيقة"، اضطرَّ من خلاها علماء الدين من تحجيم الخروج على الحاكم الظالم ولكن في الوقت المتأخر.

الدين أفيون الشعوب؟!

حاول الأعداء خصوصاً الغرب أن يشوهوا صورة الإسلام الحقيقي الذي جاء به رسول ﷺ، فحاصروا الدين في مجموعة تتسمى بالإسلام والدفاع عنه وهي لا تعرف منه إلا الظاهر وكان ذلك لتضليل عوام المسلمين، روي عن إمامنا الصادق علّيَّهُ السلام أنه قال: «قطع ظهري اثنان : عالم متהלך ، وجاهل متتسك ، هذا يصد الناس عن علمه بتهتكه ، وهذا يصد الناس عن نسكه بجهله»^(١).

فالتفكير السلفي المتشدد إنما جاءت به المخابرات البريطانية عندما كانت هي الدولة العظمى في العالم، واختارت أقدس البلدان عند المسلمين (المجاز)، ولا زال هؤلاء يحاربون الإسلام باسم الإسلام، ونراهم لحد اليوم يؤكدون على حرمة الخروج على النظام الظالم الفاسق، بينما يجوزون ذلك في أماكن أخرى (سوريا) حسب مصلحة أعداء الأمة.

وعندما يقال بأن "الدين أفيون الشعوب" فهو صحيح إذا كان المقصود به دين هؤلاء الذين يُكْنون لأعداء الأمة من السيطرة عليهما، وأما الدين الحقيقي فإنه جاء من جديد ليقول للعالم بأن الدين عزّ للشعوب وكرامة لها وهادي لها، وأن الدين لا يقبل بالظلم أو الجور أو التعدي.

وأما في البحرين

وفي البحرين الحبيبة فإنّ هذا الفكر الضال غير موجود إلا في فئة قليلة؛ لأنّ أغلبية شعب البحرين كما قدمنا هم من أتباع مدرسة أهل البيت علّيَّهُ السلام الذين يعتقدون بأنّ الحاكم الظالم ليس ولیاً للأمر، وإنما الولي والحاكم الشرعي هو الفقيه العادل البصير بأمور الدين والدنيا، وهذا ربما يفسر لنا الهجمة الشرسة على ثورة البحرين، وتغاضي الغرب بل ومشاركته في قمع ثوار البحرين بما لم يحصل في أي

بلد آخر.

وقد استخدم النظام في البحرين والغرب هذه العقيدة لثني الأئمة السنة عن المشاركة مع إخوانهم الشيعة في هذه الثورة المباركة، ولم ينجح في ذلك، وإن كان للأسف الشديد قد تأثر البعض منهم بذلك.

صور من محاربة الدين

المقدار الذي انتهك من حرمات للدين وللمسلمين في البحرين تجاوز الحدود وقد مرّ بعض ذلك، ويدلّ كلّ ذلك على العداء الدفين للنظام تجاه الإسلام والمسلمين، فلا يمكن أن نفهم ونفسر ما جرى بغير ذلك.

جيش النظام (مع درع الجزيرة المسلم!!!) هدم بيوت الله تعالى ويدعى أنه يصرف الملايين لتشييد مساجد هنا وهناك! يطبع ملايين النسخ ليوزعها على المسلمين وهو يحرق القرآن الكريم! يمنع المرأة من كثير من الأمور المباحة حفاظاً على سترها، ثم ينتهك أعراض النساء والرجال معاً في البيوت والطرقات والسجون المظلمة!! والغريب أنّ البعض من يعتبر نفسه من علماء الدين، دعا هدم المساجد بحجّة أنها غير مرخصة، والبعض برأه الهدم لأسباب طائفية.

وهذا التعدي الفاضح على الدين وحرماته في مواجهة ثورة شعبية تدلّ بنفسها على أنّ هناك طرفان أحدهما متدين يأخذ قوته وصموده ووعيه من بيوت الله تعالى، ومن كتابه الكريم، وطرف آخر اكتشف مصدر القوة عند الطرف الأول فحاول أن يزيلها، ولكن ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَكَوْكَبُ الْكَافِرُونَ﴾^(١٣)، وقد لقي أحد الضباط الذين أمروا بهدم بعض المساجد حتفه بعد أيام قليلة من ذلك.

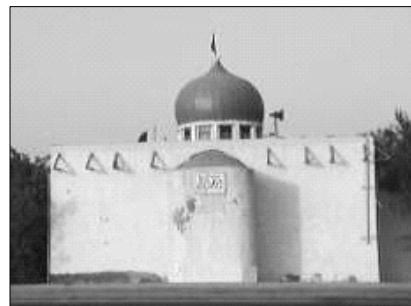
بعض الصور للمساجد المهدمة في البحرين المسلمة:



مسجد أمير محمد البريفي (منطقة عالي):



بعد الهدم



قبل الهدم

مسجد مؤمن (منطقة النويدرات):



بعد الهدم



قبل الهدم

مسجد الإمام الصادق (عليه السلام) (منطقة سلماباد):



بعد الهدم



قبل الهدم



حرق القرآن الكريم:

حرق كتاب الله تعالى في المساجد التي هدمت عن تعمد أو عدم مبالاة، فكل مسلم يعلم أن في المسجد يوجد مجموعة من القراءين، بل نقل البعض أن الشباب كانوا يطالبون من يريد إزالة المسجد بإخراج القرآن منه فيرفض ويهدم المسجد بما فيه والصور شاهدة على ذلك، وليس من العجيب حرق القرآن أو إهانته من قوم لم يراعوا حرمة المسجد.



أليس هذا حرب على الإسلام؟

ألا يدل كلّ هذا على أنّ الحرب إنما هي على كلّ شيء يرتبط بالإسلام؟ وهل يمكن لمن ارتكب هذه الجرائم أن يكون حريصاً على الإسلام، فضلاً عن أن يدعى أنه يمثل الإسلام؟

وعلى جميع الشعوب الإسلامية أن تستنكر هذا التعدي الفاضح على المقدسات الإسلامية، وأن تحذر من تخطيط هذه الدول المتأمرة على الإسلام، وأن تثور ضدّ علماء السوء والباطل كما ثارت على حكام الجور والظلم.

الخاتمة

إن ما نشهده من ثورات الشعوب الإسلامية ناتج من تسلط البعيدين عن الإسلام، وهذه الشعوب بعد أن جربت كثيراً من الأنظمة المختلفة رأت بأن لا بديل عن الإسلام، فالإسلام هو الحل، وهو وحده يمكن أن يُرجع العزة والكرامة المسلوبتان إلى المسلمين، وهو وحده الذي يمكن أن ينشر العدل والمساواة، وينشر الأمان والأمان. وفي قبال ذلك هناك مشروع مضادٌ تقوده أنظمة ظلمة مسلطة، لا ت يريد الخير للمسلمين، فراحـت تتـامر عليهم وعلى إسلامهم لتـضمن مصالـحـها الضـيـقةـ، وإـذاـ كـانـتـ فـيـ السـابـقـ تـتـسـتـرـ عـلـىـ عـوـامـ النـاسـ فـإـنـماـ الـآنـ تـتـحرـكـ فـيـ وـضـحـ النـهـارـ، فـأـصـبـحـتـ عـمـالـتـهـ لـلـغـرـبـ الـكـافـرـ وـاضـحـةـ لـلـجـمـيعـ.

نسأل الله تعالى أنْ يقطعَ دابرَ المفسدين، وأنْ ينْهَا على جميع المسلمين بالنصر العاجل المؤزر، إنه هو القوي العزيز، وهو العليم الحكيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

- (١) صحيفة الوسط البحرينية - الأحد، ٢٢/٢/٢٠١٢م.
- (٢) صحيفة الوسط البحرينية، الاثنين، ٣٠/١/٢٠١٢م.
- (٣) البقرة: ١٩٤.
- (٤) المائدة: ٢٨.
- (٥) خطبة الجمعة (٤٨٧) صفر ٢٦ هـ - ٢٠/١/٢٠١٢م.
- (٦) البحار، ج ٤٥، ص ٢١.

.١٨) هود: (٧)

.٥٨) النساء: (٨)

.٦٤) آل عمران: (٩)

.١٣) الحجرات: (١٠)

(١١) يقول الفخر الرازي: "الحكم الرابع : للملك أنه يجب على الرعية طاعته فإن خالفوه ولم يطبعوه وقع الهرج والمرج في العالم وحصل الاضطراب والتشویش ودعا ذلك إلى تخريب العالم وفناء الخلق" تفسير الرازي، سورة الحمد، ج ١، ص ٢٣٩.

.٢٠٨) البحار، ج ١، ص

.٣٢) التوبية: (١٣)



إشعاعات دماء الشهداء وثورات الصحوة الإسلامية

حسن ملال الزكي

يمكن لأي ملاحظ للحركات التحررية والمطالبة بكرامة الإنسان والتخلص من الحكم الطاغوتي المتغطرس، لا سيما الثورات في المنطقة الإسلامية مؤخراً، أن يستنتج من خلال ملاحظته أنّ الثورات مرهونة بحدّ كبير إلى رصيد دماء الشهداء، وليس المقصود هنا كثرة الشهداء بل إنّ شهيداً واحداً له الأثر البالغ في زيادة بريق هذه الثورة وبلورتها أهداف تلك الثورة وتعديل مسارها وانتصار أغلب الثورات وتحقيق أهدافها. فدم الشهيد الزكي له القدرة -التي في الواقع يتعجب منها الإنسان- والأثر الكبير في تغيير المسارات وحشد الجماهير، ولعلّ الكثير لا يتصور أنّ كلّ ذلك معلولٌ لسقوط ذلك الشهيد على وجه

الأرض. وها هو حديث رسول الله ﷺ يشير لنا معنى ذلك فقد جاء في الحديث عن رسول الله: «فوق كل ذي بُرٍّ، حتى يقتل الرجل في سبيل الله فليس فوق ذلك بُرٌّ»^(١).

وفي الحقيقة يكن لنا الإدعاء بأنّ الشهداء ودماءهم وقود الانتصار لثورات المستضعفين، وآلتهُ لها الأثر المعنوي الكبير في إعداد الإنسان روحاً، وسحق المادية لديه وغلبة الشيطان في أغلب المجتمعات. وقبل الخوض في قلب الحديث لا بد من الإطلاع على مفردات البحث.

المفردات الرئيسية للبحث

الشهداء:

الشَّهِيدُ هو من يُقتل في سبيل الله تعالى، وسُمِّي شهيداً لأنّه يكون يوم القيمة شاهداً على كلّ من ظلمه وعلى المنحرفين، وقد عبر سماحة السيد القائد (أدام الله بركتاته) بأنّ الشهيد "هو ذلك الإنسان الذي يقتل في سبيل الأهداف المعنوية، ويبذل روحه من أجل الهدف والمقصد الإلهي"^(٢).

وقال العلامة الطريحي رحمه الله: "قيل سمي بذلك لأنّ ملائكة الرحمة تشهده، فهو شهيد بمعنى مشهود. وقيل لأنّ الله ومملائكته شهود له في الجنة، وقيل لأنّه من استشهد يوم القيمة مع النبي ﷺ على الأمم الخالية، وقيل لأنّه لم يمت كأنّه شاهد أي حاضر، أو لقيمه بشهادة الحق في الله حتى قتل، أو لأنّه يشهد ما أعدّ الله له من الكرامة، وغيره لا يشهادها إلى يوم القيمة، فهو فعال بمعنى فاعل"^(٣).

الثورات:

الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن وتغييره -سواء إلى وضع أفضل أو أسوأ- باندفاع يحركه عدم الرضا أو حتى الغضب إلى التطلع إلى

الأفضل. وللثورة تعريفات معجمية تتلخص بتعريفين:

التعريف التقليدي القديم: وهو قيام الشعب بقيادة نخب وطلاع من مثقفيه للتغيير نظام الحكم بالقوة. أما التعريف أو الفهم المعاصر: فهو التغيير الذي يحدثه الشعب من خلال أدواته "القوات المسلحة"، أو من خلال شخصيات تاريخية لتحقيق طموحاته للتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه الطموحات ولتنفيذ برنامج من المنجزات الثورية غير الاعتيادية^(٤).

ولكن لو أردنا الوقوف على مفهوم مناسب للفكر الإسلامي وواقعنا المعاصر: أنّ الثورة هي تلك الحركة الشعبية الاهادفة للتغيير النظام السياسي في سبيل حفظ كرامتها وإعلاء كلمة الحق تعالى ورفضاً للظلم والاستبداد.

الصحوة الإسلامية:

أما الصحوة فتعني:

[صحو]: والصحو: ذهاب الغيم، وقد صحا يومنا صحوا فهو صاح.

وفي المصباح: قال السجستاني: العامة تظن أن الصحو ذهاب الغيم لا يكون إلا كذلك، وإنما الصحو تفرق الغيم مع ذهاب البرد. وأيضاً: ذهاب السكر؛ وقد صحا من سكره صعوا، كعلو، فهو صاح. وأيضاً: ترك الصبا والباطل؛ وهو مجاز؛ ومنه قول الشاعر:

صها القلب عن سلمى وأقصر باطله

وصحي السكران، كرضي، صها وأصحي؛ لغة عن ابن القطاع؛ أفاق من غشيتها؛ وكذا المشتاق^(٥).

الصحوة، جمع: صحواتٌ. [ص ح و] (اسمُ المرأةِ مِنَ الصَّحْوِ).

١. "صحوةُ النائم": يَفْظُّهُ.

٢. "الصَّحْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ": الوَبَةُ، الْيَقَظَةُ^(٦).

فما أطلق أخيراً على الحركات الشعبية التي كانت تطالب بكرامتها في الوسط الإسلامي بأنّها حركات الصحوة الإسلامية كانت تشير إلى معنى زوال وذهاب كل مانع عن يقظة الأمة الإسلامية عن مرتزقاتها ومبادئها، فييقظة المسلمين ما يمثلونه اليوم في القيام الجماهيري ضدّ كلّ عناصر الفساد والظلم والاضطهاد المنظم وأحياء للقيم والمبادئ الإنسانية والإسلامية الناصعة. والذي قتل في الشعار الغالب في وسطهم "الشعب يريد إسقاط النظام".

وبعد بيان هذه المصطلحات التي سيتناولها البحث، نشير إلى إشعاعات الشهيد التي يسطع بها بعد استشهاده، فالشهادة نور له البريق الأخاذ على الصعيد الروحي والتربوي للمجتمع، والذي يساهم على مدى زمني طويل وبشكل يعتبر رئيسي في تأسيس الانتصار لأي ثورة وأي حركة تغيرية واسعة في نطاق الوسط الإسلامي بالذات.

شاعر الشهيد وبيث الحياة

لا ريب أنّ هناك أثراً كبيراً لسقوط الشهداء مضرجين تحت أقدام ظلم الحكام الجائرين، وهذا الأثر إنما يأتي موافقاً لسياق نداء القرآن الكريم ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٧)، فهو إعلان عملي على ذبح الناس جميماً، واستهزاء بقيمة الإنسان بقتل أخيه الإنسان، فالآية "تحدث عن حقيقة اجتماعية تربوية، لأنّه: أوّلاً: إن من يقتل إنساناً بريئاً ويبلطخ يده بدم بريء يكون -في الحقيقة- مستعداً لقتل أنساً آخرين يساونه في الإنسانية والبراءة، فهو -في الحقيقة- إنسان قاتل، وضحّيته إنسان آخر بريء، ومعلوم أنه لا فرق بين الأبرياء من الناس من هذه الزاوية. كما أنّ أي إنسان يقوم -بدافع حبّ النوع الإنساني- بإنقاذ إنسان آخر من الموت، يكون مستعداً للقيام بعملية الإنقاذ الإنسانية هذه بشأن أيّ إنسان آخر، فهذا الإنسان المنفذ

يحب إِنْقَادَ النَّاسَ الْأَبْرِيَاءِ، لِذَلِكَ لَا فَرْقَ لَدِيهِ بَيْنَ إِنْسَانَ بُرِيءٍ وَآخَرَ مِثْلِهِ... وَ ثَانِيَاً: إِنَّ الْجَمَعَ يَشْكُلُ فِي الْحَقِيقَةِ كَيْاً وَاحِداً، وَأَعْصَاؤُهُ أَشْبَهُ بِأَعْصَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ أَيَّ ضَرَرٍ يَصِيبُ أَحَدَ أَعْصَائِهِ يَكُونُ أَثْرَهُ وَاضْحَاهُ -بِصُورَةِ أَوْ بِأَخْرَى- فِي سَائِرِ الْأَعْصَاءِ، وَلَأَنَّ الْجَمَعَ الْبَشَرِيَّ يَتَشَكَّلُ مِنَ الْأَفْرَادِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ فَقْدَانَ أَيِّ فَرَدٍ مِنْهُمْ يَعْتَبَرُ خَسَارَةً لِلْجَمِيعِ الْإِنْسَانِيِّ الْكَبِيرِ، لَأَنَّ هَذَا الْفَقْدَانُ يَتَرَكُ أَثْرًا بِمَقْدَارِ مَا كَانَ لِصَاحِبِهِ مِنْ أَثْرٍ فِي الْجَمَعِ، لِذَلِكَ يَشْمَلُ الضَّرَرَ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْجَمَعِ.

وَمِنْ جَانِبِ آخَرَ فَإِنَّ إِحْيَاءَ فَرَدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْجَمَعِ، يَكُونُ -لِنَفْسِ السَّبِبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ- بِثَابَةِ إِحْيَاءٍ وَإِنْقَادِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْجَمَعِ^(٨).

فَلَا مَجَالٌ أَنْ يَحِيدَ الْإِنْسَانُ عَنْ خَطَّ الْفَطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا، وَهِيَ حُبُّهُ لِلْلَّبْقَاءِ، وَمِيَولُهُ لِلْكَرَامَةِ وَالْحُرْيَةِ وَالْعَزَّةِ. فَيَهُبُّ الْإِنْسَانُ لِلدِّفاعِ عَنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ خَلَافَتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا مَا نَعْبُرُ عَنْهُ شَعَاعُ الْحَيَاةِ الَّذِي أَطْلَقَهُ الشَّهِيدُ وَهُوَ نُورٌ مِنْ ذَلِكَ الشَّعَاعِ، فَهُوَ وَإِنْ عَرَّبَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وَعَبَرَ عَنْهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهَا الْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ^(٩)، إِلَّا أَنَّ الْأَثْرَ الْكَبِيرَ فِي الْهَزَةِ الْعُمِيقَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الشَّهِيدُ بِسَقْوَطِهِ مَظْلُومًاً، فَيَهُزُّ أَعْمَاقَ النَّاسِ وَيُوقَظُهُمْ، وَكَأَنَّهَا تَتَجَدَّدُ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ جَدِيدٍ وَتَبْتُ فِيهِمُ الْحَيَاةُ وَالْوَعْيُ فِي ذَوَاتِهِمْ، وَمَا أَجْلَى مَعْنَى الْحَيَاةِ حِينَهَا وَقَدْ أَخْذَتْ مِنْ حَيَاةِ الشَّهِيدِ الْخَالِدَةِ، لَذَا عَبَرَ السَّيِّدُ

الإِمَامُ رَوْحُ اللَّهِ الْخَمِيْنِيَّ قَدَّسَ: "اَفْتَلُونَا فَإِنْ شَعَبْنَا سَيِّعِيْ اَكْثَرَ..." .

فَإِنَّ كُلَّ شَهَادَةٍ تُسَبِّبُ حَالَةً نُورَانِيَّةً فِي الْجَمَعِ، وَشَبَهُنَا ذَلِكَ الْأَمْرَ بِالْحَالَةِ النُورَانِيَّةِ الَّتِي تَحَصُّلُ فِي قَلْبِ الْأَفْرَادِ مِنْ خَلَالِ بَعْضِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ أَوْ أَعْمَالِ التَّضْحِيَةِ وَالإِيْثَارِ الَّتِي يَقْوِمُونَ بِهَا.

وَالْقَلْبُ الَّذِي يَدْخُلُ إِلَيْهِ الصَّفَاءَ، وَتَحَصُّلُ لَهُ عَمْلِيَّةُ الْجَلاءِ، وَمِنْ ثُمَّ الْهَدَايَا،



فإنَّ الظلمات ستزول عنه، والطريق سيتضح أمامه، ويصبح جلياً.

وهذا موضوع جوهرى، ورفع المستوى في باب أبحاث قيمة الشهيد والشهادة، لاسيما من زاوية دراسة آثار النهضة الحسينية في عالم الإسلام^(١٠).

ولعل الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ يصب في هذا المصب حيث قال: «ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيل الله»^(١١)، فجميل من شبه المجتمع بالمريض الذي يفتقر للدم لكي يعيش، فيأتي دم الشهيد ويأتيه بالدم الكافي ويمد له في حياته، قطرة دم الشهيد لها الأثر البالغ في شفاء المجتمع الذي فقد صحته من انتشار الأسمام الكثيرة والعلل التفصية فيه من حالة اللاوعي ووضعه الفاسد، ومن الباطل المتلبس بالحق في أجواءه، ومن الظلم الفاحش في طبقاته، فلا مجال لهذا المريض إلا دم الشهادة الذي يعطيه جرعات من الحياة ليواصل مسيرته في الخلافة الإنسانية لهذه الأرض.

شعاع الشهيد وهدم المادة

فبعد استرخاص هذا الشهيد حياته وهو متقدم للموت، باذلاً أغلى ما عند بني البشر، يرى الناس إنـر ذلك مدى حقارـة رغباتـهم وحقارـة الدنيا، بل تسقط قيمة المادة لديـهم حتى تـصبح حقـيرـة في أـعـيـنـهـم؛ فيـهـزـ دـمـ الشـهـيدـ كـيـانـ الإـنـسـانـ حتى يـقـفـ مـتـفـكـراـ فيـ حـالـ هـذـاـ الشـهـيدـ وأـهـادـافـ السـامـيـةـ منـ عـزـةـ وـكـرـامـةـ، وـغـيـارـاتـهـ الجـلـيلـةـ منـ جـنـةـ وـنـعـيمـ وـخـلـودـ فيـ الجـنـانـ، فـتـصـغـرـ غـيـارـاتـ الإـنـسـانـ الـأـخـرـىـ وبـالـخـصـوصـ ماـ كـانـ مـتـعـلـقاـ بـالـمـادـةـ، فـيـقـلـبـ الدـمـ بـمـرـيقـهـ الـأـخـاذـ كـلـ الـمـواـزـينـ، وـأـكـبرـ ماـ يـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ أـنـهـ كـلـمـاـ سـقـطـ شـهـيدـ أـجـابـهـ شـهـيدـ أـخـرـ وـبـعـنـفـوـانـ أـكـبـرـ وـإـقـدامـ أـسـرعـ وـشـجـاعـةـ أـكـبـرـ وـأـكـبـرـ.

فمع أن الموت يخيف أغلب الناس، إلا أنه عبر وسيلة الشهادة محرك كبير لдинاميكية المجتمعات الدينية، وعودة الروح لها بهدم المادة التي تغلغلت في أهداف

أفراده ومعاملاتهم وكلامهم، فالشهيد حقيقة باستشهاده وسائلان دمه العطر على الأرض إنما يعبر عن مفردات أخلاقية كبرى منها (الإيثار) بعطاءه روحه وهي أغلى ما عنده في سبيل حياة المستضعفين وفي طريق الله، وهذا إنما يرجع للعفة في نفس الشهيد حاملا معه كلّ معاني الكرم والسخاء والنبل والسماحة، كما يعبر دم ذلك الشهيد بأسمى معاني (الشجاعة) التي تحمل في طياتها الشهامة والحلم والصبر وعظم الهمة والثبات^(١٢). فكل المعاني التي ذكرت وغيرها لها القوة في تكسير عروش المادية التي خلقها الفراعنة في أجواء المجتمعات، ولا يبقى ما يقف حاجزا عن إرادتهم في الحياة والعدل والعبودية لله وحده، فلا معنى حينها لكل العسكريات والآليات التي تقف مع الحكام الظالمين، فتهافت الأمم لتكسر كلّ القيود، وكأنّما انضحت القوة الحقيقة لدى المجتمعات بالتوكل على الله وابتغاء النصر من عنده تعالى.

شعاع الشهيد وانتصار الشعوب بالعودة إلى الله (جل شأنه)

وكأنّا كان المقتضي هو شعاع الحياة وعدم المانع هو شعاع هدم المادة، حتى وصلنا إلى النتيجة وهي بلورة الانتصار لأي ثورة، وذلك من خلال اليقظة وإحساس الناس بالمبادئ الأصيلة، وعودتهم إلى خالقهم بالاستعانة العملية بالله والتوكّل عليه والتسليم لأوامره عز شأنه وجلت عظمته، كلّ ذلك نتيجة لصرخة الشهيد الذي أطلقها، باسترخاصه لنفسه وتشخيصه لحقه واستصغاره للقوة الوهمية عند المستكبارين، وذلك في الواقع لا يتّأتى إلا في المجتمع الذي يقترب من الدين، وللدين نصيب لديه في أحوال حياته، وهو ما نعبر عنه ضرورة سلامه الفطرة لتكون هي الأرضية التي يمكن للشهيد بروحه أن يزرع عليها زهور الحياة ورياحين السلام، وهذا ما عبر عنه السيد القائد (دامت بركاته) في إحدى خطبه "أنّ الشهادة تعدّ أحد المفاهيم التي لا معنى لها بمعزل عن الأديان فعلى الرغم من

أنّ جميع الشعوب والبلدان يطلقون على كلّ شخص يقتل في سبيل الأهداف القومية شهيد إلا أنّ حقيقة وصف الشهيد ومعناه لا يصدق إلا حينما كان الدين موجوداً^(١٣).

ويتضح ذلك أيضاً من كلمات الشهيد مرتضى مطهري "أنّ حركة الشهيد تمتاز بثلاث ميزات: فهو أولاً يقتل في سبيل تحقيق هدف مقدس، وثانياً يكسب حالة الخلود، وثالثاً أنه يخلق جواً من الصفاء والطهر في المجتمع"^(١٤).

فلا عجب إن عاد الناس إلى الله بإعلاء كلمته واحترام حدوده، والسير على صراطه؛ فإنّ كلّ ذلك ببركة ذلك الدم الطاهر الذي سال من صغرت الدنيا في عينه، وأخلص عمله لله، وخرج عن حبّ الذات حتى نسيها؛ فقام مستنكراً الظلم وكلّ مظاهر الاستكبار ضد المبادئ الإلهية، فأشاع الصفاء وزالت ببركة دماءه الأكدر من قلوب الناس، وانتشرت كلمة الخير والصلاح بعمله المبارك، كيف لا وقد حسّبه رسول الله ﷺ أنه خير الناس حيث ورد عنه عليه السلام: «خير الناس، رجل حبس نفسه في سبيل الله، يجاهد أعداءه، يتمسّ الموت أو القتل في مصافه»^(١٥).

فمن أكبر مصاديق خيريته أنه يدقّ جرس العبودية لدى العباد، ويحدث تلك الصرخة في أعماق الناس، حتى تتحقق تلك الصحوة واليقظة المباركة، ويزول كلّ مانع أمام إنسانية الإنسان، وكرامته وعبوديته لله، ويتخلص المجتمع في الحقيقة من "الإنسان الممسوخ" الذي أدى الطغيان الفاحش فيه من إبعاد مفهوم الإنسان السوي عنه، إذ أنّ الظالم وبحركته الفرعونية أدى لخلق مجتمعات تدعوا له ليل نهار بالربوبية والمحاللة، وقلب كل الموازين التي يحملها الإنسان السوي، فخلق موازين مشوشة بأفكار تناسب وسلطته، فأصبح بعيداً على الفرد أن يفكّر أنه يوماً ما يستطيع أن يحصل على حقه في المجال الفلاقي، هذا إذا وصل ذهنه إلى أنّ هذا حقه، فالموازين لم تجعل له ضابطة سليمة. حتى وصل الحد إلى قتل الثقة في الشعوب.

ولكن ببركة وخير ذلك الشهيد يهتز ذات الإنسان ليخلق منه الإنسان السوي، وذلك بعودته لفطرته السليمة في رفض الظلم وإحقاق الحق.

شعاع الشهيد وكرامة الأمة

نعم هذا الشعاع الذي تتركه بصمات الشهيد على وجه الأمة ويبقى يبث فيها رمزية العزة والكرامة، وتبقى ذاكرة الأمة تتناقل ما ثر الشهداء وتضحياتهم ومظلومياتهم مختلطة بحزن الفراق وعزّة الإباء، فيبقى هذا الدم ولا يتقادم، فما إن تحل واقعة أو أمر ترجع الأذهان وتستذكر تلك المواقف المشرفة للشهداء.

فذكري الشهيد في الحقيقة ليس بذكر اسمه ومراجعة مواقفه وتضحياته في سبيل العدل والحرية فقط، بل ذكري الشهيد لها القابلية على بث دروس التضحية وبناء الروح والعودة إلى الله، فصدق تلك الكلمة التي صدرت من أحد الأعلام "أمة لا تحبّي ذكرى شهدائها أمة لا تستحق التقدير"، باعتبار أن رجوع الأمة ليوم الشهيد شيء لابد منه، وأقل شيء مقابل ما قدمته دماء الشهيد المخلصة.

ثورة كربلاء "النموذج الأكمل" لأشعة الشهادة

"يوم كربلاء يوم الحسين عليه السلام لتنتهي قيادات السوء من وجود الأمة، وفي كل العالم، ويختفي جميع الأقزام من موقع القيادة، ولا يُهانَ الإنسان وتُتحقّق كرامته، ويُستلبَ وعيه، ويُضلَّلَ عن هدفه.

حتى لا تتحول الحياة الكريمة المسئولة للإنسان إلى مأساة وملهاة، بعيداً عن بناء الذات، والسير على طريق الغاية الرفيعة التي ارتضاها الله سبحانه لعباده، وأهلهم لبلوغها، ومنّ لهم نور هداها، وفتح واعيّهم عليها، ودّهم على طريق السلوك إليها.

يُوْمَ كُرْبَلَاءِ يُوْمَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ لَعْنَانُ الطَّامِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْهُوَى وَالْقَامَاتِ
الْإِنْسَانِيَّةِ الْقَصِيرَةِ، وَالْمَسْتَوَيَّاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْحَقِيرَةِ مِنْ التَّحْكُمِ فِي مَسِيرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَيِّ
أُمَّةٍ، وَالْعَبْثُ بِثَرَوَاتِ الْأَرْضِ وَكُنُوزِهَا، وَبِعَثْرَتِهَا كَمَا يُشَاءُ الْهُوَى، وَيُشَاءُ الظُّلْمُ، وَيُشَاءُ
السَّفَهُ، وَتَحْبُّ الشَّهَوَاتِ. وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ إِنْسَانٌ، وَيُذْلَلُ وَتُسْلَبُ إِرَادَتُهُ، وَيُخْوَفُ، وَيُقْلَقُ
وَتُقْيَدُ يَدَاهُ بِمَا أَنْتَجَتْهُ مِنْ أَسْبَابِ قُوَّةٍ سَيِطَرَ عَلَيْهَا الظَّالِمُ، وَمَا لَهُ تَصْبِيبٌ مِنْ أَجْلِهِ
عِرْفَهُ، وَأَعْطَى قُوَّتَهُ وَشَبَابَهُ، وَسَرَّقَتْهُ أَيْدِي الظَّالِمِينَ.

يُوْمَ كُرْبَلَاءِ يُوْمَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ لَا يُكْسِرُ طَفِيَانُ الظُّلْمِ، وَشَدَّةِ الْبَطْشِ
الَّذِي تَمَارِسُهُ الْقِوَى الْحَاكِمَةُ الظَّالِمَةُ إِرَادَةُ الشَّعُوبِ وَالْأَمَمِ، وَتَهَارُ نَفْسِيَّتِهَا فَتَقَعُ فِي
الدُّلُّ الدَّائِمِ، وَالْهُوَانِ الْمَقِيمِ، وَتُصَاغُ كَمَا يُشَاءُ لَهَا هُوَ الظَّالِمِينَ^(١).

نعم إن يوم كربلاء الحسين "سلام الله عليه" قدوة الأحرار وأنموذج الشهادة الناصعة المشعة بأشعتها على جميع الأصعدة، والتي تتجلّى في كلام سيد الشهداء علیه السلام: «فَكُونُوا أَحْرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ»؛ فالثورة التي لا زال صداها يدوّي لهذا اليوم من عق شهيد كربلاء وأصحابه "عليهم سلام الله"، كل ذلك دليل قداسته هدف الثورة وهادفيه القائم عليها، فشهادة الإمام الحسين علیه السلام وما مثله من إعلاء للقيم التي عبّث فيها أمثال طاغية عصره يزيد لعنة الله، ورفضاً لكافة أنواع الظلم والفساد، ودعوة صريحة للعزّة والإباء.

وكان أكبر هذه الأشعة من ثورة الحسين علیه الحياة لهذا الدين القويم، بعد أن كان مهدداً بالزوال والتحريف، فضَّحَ سيد الشهداء وأهله بيته علیه السلام دمهما الزاكى في عروق هذا الدين وشرايئنه، فلم ير أبطال كربلاء إلا الله في أعينهم، فتجلّت الحبة الإلهية فلم يعيروا للموت خوفاً ولا للدنيا أملاً.. إلى جانب ذلك زال كلّ ما كان مشوباً بال المادة في ذلك اليوم، فحطّم بذلك كلّ القيم المادية، وأظهر مدى وهن قواها، وكأنّ خلافة يزيد لم تكن.

والحديث الوارد عن سيد الأنبياء والمرسلين رسول الله ﷺ: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»^(١) يوحى بأنّ شاع دم الشهادة الذي سفك ظلماً بأرض نينوى هو النور الذي بواسطته يسير المهددون، ويركبون سفينة النجاة. فشعلة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ براقة في نفوس الناس بما تحمله من رفض للظلم، ورفع مبدأ الحرية وعدم الاستعباد بأي شكل كان عدا العبودية الحالصة لله تعالى، كما تحفي مبادئ الإنسان الأصلية من الرحمة والعطف الذي تجلّى في عاشوراء حيث وقف سيد الشهداء عَلَيْهِ الْكَلَمُ باكيًا على تلك الجموع قائلاً: أنهم سيدخلون جهنم بسببي. وبذلك الحسين عَلَيْهِ سفينة النجاة، محركاً للضمائر والقلوب التي ساهمت الأيدي الآثمة والتربية المعوجة للأنظمة في اسودادها وقساوتها، فإلى اليوم ترى الآخر في كثير من المستبصرين لطريق الحق كانت النكتة الجوهرية في استبصارهم والمحرك الذي هزّ كيانهم هو يوم الشهيد السبط في ميدان الطفوف، وكلماته التي تعبّر الأزمان، وتدخل في قلوب الناس حتى قلوب الأعداء؛ فتستنهض الإنسان وتصيره إنساناً حقيقياً.

نعم فالحسين عَلَيْهِ أصبح مناراً للأحرار في هذه الدنيا، ولكل طالب حق، وأنفوذاً صارخاً لأي صوت يطالب بالعدالة ونشر السلام، وبذلك يُعلم أن ثورة الحسين عَلَيْهِ بدأت في يوم العاشر من شهر محرم الحرام ٦١هـ وتستمر بتحقيق أهدافها وتطبيق مبادئها وتبقى هذه الأشعة الكربلائية في قلوب المصلحين وطالبي العدالة حتى يظهر القائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ ويعلأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.
 اللهم ارزقنا القتل في سبيلك، والثبات على صراطك، والهداية إلى مرضاتك.

الهؤامش:

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٦١، ميزان الحكمة، ج ٥، ح رقم ٩٧٤٩.

(٢) حديث ولايت، ج ٢، ص ٦٥-٦٦.

- (٣) مجمع البحرين: ٨١ / ٣.
- (٤) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت.
- (٥) تاج العروس الزبيدي، ج ١٩، ص ٥٤٩، ٥٩٣.
- (٦) معجم الغني / مكتبة أهل البيت عليهما السلام الكمبيوترية.
- (٧) المائدة: ٣٢.
- (٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٣، ص: ٦٧٩.
- (٩) الميزان ج ١ ص ٣٤٣.
- (١٠) الملهمة الحسينية، الاستاذ مرتضى مطهري، ج ٣، ص ٢٦.
- (١١) الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٥٣، باب فضل الشهادة.
- (١٢) راجع شجرة الأخلاق في: ج ١، ص ٣٧٠ من تفسير الميزان.
- (١٣) حديث ولایت، ج ٢، ص ٦٥-٦٦.
- (١٤) الملهمة الحسينية، الاستاذ مرتضى مطهري، ج ٣، ص ٢٨.
- (١٥) مستدرک الوسائل، میرزا حسین نوری الطبرسی، ج ٢، ص ٢٤٤.
- (١٦) خطبة الجمعة لسماحة آیة الله الشیخ عیسی قاسم (٤٨٠) ٦ محرم ١٤٣٣ھ - ٢ دیسمبر ٢٠١١م.
- (١٧) مدینة المعاجز، ج ٤، ص ٥٢.



انتصار الثورات .. في اختيار القيادات

حسين محمد تقى سلطان

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد
و عجل فرجهم وثبتنا على ولايتهم يا كريم.
بداية أحببت أن أتكلم عن مفهوم الثورة وارتباطها
بمفهوم الصحوة الإسلامية وما هي أهميتها، وكيف يمكن أن
تكون القيادة عاملاً أساسياً في نجاح أو فشل الثورات.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة
ولا سراة لهم فإذا جهالهم سادوا

وكما روي عن أبي عبدالله عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائل على غير
الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعده»^(١).

فالقيادة كلمة تتداول قديماً وحديثاً ولكنها ارتبطت قديماً بالحروب والقبائل في البداية حيث كان كبير القوم أو أقواهم هو الذي يقودهم كما كان عنتر زعيم العديد من القبائل وقائداً لهم، ولقد شهد العالم قيادات كثيرة سجلها التاريخ ولكن ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أفضل قيادة شهدتها التاريخ ولن يشهد لها مثيل هي قيادة الرسول الأكرم محمد ﷺ حيث جمع فيها بين القوة العسكرية والجوانب الإنسانية والتربيوية.

مفهوم القيادة بشكل عام

إن القيادة هي عملية رئاسة تكون بين مجموعة من الأفراد ويتصدى أحدهم للأخذ بأمورهم، ويسير بهم نحو الطريق الذي فيه سعادتهم ومصلحتهم بالنسبة لهم، وفي الكلام عن الثورات العربية نقول:

لا شك ولا ريب أن مُفجر هذه الصحوة الإسلامية التي نراها اليوم في الوطن العربي شرقه وغربه هو وحي غزوات الرسول ومن روح الجهاد التي كان يتلذّ بها أصحابه رضوان الله عليهم ومن الواضح والمعلوم لدى جميع المسلمين في الوطن العربي وغيره بأن كل غزوات الرسول كانت تحت قيادة معينة يطيعها جميع أفراد الجيش، وعند تخلف جزء من الجيش عن أوامر القيادة تبدأ بوادر وعلامات الضعف والهزائم كما حدث في معركة (أحد) حين تخلف الرماة عن الواجب الموكّل لهم، وفي صدد اختيار القائد نتكلّم بايجاز عن الثورات العربية والصحوة الإسلامية في الوطن العربي وطبيعة القيادة الموجودة فيها وما مدى تأثيرها على نتائج الثورة والتغييرات التي تصاحبها.

انفجر برakan الثورات العربية ليبدأ تدفقه برمي طاغية هو من اقدم طواغيت العرب وأكثراهم تغطرساً ومحاربة للإسلام، لتكون تونس بhero طاغيتها ابن علي -بعد أن وصل به الظلم إلى حرمان المؤمنين من الصلاة في المساجد إلا بأخذ

إذن مسبق من الدولة وكان الصلة كانت ملكاً للدولة في يوم من الأيام ليطلب المصلين إذن منها - أول دولة عربية تنقض عنها أتربة الظلم والفساد، وبعد هروبه انقضت وجدان مصر لتنهض بثورة أودت بفرعونها إلى مزابل السجون وذل المحاكم بعد أن سرق ما سرق من ثروات مصر صالح دولٍ مستعمرة في الوطن العربي كإسرائيل وصفقة الغاز المعروفة التي أقيمت معها وكان فيها ذل للشعب المصري، ناهيك عن المساهمة الصريحة والسافرة في محاصرة غرة ومنع الأدوية والمواد الغذائية عن شعبها المظلوم.

وبعد أن شهد العالم أجمع على سقوط الفرعون كان ينتظر خبراً يفرجه في اليمن ولبيباً وكاد الخبر أن يكون في اليمن بعد خروج صالح منها للعلاج إذ أصابته قذيفة كادت أن تودي بحياته، ولكن الآمال تبددت وضعفت بعد أن خرج بكل وقاحة وجرأة ليعتدي على الثورة اليمنية وثوارها و مباشرة أمام شاشات التلفاز وكان الدرس الذي تلقاه لم يجد نفعاً، ولكن شاء القدر أن نرى مغورو ليببيا وقد ضُرِّج بدمه بعد أن توعد الثوار بلاحقتهم (زنقة زنقة) على حد تعبيره وبعد وصفه إياهم بالجرذان، رأى العالم كالجرذ الذي رمي عليه حجر فقتله، وهذا هي الثورة الليبية على مشارف الانتصار إلا أنَّ خسائر الحرب من مبني وبنية تحتية وتدخلات خارجية وأضرار بالبنية التحتية تحتاج إلى سنين وأيديي عاملة لكي تتعوَّض، ناهيك عن الخسائر التي لا يمكن أن تعوض كالآرواح والكرامات.

وبعد أشهر من انطلاق الصحة الإسلامية والتي بدأت في تونس وكان المحرك الأساسي لها هو الشباب وهو الذي قادها إلى الانتصاررأيناها تضيع شيئاً فشيئاً إلى أن كادت جهود الشباب وتضحياتهم تذهب هباءً منثوراً لولا لطف من الله، وكذا الحال في مصر إذ حاول الكثير من أنصار فرعون أن يسرقوا بذور الثورة

المصرية وها هي محاولاتهم يوماً بعد يوم نراها تتكرر، ولا أحد يعرف ما قد تؤول إليه النتائج، فالشباب المفكر الوعي المتعلّم قاد الثورة - بعزمها الشاقب - إلى الانتصار، ولكن ما بعد الانتصار يحتاج إلى خبرات وقدرات لا يملّكها الشباب وذلك من أجل المحافظة على نتائج الثورة ولأجل إحمد أي فتنه وأي دسيسة يراد بها سرقة الثورة وتحويلها من ثورة مجيدة تقود الوطن إلى الخير والصلاح إلى ثورة تقود الوطن إلى الظلم والجحود والفساد لتكون أحوال الناس بعد الثورة أسوأ مما كانت عليه قبل الثورة وهذه الخبرات والقدرات تحتاج إلى قائد مخضرم خبير تشتمل فيه بعض الصفات وليس كل من هب ودب، وبدون هذا القائد وبقيادة الشباب هناك عدة احتمالات لضياع الثورة وجهودها ونوجز بعض هذه الأسباب ونرد عليها - ولكننا نحتاج إلى الابتعاد عن التعصب وإدخاء الفكر لنصل إلى جوانب من الحقيقة التي نطمئن في قراره أنفسنا بأن تكون تحت رضى الباري عز وجل وبالعصبيات من المستحيل أن تجد الطريق الذي يرضاه الباري - وسأبدأ بذكر بعض الأسباب ثم سأعلق عليها:

١ - عدم تمكن الشباب الذي قاد الثورة إلى الانتصار من المحافظة على هذا الانتصار لأنّه يحتاج إلى خبرات لا تأتي من الفراغ بل من التجربة على مدى أعوام طويلة وهذه التجارب لا تكون إلا في سياسي محنك قد عرف دهاليز السياسة كمعروفة لاسمها؛ لأنّه سيواجه المتشددين والمنافقين الذين يتلبسون في لباس فدائني الثورة ليدخلوا في عمقها من أجل إضعافها من الداخل وذلك بعده وسائل وطرق ليست محل كلامنا الآن.

٢ - وهذه النقطة قد تكون من أخطر النقاط إذ أنه قد يحصل خلاف بين الشباب على كيفية قيادة الثورة، وتوجيهها إلى أي طريق؟ أو كيفية المحافظة على نتائجها، ويعود السبب في ذلك إلى أن القيادات الشبابية يحصل بينها العديد من

الخلافات، وهذا أمر بديهي وطبيعي فكل واحد لديه فكرة ووجهة نظر - صحية كانت أو خاطئة - يريد لها أن تكون الأقوى وكما يقول المثل (لا يمكن أن يجتمع ربانان في سفينة واحدة) لأن كل واحد منهم يريد اتجاهًا مغايراً وعندما ستغرق السفينة، مما بالك إذاً بأن تكون قيادة ثورة يُقاد بها شعب تعداده الملايين - كما في بعض دول الثورات العربية - في يد مجموعة من الشباب يزيدون عن المائة أو يقلون؟!

٣- الشباب دائمًا ما تكون لديه وجهات نظر وأفكار مستحدثة وهي تكون في معظم الأحيان أفكاراً رائعة لم تخطر على ذهن أي شخص ومع هذه الأفكار وبعد نجاحات متكررة لمعظمها في بادئ الأمر، يصبح لدى الشباب قناعة بأن كل فكرة يضعها تكون خطوة جديدة لصالحه لم يكتشفها الطرف الآخر (أي الحكومة أو الدولة)، مما يؤدي إلى اندفاع الشباب في طرح أفكار أكثر فأكثر إلى أن يصل الأمر إلى طرح مواضيع تقودهم إلى الهاوية، وإذا أراد الكبار أن ينصحوهم رفضوا الاستماع لهم وذلك لنقاء النفس التي أصبحت في داخلهم، المتولدة من نجاحات متكررة، ولكن مردّ الأمر هو الفشل لهذه الأفكار بسبب عدم الانصياع إلى نصائح الكبار وأعني بالكتاب هنا أصحاب الخبرات السياسية والدينية والمعروفة لهم بالفضل في انتفاضات أو تحركات سابقة.

فالعقل يقول بأنه من البديهي أن تكون النتائج في أي عمل مثل هذا به أخطاء، وأخطاء فادحة أيضاً، وهو الفشل، ولكن هل يمكن أن يكون اختيار الشباب لقيادة الثورة جاء عن طريق العبث؟؟ من الطبيعي أن يكون الجواب هو النفي، لوجود المفكرين والعلماء بين الناس وبين هؤلاء الشباب، إذا كيف يمكن أن نبرر قبول قيادة الشباب في اتخاذ القرارات الاستراتيجية في الثورات العربية؟ يمكن تبرير ذلك في عدة نقاط نوجز منها ثلاثة نقاط مهمة وهي:-

الأولى: (اللامركزية في اتخاذ القرار) يجعل الحكومة في حيرة من أمرها، لأنه إذا كان من يقود الشارع شخص واحد فمن السهل السيطرة عليه من خلال اعتقاله أو اغتياله -لاقدر الله- ولكن عندما تتفرق القيادة في مجموعة كبيرة من الشباب ومعظمهم ليس لديهم سوابق سياسية في ملفات الدولة، هنا تضيع الدولة وأجهزتها الاستخبارية فهي لا تعرف من الذي يحرك الشارع ومن الذي يعطيه الأوامر بالتحرك، ولو استطاعت القبض على مجموعة من الشباب القياديين في الحركة فهي لن تستطيع أن تخمد الحركة؛ لأنه ما زال العديد من الشباب أحراز وفي مركز القيادة ويقومون بتحريك الشارع عن طريق موقع التواصل الاجتماعي أو الرسائل النصية أو غيرها الكثير الكثير من الوسائل التي ابتكرها هؤلاء الشباب وهي نقطة جداً مهمة.

الثانية: تنوع الأفكار والبرامج التي من شأنها أن تقود الثورة إلى الانتصار لأن جميع الشباب المشاركون في قيادة الثورة -قل عددهم أو كثر- على مستوى علمي راق، ناهيك عن الثقافة العالمية التي يملكونها، والمعلومات الوفيرة عن الانتفاضات والثورات السابقة كالثورة الفرنسية والثورة الإسلامية في إيران، ولكن كل هذه الخبرات لا يمكن أن تغنى عن الخبرة المكتسبة بالتجربة الشخصية مع فئة معينة من الناس، وقد ذكرنا فيما سبق أن التعدد في القيادات الشبابية يعني تعدد الأفكار، ثم الثقة المطلقة، التي قد تؤدي إلى الفشل، وقد بينما كيف أن الثقة المطلقة بالنفس تؤدي إلى الفشل ومسألة الثقة في النفس لدى الشباب أمر واضح وجلي فهو من الأمور الفطرية.

الثالثة: لن يحتاج الشارع في معرفة الأوامر إلى الذهاب و التجاهر في مكان معين به أعين الدولة، ولن يحتاج القائد إلى إظهار هوية نفسه مما يصعب على الدولة اكتشافه، ناهيك عن سهولة معرفة الأوامر التي تصدر من هكذا قيادة وذلك

عن طريق الانترنت في عدة مواقع كموقع التواصل الاجتماعي (twitter – face book) والعديد من المنتديات التي يتبعها الناس إضافة إلى طريقة إرسال رسائل نصية بها التوجيهات والأوامر الصادرة، والتي حلّت محل المنشورات وغيرها، ولكن كل هذه الطرق تنتهي ب مجرد أن تقوم الدولة بقطع وسائل الاتصال من الانترنت والشبكات الخلوية فعندما تعود المشكلة إلى ما هي عليه وتكتشف الوجوه في القيادات الشبابية المتحركة.

ولكن إذا كان المحرك الرئيسي، والتيار الذي النابض للشعب هو شخص واحد - تحت معايير وشروط معينة - سينتفي كم هائل من السلبيات التي ذكرناها فيما إذا كان المحرك مجموعة من الشباب، وستكون قراراته حكيمة ومتزنة وفي نفس الوقت يمكن للشعب أن يلتزم بها ولا تتعارض مع الدين والمبادئ الإسلامية، وهذا الإنسان طبعاً لن يكون معصوماً عن الخطأ فلو أخطأ يكن للحكماء والعلماء أن يلتفتوا انتباهه، ولكن بشروط معينة تكون فيه، ينتفي احتمال أن يتخد قراراً خطأً بهذه السهولة التي نتصورها.

وعندما تقع النظر في بعض هذه الشروط ستعرف مدى أهمية أن يكون للشعب مرجع وقائد يرجعون إليه، وأحببت أن أطرق إلى بعض هذه الشروط المهمة وأوجزها:

- ١- التفقة في الدين، وقد يكون هذا الشرط من أهم الشروط التي لا غنى عنها بأي شكل من الأشكال، ويمكن إثباته بعدة تساؤلات منها:
س: ماذا سيكون مصير الأمة الإسلامية إذا كان قائدها شخص مؤمن ولكن لا معرفة لديه في مجال الأحكام الشرعية، أو معرفته بها معرفة سطحية؟
س: ماذا يشترط مراجع المسلمين في الحاكم أو القاضي؟ والذى من المفترض أن يكون هو المتصدى مثل هذه الأمور حال غياب الإمام أو المرجع، كما نصت

روايات أهل البيت عليهما السلام على الالتزام بالأحكام الفقهية التي هي من الإمام نفسه أو من سفراء الإمام أو من الفقهاء الذين يعد حكمهم حكم الإمام حال غيابه «الأخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس»^(٢). وقد جاءت الغيبة الصغرى لتمهيد هذا الأمر، حيث أنه مع وجود الإمام في غيبته الصغرى، إلا أن الناس يرجعون في أمورهم إلى سفرائه، فكما جاء في التوقيع الشريف «وما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجّت عليكم، و أنا حجة الله عليهم»^(٣)، ومن هنا يتضح أن الأمر بعد غيبة الإمام الكبرى إلى الفقهاء العدول، فتقع على عواتقهم إدارة شؤون المسلمين بما يتضمن حفظ وحدتهم وتقسيمهم وتحقيق أمنهم الاقتصادي والعسكري والسياسي.

س: عندما نتكلم عن قائد فإننا نتكلم عن مشاكل وقضايا وحقوق وأحكام شرعية وتعديلات وقصاصات وغيرها من الأحكام، مما يكون رد هذا القائد إذا واجهه حكم من هذه الأحكام التي لا بد منها، والتي تحتاج في بعض الأحيان إلى تقرير الحكم بسرعة وفي نفس اللحظة؟

س: عندما يهتك عرضك وعندما يهاجم عليك في قعر دارك وعندما يريد الظالم قتلك وأنت في مواجهته وجهاً لوجه وغيرها من الموضع، يكون حكم التضحية بالدم والروح واضح وجلي وأمر بدبيهي لدى الناس، ولكن في كثير من الموضع والموافق - وقد يكون هذا من أجل رأي أو موقف معين - يهتك عرضك ويسفوك دمك، وهنا يأتي السؤال هل إن هذا الموقف كان يستحق أن أقدمه على عرضي ونفسي؟ هل سيكون موقفي يوم القيمة موقفاً مشرفاً أم أنني سأكون في موضع خجل أمام رب العالمين لأنني اتخذت موقفاً أدى إلى هتك الأعراض وسفوك الدماء، مع أنني كنت أستطيع أن أصل إلى مبتغاي عن طريق آخر (أحتمل) فيه خسائر أقل، ولكن هل يكن أن يطمئن وجداني حينما أحصل على الموافقة من

الفقيه أو عن شخص تجتمع فيه الفقاہة والوکالة عن المراجع الأعلام والذی يكون کلامه بثابة کلام المعصوم؟

وقد أشار آیة الله العظمى السيد کاظم الحائرى عليه السلام إلى ذلك حيث قال: "دلیل ولایة الفقیه الذي ورد دلیل على أن ما للمعصوم للفقیه، فلنر ما هو ثابت للمعصوم بحکم قوله تعالى ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٤)^(٥). ثم ذكر المرجع الحائرى: "أن ولی الفقیه ينفذ قضاؤه وحكمه أیاً كان، بمعنى أنه حتى لو كان في الواقع مخالفًا للحق فهو نافذ ومضيق لسلطة الآخرين على نفوسيهم وأموالهم"^(٦)، وقد وافق العديد من الفقهاء الأعلام هذا الرأي بينما البعض منهم قال نفس الكلام لكنه لم يعين لفظ (ولایة الفقیه) واكتفى بذكر الحكم الفقیهي، وهذا الفقیه أيضاً يكون له وكلاء.

حينما تقرأ هذه التساؤلات وتتمعن فيها بقلب مفتوح وروح صافية تجد أننا بحاجة إلى فقیه عادل أو مرجع تقليد ليقود الشعب والأمة، وإذا كنا نتكلم عن صحوة إسلامية فإننا بدون شك ولا ريب نتكلم عن قائد يليق بهذا المقام وهو المتعين.

٢ - أن تكون لديه خلفية واضحة في المجال السياسي وخبرة عميقة ليصعب على العامة والمتعلعين في السياسة مجاھته، وذلك من أجل أن تكون كلمته كلمة حق لا تُكسر، فمن غير المعقول أن يكون قائد ثورة وصحوة إسلامية، ليس لديه أي خلفية في المجال السياسي وكلامه مشوب بالأخطاء وحتى العوام من الناس ترد عليه.

٣ - أن يكون لديه قادة ميدانيين، يعتمد عليهم فيما لو كانوا هم في موضع القيادة، وهو المطلوب منهم حال تعرض القائد لأي أذى، فمن المسلمين أن القائد معرض للاعتقال والاغتيال والأذى والمرض وغيرها، فلا بد أن يكون هناك

بدليل جاهز لذلك تعرفه الناس يسير على خطاه منفذًا لأوامره، وذلك لأنه قد تنحرف الثورة وأهدافها إذا كانت تسير بدون قائد، فهل يمكن للسيارة أن تسير لوحدها بدون سائق، ومع ذلك تصل إلى وجهتها الصحيحة التي انطلقت من أجلها؟ بدون شك أنها ستتنحرف وتتدهور وقد تصطدم بجدار، وهكذا يكون حال الأمة لو جعلت لوحدها تسير، فسيكون مصيرها إلى الماوية.

٤- وهناك العديد من الشروط التي يجب تواجدها، كالعدالة، والتواضع، والغيرة على أموال المسلمين وأعراضهم، والحكمة في التصرف، ومراعاة الأحكام الفقهية، وكما قال الرسول ﷺ: «لا تصلح الإمامة ألا لرجل فيه ثلات خصال:

- ورع يجده عن معاصي الله.
- وحلم يملأ به غضبه.

• وحسن الولاية على من يلي، حتى يكون للرعاية كالأب الرحيم»^(٧).

أجل فإنه لا مناص ولا مهرب -بعد التمعن في الشروط السابقة- من اللجوء إلى شخص معين تجتمع فيه الصفات التي ذكرناها، لطمئن قلوبنا ويستقر هيجان خلافنا، لأننا أصبحنا -بعد الاختار الصحيح للقائد- نسير على خطى أهل البيت، على خط الفقهاء الذين هم على خطى مولانا صاحب الزمان ع، على خطى الإسلام والقرآن، فعند الاستناد إلى هذا الفقيه في القيادة ستشعر بالاطمئنان منه؛ لأنك أصبحت تعرف منبع قيادته من أين، فلو صدر منه فعل أو عمل لا تجد له تبريراً مقنعاً في نفسك، فلن تظن به ظن السوء؛ لأن مثل هؤلاء الأشخاص هناك من يراقب أعمالهم فإن كان مرجعاً فبقية المراجع يراقبون أعماله وأفعاله وأوامره، وإن كان وكيلًا للمرجع ونائبا عنه فالمرجع الذي وكله هو المسؤول عن أعمال هذا الشخص وتصرفاته، ناهيك عن من اجتمع العديد من الفقهاء ليعطوه الولاية وحق القضاء وقيادة الأمة، ولو كان هناك عمل قام به

يختلف رأي هؤلاء الفقهاء لأوقفوه واستجوبوه، فإن لم يتراجع عن موقفه المخاطئ سحبوا منه الولاية التي أعطوها له، فلا يصح أن تبقى القيادة عند شخص يخالف أوامر الفقهاء أو أوامر الإسلام والشرع، إذاً فكل ما علينا فعله هو البحث عن من اجتمع في هذه الصفات والانصياع إلى أوامره، فعندما ستشعر بأن روحك ارتبطت مع بارئها، لم؟

لأنك سرت على الطريق الذي يرتضيه، سرت على طريق لا تشوبه الشوائب المعاكمة لصفو الإيمان، وإنّ ما ذكرناه من قيادة في الجانب السياسي ليست سوى لفتة وجانب من جوانب المهام الشاقة التي هي حقيقة تقع على كاهل القائد، فلكي يعطي كل مهمة من مهماته حقها يجب أن يكون على مستوى راق من العلم والحكمة والتقوى والتفقه في الدين، ومع ذلك ولو أصبح معصوماً فهو لن يستطيع أن يصل إلى رضى الناس ومتغاظهم، فمن أفضل من رسول الله ﷺ ليكون قائداً؟

ومع ذلك لم يستطع أن يرضي الناس، وكما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: «رضا الناس غاية لاتدرك»^(٨).

أجل، فإن انتصار الثورات في اختيار القيادات، لأن النصر لا يأتي إلا من قبل الله، وأي قيادة تكون خلاف القيادة الإسلامية التي يرتضيها الشارع المقدس، هي قيادة غير جائز شرعاً الامتثال لأوامره لأنها لا تكون إلا عن هوى النفس، ومن أجل تحقيق رغبات هذا الإنسان وغريزته، وهذا ما يخالفه الشرع كثيراً إما عن خطأ في هذه الغريزة أو لمصلحة أكبر، فعلينا أن نفتح عقولنا لنجد طريق الهدى وطريق السداد، والابتعاد قدر الإمكان عن هوى النفس وميولاتها واختتم بالحديث الذي ذكرته في مقدمة الكلام عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعده».

الهؤامش:

- (١) الكافي ج ١، ص ٤٣.
- (٢) الخصال، ج ٢، أبواب المائة فما فوق، حديث ١٠.
- (٣) كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٤.
- (٤) سورة الأحزاب، الآية ٦.
- (٥) السيد كاظم الحائرى، القضاء في الفقه الاسلامي، ص ١٤٦.
- (٦) المصدر نفسه، ص ١٤٧.
- (٧) أصول الكافي، ج ١، ص ٤٠٧.
- (٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٠ (الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علیه السلام).

أَنْ لِصَحْنِي
أَنْ لِصَحْنِي





الأنظمة الظالمة في مواجهة الحركات التغييرية.. قرانياً

جسر على المalki

ستةٌ التغيير من السنن التي سنتها الباري في هذه الخليقة،
فأيُّ حراكٍ في هذه البسيطة يريد أنْ يغيرَ من واقعه إلى
الأفضل فالمدد الإلهيٌّ سيكون حليفه، حيث إن المدد والعون
السماويٌّ متوقفٌ على إرادة الإنسان في التغيير، ولكن لو لم
يحرك الإنسان ساكناً فلن تناهه تلك النفحات السماوية، فلقد
قال الباري ﷺ: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنفُسِهِمْ...﴾^(١)، فستةُ التغيير عبارةٌ عن ثورةٍ أرضيةٍ
وانتصارٍ سماويٍّ، فإذا ثار المصلح في الأرض وحاول إحقاق
الحقّ فيها، فلا بدَّ أن نرى الأثر السماويٌّ معه.
إنَّ الْمُحْسِنَ وَالْمُقْبَحَ -على مذهب الإمامية- من الأمور العقلية، فأيُّ إنسان إذا

سألناه هل تريد أن يهجم الظالم عليك؟ فإنه سيجيب: كلا! حتى وإن تجرّد هذا الإنسان من كل أطياف الدّيانات؛ لأنّ كلّ مخلوق قد جُبِلَ على حبّ الخير، فهو يرى الحُسن حسناً حتى وإن كان ضد رغباته، ويرى القُبح باطلًا حتى وإن كان في صفة، نعم قد تُغطّي على الإنسان مصالحه الآنية فتنقلب الموازين لديه، ولكن في قراره نفسه هو يحكم بأنّ هذا الفعل حسنٌ أو قبيحٌ.

ومن المصاديق المهمة للذين انقلبوا بهم موازين الحُسن والقبح هي الأنظمة الظالمة، فهي تلوك الحقّ لجانبها حتى وإن كلفها ذلك الكذب وإرغام الآخرين على قبول قوتها.

والقرآن الكريم يحكي لنا بعض الأساليب التي تنتهجها الأنظمة البائرة ضدّ الحركات التغييرية والإصلاحية التي تقوم بها الشعوب، وهذه الأساليب هي سنة قد نصّ عليها القرآن، فهي سائدةٌ في كلّ نظام جائز يهدف من خالها إلى إبقاء عروش جوره، وذلك لأنّ تلك الأنظمة تعلم أنّ وجودها لم يكن قانونياً أو إنسانياً، وإنما جاء على حين غفلةٍ من الشعوب أو في فترة ضعفٍ لتلك الشعوب أو قهرًا لها، فلأجل أن تبقى تلك العروش فإنّ أساليب القمع والظلم الذي ذكره القرآن الكريم هو عبارة عن بيانٍ واضحٍ وفاضحٍ لكلّ من تغطّي بغضاء الملك وهو يحكم بالظلم بين الناس لكي يسود حكمه رغم أنف الشعوب.

بحثنا هنا يستعرض الشواهد القرآنية التي تحكى ظلم الأنظمة الظالمة لشعوبها، وكيف أنّه يبني حكمه على أساس الظنون، وأيضاً نتعرّض لسيرة النبي الأعظم محمد عليه وآله صلوات الله وآله وسلامه ذلك في بعض الشواهد على ظلم المشركين له عليه وآله صلوات الله وآله وسلامه ولعائلته.

ولك أيّها القارئ أن تقيس تلك السنن الذي ذكرها القرآن الكريم على واقعنا لترى هل تنطبق أم لا، وهل هناك من يتّعظ بما جرى لتلك الأنظمة

الظالمة، أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَاهَا؟

١- الضربة الاستباقية:

من خلال قصة نبي الله موسى عليه السلام وعدوه وعدو الباري فرعون، يذكر المؤرخون أنَّ المنجمين عندما جاءوا بخبر لفرعون يفيد بأنهم نظروا للنجوم وعرفوا بأنَّ زوال ملكه سوف يكون عبر أشخاص من بني إسرائيل^(٣)، لذا قرر فرعون أنَّ يقوم بضربة استباقية، أي قبل أن ينشأ ذلك الجيل الذي يريد التغيير فإنه سيمحوا وجوده^(٤)، فبني فرعون أمره على كلام المنجمين الذي به ما به من شوائب وأخطاء وترهات، فقام فرعون بقتل أي مولود ذكر في تلك الفترة، فلم يُبقي لبني إسرائيل أي أبناء، فجاء سادات القوم إلى فرعون واشتکوا عنده على أن فعله هذا سوف لن يُبقي في الشعب من يقوم بخدمتهم، فأمر فرعون بأن يقتلوها سنة وأن تكون هناك سنة أخرى تسمى بسنة المكرمة والهبة والعفو وتعود الكرّة مرة أخرى في السنوات الأخرى وهكذا.

يقول المؤرخون أنَّ نبي الله هارون قد ولدَ في سنة العفو والسامح والمكرمة، بينما نبي الله موسى عليه السلام قد ولدَ في سنة القتل، غير أنَّ الله قد حفظ رسوله من القتل، فأمر أمّه بأن ترضعه وتلقّيه في اليم^(٥)، وهكذا ولد من سيمحو الحكومة الظالمة الفرعونية.

وأمّا في واقعنا فإننا نرى أنَّ الحكومات الظالمة وفراعين أزمتنا قد أخذت على عاتقها إحياء الفكر الفرعوني في الضربات الاستباقية، فقبل أن توضّح أي معارضه شعبية مرئياتها التصحيحية نرى أن التّهم قد قيلت جُزاً فـأباً لأنَّ ميول هذه الفئة -الضالة- خارجية، وأنّها تستقي خططها ودعمها من أحزابٍ معينة.

٢- التشويه الإعلامي:

كما أنَّ فرعون قد كان أعلى سلطة في مملكته، فلقد كانت القوة والهالة

الإعلامية بيده، فنرى أنه هو بنفسه الذي قد دعا السحر لمحاباة الفتة المواجهة لنظامه والمتمثلة في نبي الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وهو الذي قد وعد السحرة بأنهم سيكونون من المقربين ناهيك عن الأجر الذي سوف ينالونه جراء انتصارهم على موسى عليهما السلام إن تحقق^(٥).

إن هذا التحشيد من السحر والإمكانيات ضد شخصين فقط أرادا الإصلاح في الأمة، ينم عن خوف السلطة آنذاك على بقائهما؛ ذلك لأن أساس تلك السلطة كان واهناً.

عموماً عندما خسر السحرُ الحرب، وخسر فرعون الرهان، انقلب السحر إلى ساحة الحق أي: إلى حزب المعارضة، فبدأ فرعون باتهام السحرة بأنهم قد قاموا بهذه اللعبة من أجل إغواء الناس، واتهم حزب المعارضة أي: موسى والسحرة بأنهم شرذمة قليلون^(٦)، فعلى الرغم من أن فرعون هو بنفسه الذي قد دعا السحر إلى مواجهة موسى وأنه على اطلاع على نياتهم آنذاك في القرب منه، ولكن عندما رأى أنهم قد انحرفوا عن خطه استخدم أهاله الإعلامية في تشويه صيتهم وصورتهم بين الناس وشن عليهم تلك الحروب والمطاردات.

وأيضاً فإن حال الحكومات الظالمة لم يتغير أيضاً، فالحروب الإعلامية لم تتغير، والتشويه الإعلامي لأي فتة تريد الإصلاح، فالحجج عند تلك الحكومات هي هي لم تتغير، فالحججة هي (شرذمة قليلون)، فكم من ظالم قد نادى من خلال إعلامه وهو يتصدّح بأن هذه الفتة ما هي إلا فتة قليلة ضالة، ولكن كانت نهاية الظالم مثل نهاية فرعون. والأغرب والأعجب أن الأنظمة الظالمة تعلم علم اليقين أن هذه الفتة المعارضة لظلمهم هي من أشد فئات المجتمع حرضاً على مصلحة العباد والبلاد، ولكن إصلاح الوضع يعني عند ذلك النظام هو إفساد مخططاته الشيطانية، لذا تراه يرفض أي مصلحة ولو على مستوى اللسان.

٣- الآئمّات الباطلة:

كان النبي الأكرم ﷺ قبل أن يبعث -وكما هو معروف ومتسلّم عليه- يُلقب بالصادق الأمين، حيث كان كفار قريش يضعون أماناتهم عندـه ﷺ، ولم يكن لدى أحدٍ من الكفار شكًّا بأنّ النبي الأكرم ﷺ سيكون حافظاً لها غير خائن، وأيضاً ففي طول المدة التي قضاها قبلبعثة -أي طيلة أربعين عاماً- لم يسمعوا له كذبةً واحدة، وعلاوةً على ذلك فلقد كان كفار قريش يأتون بأطفالهم له ﷺ لكي يبارك عليهم. فكانت سيرة النبي ﷺ قبلبعثة لدى الجميع أنها شخصية مثالىّة ولا يكن لأحدٍ أن يأخذـه بزلةٍ أو خطأً ما.

هذا الكلام كلـه قبل أن يبعث برسالته السماوية، ولكن ما إن بعث واتّضح لكافار قريش أنّ مصالحـهم إلى زوال وبطشـهم سينقضـي، فكما اتهـموا الأنبياء السابقـين بأنـهم «سـاحـرٌ أو مـجنـون»^(٧)، «إـن نـقـول إـلا اعـتـراكَ بـعـضُ آـلـهـتـنا بـسـوـءٍ»^(٨) وفي قرارـة أنفسـهم يعلمـون أنـهم يـكـيلـون التـهمـ إلى الأنـبيـاء جـزـافـاً، فقامـ كـفـارـ قـرـيـشـ أـيـضاً بـرمـي الرـسـول ﷺ بالـتـهمـ جـزـافـاً وكـذـباً، ولكنـ منـ أجلـ أنـ تـبـقـى عـروـشـهـ الـكـاذـبـةـ أـخـذـوا يـتـهمـوا ذـلـكـ الطـرفـ المـعـارـضـ بـكـلـ باـطـلـ.

ولـمـ يـخـتـلـفـ النـهـجـ فيـ الـأـنـظـمـةـ الـجـائـرـ حـالـيـاًـ عـنـ سـابـقـتهاـ، إـذـ تـرىـ أنـ وـصـمـ الـمـعـارـضـ هـاـ بـأـنـهـ مـنـحـطـ، فـإـنـ ذـلـكـ الـوـصـفـ سـيـكـونـ أـسـاسـاًـ لـبـقـاءـ كـيـانـهـ الـظـالـمـ، فـعـنـدـمـاـ تـعـجزـ الـأـنـظـمـةـ الـظـالـمـةـ مـنـ مـجـاهـدـةـ الـحـجـجـ، تـوـاجـهـ الـمـعـارـضـ هـاـ بـالـتـهـمـ الـبـاطـلـةـ، فـكـمـ مـنـ مـعـارـضـةـ وـصـفـتـ بـأـنـهـاـ عـمـلـيـةـ لـلـخـارـجـ وـكـمـ مـنـ مـعـارـضـ وـصـفـ بـأـنـهـ ذـو سـوـابـقـ، وـكـلـهـمـ بـرـاءـ مـنـ تـلـكـ الـأـوـصـافـ.

٤- سيـاسـةـ أـنـاـ رـبـكـمـ الـأـعـلـىـ:

منـ الـحـجـجـ الـتـيـ اـسـتـخـدـمـهـاـ فـرـعـوـنـ وـالـتـيـ لـاـ زـالـ فـرـاعـينـ الـعـصـرـ يـسـتـخـدـمـوـنـهـاـ، أـنـ فـرـعـوـنـ كـانـ يـرـىـ نـفـسـهـ أـنـهـ رـبـهـمـ الـأـعـلـىـ، وـأـنـهـ مـتـفـضـلـ عـلـىـ الـآـخـرـيـنـ بـالـحـيـاـةـ

والأملاك والهبات وغيرها، فهو عندما حاور موسى عليه السلام قال فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ
نُرَبِّكَ فِينَا وَكِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٩) فكانت كل سنين موسى عليه السلام
في قصر فرعون -كما يرى فرعون- هي تفضّل وإنعام منه على موسى.

فكم قد تسلّط فرعون على رؤوس العباد سنين عديدة، فالليوم أيضاً نرى أنَّ
الأنظمة الظالمة لا يزحزحها عن ذلك العرش الواهن إلا الموت، فهي لا ترى
للآخرين حقًّا في انتخاب من يرونوه كفواً، بل إنَّ الكفuo هو الظالم لا غير؛ فتبقي
في عرশها لا تتغيّر وإن طال المعارض بانتخابٍ حرٍ نزيهٍ.

ولكن فرعون يأبى ذلك الانتخاب؛ لأنَّه يعلم أنَّ الكل لن ينتخبه أبداً، فهو
ذو الإنجازات الفريدة وهو ذو المعالم الباهرة وهو ذو الصولات والجولات وهو من
قد صنعته التجربة وهو معجزة أهل زمانه!! غير أننا لو دققنا لوجدنا ذلك من
أفعال غيره قد سرقها ونسبها لنفسه جزاً.

فكل إنجاز يقوم به موسى عليه السلام ما هو إلا تفضّلات ونعم قد أنعمها فرعون
على موسى، وأنظمة الظالمة تنسب كل إنجازات الآخرين لها بسبب الهبات التي
قدمها النظام الظالم، وكأنَّه لا شيء يستطيع أن يقوم به الشعب إلا عبر مكرمات
وهبات من النظام. فحتى وإن اختلفت المسمايات بين الأمس والليوم إلا أنَّ
النتيجة واحدة.

فلا غرابة في هذا الأمر بتاتاً؛ إذ أنَّ أوسمة أمير التقين علي بن أبي
طالب عليهما السلام الذي قد نصَّ عليها رسول الله عليهما السلام وجعلها خاصةً له، قد سرقها غيره
ونسبوها لأنفسهم وهم يعلمون أنَّ صاحبها هو أمير المؤمنين علي عليهما السلام وليسوا
هم، فبسيف أمير المؤمنين عليهما السلام انتصر المسلمون ولكتنا نرى أن مسماه (سيف الله
المسلول) قد تُسبّ لغيره، وعلى هذا فقس.

٥- شراء الذمم:

عندما عجز كفار قريش عن مواجهة معاجز النبي ﷺ وحججه وبراهينه الواضحة، جاؤوا له بأسلوب آخر، ليس أسلوب الحرب وليس أسلوب الإرهاب، وإنما أسلوب الموارك الكاذب، فجاؤوا له وقالوا: إن أردت أن يكون لك ملك منطقة ما أعطيناك، وإن أردت أن تكون أغنانا أعطيناك، وإن أردت الزواج بأجمل نسائنا زوجناك، ولكن اترك عنك الدعوة لهذا الدين. ولكن رسول الله ﷺ أبى هذه العروض والمكرام في سبيل أن يتخلّى عن المبدأ الأساس.

والأنظمة الظالمة تحاول دائمًا أن تشتري ذمة كل معارض لها، من خلال حواراتها الكاذبة ودعایاتها المغرضة، ولكن المعارض في غالب الأحيان تكون واعيةً لتلك الخطط الشيطانية، وكم شاهدنا من معارض قد عارضَ نظاماً لفترة قليلةٍ ولكن ما إن أقبلت عليه الدنيا بزيتها حتى باع معارضته وصار يتهجم على المعارضين الذين كانوا معه يوماً.

٦- الحصار:

ينقل أرباب السير، أن خديجة ظلّت عندما حضر وقت ولادة سيدة نساء العالمين ظلّت لنساء قريش لكي يأتوها ويتولين منها ما تلي النساء من النساء، ولكن نساء قريش واجهن طلبها بالرفض بحجّة أنها قد تزوجت من أفتر العرب.

وأيضاً عندما رفض بنو طالب الانصياع لرغبة الكفار بأن يتنازل الرسول ﷺ عن دعوته، قاموا بمحاصرتهم اجتماعياً، أي أن لا يتزوجوا منهم ولا يزوجهم، ولا يتعاملون معهم بالبيع والشراء وغير ذلك.

وكذا فإن الحصار قد زاد إلى أن حاصر بنو طالب في منطقة تسمى بشعب أبي طالب، فهذه سياسة التجويع التي فرضت على الرسول ﷺ وأهله.

وهذه بعض أنواع الحصار التي ترتكبها الأنظمة الظالمة المعاصرة، ففي مثالنا الأول، نشاهد في واقعنا الحصار الطبيّ، ففي جميع القوانين الوضعية ناهيك عن القيم الدينية والأخلاقية، نرى أنّهم يفردون لأماكن تلقي العلاج بنوداً وقوانين في دساتيرهم الوضعية لكي تحمي تلك الفئة التي لا تقوى على المواجهة، ولكن في الواقع نرى أنّ الحصار يفرض على مثل هذه الأماكن، لكي لا يقوم المعارض بتلقي العلاج اللازم له، بل إنّ مثل تلك المراكز الصحية قد أصبحت وكراً لاصطياد المعارضين.

وكذا سياسة الحصار الاجتماعيّ، فنرى أنّ من يزرع فتيل الفتنة الطائفية، فأيّ معارضٍ لذلك النظام لا بدّ أن يكون منبوذاً اجتماعياً فلا صوت له ولا حقّ له في أن يُطالب بشيء، فهو لا وجود له في نظر ذلك النظام.

وكم رأينا من الأنظمة الظالمة سياسة التجويع، فالآمس عبر حصارهم للمعارض في منطقةٍ محددة، واليوم عبر الفصل التعسفيّ وإيقاف المعارض عن وظيفته التي بذل لها عمره لكي يُحصلها ويحصل على قوتٍ يكفيه ويكتفي من يعيش تحت عيلته.

ولا غرابة في أن تجتمع هذه الأنواع من الحصارات وغيرها على منطقة واحدة، فالظالم عندما يفكّر ببقاء عرشه، فلا يألوا جهداً في إرغام المعارض بالقوّة على الرضوخ لرأيه، فلا يوجد محذور في اجتماع هذه الأنواع لدى النظام الظالم، فلا قانون يردعه، ولا أعراف تحكمه، ولا عقل يرشده، ولا هو بإنسان لكي يرى غيره أنساً.

٧- القتل والاغتيال:

عندما حاصرت الحجج فرعون، وأصبح في الجانب الضعيف في مواجهة المعارضة التي تملك العقل والحجج والبراهين والأدلة الدامغة على صحة مطالبهم،



لم يجد فرعون من وسائله سوى أن يقوم باغتيال وقتل المعارضة وإجبار نسائهم على المذلة لديه: ﴿..قَالَ سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَخْبِي نِسَاءَهُمْ..﴾^(١٠).

وأيضاً لم يسلم رسول الله ﷺ من محاولات الاغتيال فلما اجتمع الكافرون في محاولة لقتل المعارض لهم فتمثل لهم إيليس -كما يُروى- وأمرهم بأن يجتمع القوم حول منزل الرسول ﷺ وكلُّ بيده سفيه ويهاجموا عليه ويضربوه بسيوفهم أجمعين، فيضيع دمه بين القوم ولن يستطيع بنو طالب أن يطالبوا بثارهم من جميع قريش، ولكنَّ الله جلَّ وعلاً كان بالمرصاد فصدَّ مخططات إيليس وأعوانه.

ولم يسلم حتى واقعنا من الاغتيالات لمن يعارض النظام الظالم، ولم تسلم نساء المعارض من الإهانات والإذلال، فكم من معارضٍ كُتب في عداد الموتى والقاتل له لم يُعرف، وكم من امرأةٍ هُتكَ خدرها بسبب معارضتها للظلم والظالمين.

٨- العتاد والبطش والقوة والإرهاب:

إذا عجز المنطق عن مواجهة الحجج الدامغة، ولم تفدي الإغراءات والمحوارات الكاذبة والمحصار، اتجه النظام الباطل إلى البطش والقوة لإرضاع الطرف الآخر المعارض على قبول رأي النّظام، فالقوة هي المنطق الذي يحاول به النظام الظالم إيقاع نفسه.

فرعون عندما لم يستطع مواجهة حجج موسى الدامغة لم يجد منفذًا سوى المطاردة والقتل والإرهاب وإنزال الجيوش المستوردة لمطاردة من يعارض حكم فرعون، فكان هذا الخيار هو الخيار الأخير لإجبار المعارضة على الرضوخ لفكرة فرعون ورأيه، ولكنَّ الأنظمة الظالمة غافلة أو تحاول أن تتغافل، أنَّ هناك يدًا إلهية تدعم من يريد نشر السلام، فلقد شاءت القدرة الإلهية أن تُرى فرعون ومن يسير بدربه أنَّ القوة العسكرية لا تقتل شيئاً أمام القوة الإلهية ففي لحظات قليلةٍ

انتهى ذلك الجيش كله برئيشه في الماء، وما ذلك على الله بعزيز، وشاء الباري أن يُلقي حجّته على بقية الفراعين بأن أخرج جسد فرعون ليكون خير عبرة لمن لديه قلبٌ يعي به ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكَ بِبَدْنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً...﴾^(١١).

إنّ النظام الظالم الذي يخاف من كلمة الحق ويحاول إخمادها قبل أن تسرى وتشعل عرشه الواهن تراه يحاول أن يطمس الحقيقة التي يقرّ بها حتى هو نفسه. فهذا الظالم مشغول بالأسباب المادية التي تُشعل آماله في إبقاء عرشه وهو في غفلة وتغافل دائم عن المدد الإلهي للمظلومين، فالباري قد أخذ على نفسه عهداً بأنّ ينتصر للمظلوم وإن طالت مدة بقاء الظالم^(١٢).

للأسف لم تكن لديهم أذنٌ واعية، بل في آذانهم وقرُّ، فلم يتعظوا بسننِ من مضى ولا بسننِ قد رأوها رأي العين، ولكن صدق قول الله عزّوجلّ عليهم: ﴿أَفَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١٣).

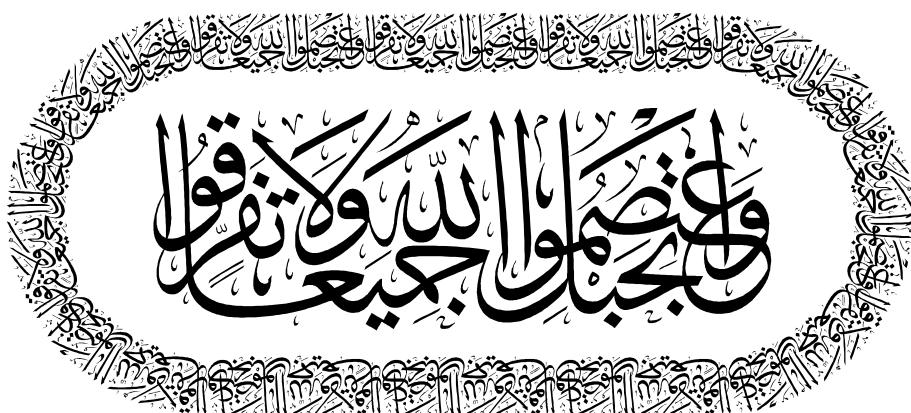
هذه بعض الأمور التي سنّها القرآن الكريم في بيان الطرق والسبل التي تنتهجها الأنظمة الظالمة في إطالة مدة بقاءها، لأنّها تعلم أنّ مصيرها إلى زوال، ولا بد للحق أن ينتصر في النهاية وإن طالت مدة الظلم. ولا ندعّي في هذه العجلة أنّ هذه الأمور التي ذكرناها سابقاً هي السبل الوحيدة التي ذكرها القرآن الكريم فالأسباب والدواعي للظلم ليست محصورة فيما ذكرناه، بل هناك طرق أخرى وسبل أخرى يستطيع المتبع لآيات القرآن والتأمل فيها أن يستخرج أموراً أخرى لم تذكر هنا.

الهوامش:

.١١) الرعد: (١)

(٢) حيث أنّ بني اسرئيل كانوا عبیداً يخدمون فرعون وسادات القوم.

- (٣) على الرغم من أنَّ كلام المنجمين لن يفيد في أحسن الأحوال إلا الظن، ولن يصل لدرجة اليقين.
- (٤) القصص: ٧.
- (٥) الاعراف: ١١٣ - ١١٤.
- (٦) الشعراء: ٥٤.
- (٧) الذاريات: ٣٩.
- (٨) هود: ٥٤.
- (٩) الشعراء: ١٨.
- (١٠) الاعراف: ١٢٧.
- (١١) يونس: ٩٢.
- (١٢) الروم: ٤٧.
- (١٣) الحج: ٤٦.





اليتيم في غاية الخلق والتشريع

علي أحمد الكريبايادي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآل
الظاهرين.

لليتيم ألم خاص لا يدركه إلا اليتيم نفسه، ولتعاليم
الدين ووصاياته تأكيدات واسعة النطاق تساهم في استشعار
المجتمع لألم هذا اليتيم، وتعوض اليتيم عما فقده من حرمان
العاطفة، وكمدخل إلى البحث لا بد من الإشارة الإجمالية إلى
معنى اليتيم واليتيم في اللغة العربية، ومن خلال ذلك ننطلق
إلى تصور هذه الحالة ومعايشتها.

الاليتيم في اللغة

جاء في لسان العرب لابن منظور: "اليتيم الانفراد، عن يعقوب. واليتيم الفرد.

واليتيم فقدان الأب. قال المفضل: أصل اليتم الففلة، وسمي اليتيم بتيماً لأنه يُتفاهم عن بره. وقال أبو عمرو: اليتم الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم لأنّ البر يبطر عنه... وقال أبو سعيد: يقال للمرأة يتيمة لا يزول عنها اسم اليتم أبداً، وأنشدوا: وينكح الأرامل اليتامي. وقال أبو عبيدة: تدعى يتيمة ما لم تتزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتم، وكان المفضل ينشد:

أفاطم إني هالك فثبتي ولا تجزعي كل النساء يتيم^(١).

وقال صاحب كتاب (سبل الهدى والرشاد): "اليتيم: اسم مفعول من اليتم وهو انقطاع الولد قبل بلوغه عن أبيه بموته، وفي سائر الحيوانات الانقطاع من قبل الأم. وكل منفرد يتيم، يقال: درة يتيمة تتبئها على أن قد انقطعت مادتها التي خرجت منها"^(٢).

ألم اليتم ومعاناته

تشير معاني اللغة في اليتم إلى حالة الانفراد، وكفى بالوحدة عذاباً، ولذلك كان الانفراد عقاباً وعذاباً معتمدًا في سجون الظالمين حيث يترك المسجون في (السجن الانفرادي) كما يعبرون، وهذا يكشف عن أن حال الإنسان لا يصلحه الانفراد، بل لا بد له من القرین والشريك، وحينها يمكننا أن نقترب شيئاً من تصور ألم الرسول ﷺ في شعب أبي طالب حيث مقاطعة الأقربين، وكما يقول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام الهند

وي يكن أن نقارب أحاسيس العشاق في حالة الهجران والابتعاد؛ كمثل ما سطره تاريخ الأدب من نحو جسم عنترة بن شداد وانصرافه إلى الخمرة

واليأس، وآلم من ذلك أن تسمع اليتيم يسأل أمه كلما رأى أطفالاً: أهؤلاء الأطفال أب؟! يقول الشاعر:

ما أذل اليتيم حين ينادي بأبيه فلا يراه مجيبا

الإسلام ووصايا الخير

يوصي الدين الإسلامي بالأيتام خيراً، فقد قال الله ﷺ: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَكُوْشَاءُ اللَّهُ لَا يَعْنِتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) وذلك بعدما نزلت بعض الآيات التي تنهى عن أكل مال اليتيم بالباطل، فحينما خاف المسلمون من ذلك قاموا بإخراج اليتامي من بيتهم حتى لا يأكلون شيئاً من أموالهم؛ حيث ينفقون شيئاً منها وشيئاً من أموالهم الخاصة كنفقة مشتركة لكل من هو في هذه الدار، فتفادياً للزيادة والنقصان وخوفاً من العذاب الآخرمي قاموا بإخراج اليتامي من دورهم ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن ذلك فجاءت الآية الشريفة تدعوهם إلى إصلاح أمر اليتامي، وتشير إلى أن مخالطة اليتامي لا بأس بها ولا داعي إلى المبالغة في التدقيق فالشرعية تحييز المخالطة بال نحو المتعارف والإتفاق بالمعقول حيث لا يعد حينها أكلاً لمال اليتيم بالباطل.

عن أبي عبد الله عاش عليهما السلام أنه لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْنَلُونَ سَعِيرًا﴾^(٤) أخرج كل من كان عنده يتيم وسألوا رسول الله عاص عليهما السلام في إخراجهم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾^(٥).

حكم اليتيم وأغراضه

قد يسأل سائل عن الغرض الذي من أجله جعل الله ﷺ حالة اليتيم في هذه

الدنيا، فلماذا جعل بعض الناس يتامى وأ فقدهم آباءهم أو أمها تهم؟ في الحال الذي يدعى القرآن العظيم أن نظام الخلق هو أفضل الأنظمة ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنِ تَفَاقُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٦)، وذلك لأن الله تعالى أَعْلَمُ بِعِلْمِ خَلْقِهِ، فكيف ميز الله تعالى بين عباده وأفضل الخالقين: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَخْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٧)، فجعل لبعضهم الآباء وسلب بعضا آخر آباءهم من غير ذنب أذنبوه؟ وحرمهم عاطفة جامحة ورعاية أساسية يتغطر من أجلها وجدان اليتيم ويقاد يضل الطريق ويتخذ الانحراف مسلكا وطريقا؟!!

العاطفة بأضعافها

يكفي في الجواب عن هذا الإشكال المتقدم أن نخل مشكلة العاطفة وتوفيرها لليتيم، فنجد أن الدين الحنيف قد عوض اليتيم عن عاطفة الأب والأم بعاطفة المجتمع أجمع، فأمر كل الناس برعاية اليتيم والحنو عليه والمسح على رأسه و.. وجعل بإزاء هذه الأوامر والدعوات المبالغ فيها جزاء وعطاء في الدنيا وجزاء وعطاء في الآخرة، وذلك لتأكيد التشويف إلى رعاية اليتيم، وبهذا نحرز أن المجتمع الآخذ بتعاليم الله تعالى سيكون سبب بركة على هذا الطفل حتى مع عدم وجود الأب، بل وكم من الآباء لا ينال أبناءهم شيء من العاطفة؟ إذن فإن عاطفة الأب على أهميتها، وعلى الألم الخاص لفقدانها، إلا أن المجتمع حينما يتتسابق في رعاية اليتيم ولا يضيع تعاليم الله تعالى في حقه فإنه سيغوص اليتيم و يجعله مدللا يتقلب في الرعاية والبر. ويبقى المجتمع الرافض لشرع الله تعالى هو الظالم لليتيم، فإن الله حينما يسلب من ناحية التكوين فإنه يعوض من ناحية التشريع، بل إن تشريعيه في حق اليتيم مبالغ فيه إلى الدرجة التي جعلت لرعايا اليتيم من الآثار التكوينية المباشرة؛ كرقة القلب، وقضاء المواعي.. ما يرغب كل إنسان في بر اليتيم ولو لم يكن مسلما آخذا بأحكام الشريعة، فمن كان همه وطلبه المباشر هو هذه الخصال

فإن طريق نيلها في الدنيا قبل الآخرة هو أن يسح رأس اليتيم أو يحوطه برعايته.

حالة اليتم معين الرحمة الفياضة

بعد الإجابة على الإشكال المتقدم نجد أن حالة اليتم لها أغراض وحكم أشد روعة ولطفا، فتربيّة المجتمع على الدين الحنيف تعني أن يكون مجتمعاً رحيمًا، وتربيته على الرحمة تقتضي وجود مصدر يفيض الرحمة و يجعلها تتدفق في أوصال المجتمع، ومن هذه المصادر لشمول الرحمة كانت حالة اليتم، فاليتم سبب من أسباب الرحمة على المستويين التشريعي والتکويني.

بِثُّ الرَّحْمَةِ عَلَى الْمَسْتَوَى التَّشْرِيعِيِّ

كثيرة هي دعوات الشريعة إلى رعاية الأيتام، وسنأتي على ذكر بعضها في عنوان خاص، وهذه الدعوات هي دعوات محركة باعثة للعاطفة لدى المجتمعات، ولو قدر لكل الأولاد أن يبقى آباءهم لانقلب حاله الحب إلى نفور، ولرأى كل ولد في موت والده أو جده أو جد أبيه -أو ما بعده من سلسلة الآباء- في موتهما برقة ومتsuma، ولصار الغرض هو الدعاء بأن ينزل الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الموت على المجتمع ليصير متسع من المكان والزمان والجهد؛ وهذا ما كان فعلاً في بعض الأزمنة حيث وردت الرواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ قَوْمًا فِيمَا مَضَى قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَرْفَعُ عَنَّا الْمَوْتَ فَدَعَاهُمْ لَهُمْ فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَوْتَ فَكَثُرُوا حَتَّىٰ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَازِلُ وَكَثُرَ النَّسْلُ وَيَصِيرُ الرَّجُلُ يَطْعَمُ أَبَاهُ وَجَدَهُ وَأُمَّهُ وَجَدَ جَدَهُ وَيَوْضِيْهِمْ وَيَتَعَاهِدُهُمْ فَشَغَلُوا عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ، فَقَالُوا: سَلْ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَرِدَنَا إِلَىٰ حَالَنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا، فَسَأَلُوا نَبِيِّهِمْ رَبَّهُ فَرَدَهُمْ إِلَىٰ حَالَهُمْ»^(٨)، أو على أحسن الأحوال حينما يكون المجتمع متساوياً ولا توجد فيه مواضع فقد والحرمان، فإن أحداً لن يتحرك له وجdan أو

عاطفة، بل سيشتغل كل فرد بنفسه وسينصرف عن المجتمع، ولكن حينما تسود حالات معينة من الحرمان، والفقر، والفقدان واليتم وغير ذلك... كل هذا من جانب، ومن جانب آخر تعم دعوات الشريعة إلى التكافل والرعاية والمحبة والعطف ، فإن هذه الحالة مجتمعة هي أنساب الحالات وأدعاهما إلى تحريك عاطفة المجتمع وإحياء القلوب؛ لتعاطف على بعضها، ولتسيل دمعة صادقة، وينبض قلب بحرقة، ويرف جفن برحمة، وتسخ يد جنون ومحبة. ففي ضمن هذه المنظومة الكاملة إلى تربية المجتمع وجدت حالة اليتم كمفردة من مفردات آيات نظام الكون الذي لا يوجد فيه تفاوت ولا فطور: ﴿ثُمَّ ارْجِعُ الْبَصَرَ كَرَّتِينِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^(٩).

الرحمة التكوينية وقنطرة اليتم

وكما كان اليتم سبباً من أسباب تحريك الرحمة في المجتمع ونفح الروح الرحيمة في أوصاله، كذلك فإن اليتم هو القنطرة التي تتتدفق من خلالها الرحمة على المستوى التكويني، بدءاً من شعور الإنسان نفسه بالرحمة بين جانبيه حينما يسح رأس اليتيم، نعم حتى ذلك الإنسان قاسي القلب فإن علاج قسوته هو أن يسح رأس اليتامى كما ورد في بعض الروايات، فحينها ينبري قلبه عطوفاً رحيمًا وهذا هو الأثر المباشر في عالم التكوين، فهو جزاء دنيوي لا داعيًّا لانتظاره في عالم الآخرة، وهذا ما يكشف حجم الدعوات للرفق باليتيم من جانب، وحجم العاطفة التي سيتلقاها اليتيم عوضاً عن عاطفة الأبوة من جانب آخر، فقد يرجم اليتيم من ليس رحيمًا بطبعه ولكنه طامع في نيل هذا الجزء المباشر من لين القلب وقضاء الحوائج.

إضافة إلى ذلك فإن امتثال أحكام الدين في حق اليتامى من شأنه أن يحول حالة اليتم من بؤر يُترقب منها الفساد إلى ينابيع تنهر بالخير على المجتمع

الإنساني، اليتيم هو أقوى الناس إدراكا وإحساسا بألم اليتيم، لذلك كانت حالة اليتيم سببا قويا في خلق منابع الرحمة وخلق الرحمة، ولعل من ضمن حِكَمَ يتم النبي الأعظم ﷺ حال صغره هو أن يستشعر آلام الآخرين ويعيش معهم فتكون رحمته رحمة لا كرامة الآخرين، وقد بربرت على شخصية النبي ﷺ وفي تعاليمه الشريفة آثار هذه الحالة، فكان ﷺ يشير في تعاليمه الداعية إلى رحمة اليتامي أنه ﷺ كان في صغره يتيمًا. ومن هذا جرت طريقة العلماء على الدعاء بطلب القلب الشاعر الحساس بالآلام الآخرين.

وبعد كل هذا فإن هناك أثرا تكوينيا آخر على اليتيم نفسه، وهو أن يعني هذه الصعوبات لتنبيق من ثناياها شخصيته قوية قادرة على تحمل الشدائـد.

الارتقاء بعلم الإنسان وتوحيده

إن من أعظم ثار حالة اليتيم والتعرف عليها وعلى مثيلاتها من المفردات هو أن يرتقي الإنسان المؤمن في حالته الإيمانية والتوحيدية، فليس البحث ترفا، وإنما خلق الإنسان ومنح الفيوضات والعطاء، ومن ثم مني بالبلاء والرزایا ليسعى من أجل العلم، وليرقى في الآخرة بحسب ما علمه وبالدرجة التي وحد الله فيها.

حينما نرى عامة الناس يتأملون للبيتيم ندرك أن الحالة الطبيعية للطفل هي أن يكون له أب، وحينما نسمع من كثير من الناس ترجمة على اليتيم بدرجة تشرف على اتهام الله ﷺ بالظلم ندرك أن الإنسان لا بد له من شفيع وأن حاله لا يصلح إلا بالقرین، فقد يقال: لماذا سلب الله ﷺ هذا الطفل أبويه في الصغر؟! إنه طفل مسكون مظلوم! ما ذنب هذا الطفل؟! وأمثال هذه العبارات. الوجدان البشري يصرخ بأعلى صوته أن الإنسان لا بد له من أنيس، ولذلك كانت الاستجارة والبكاء والزفرة على عالم الوحشة والانقطاع عن المؤنس.



ورد في الرواية الشريفة في الكافي الشريفة من خطبة أمير المؤمنين ع على منبر الكوفة، حيث قام له ذعلب يسأله عن الله، فقال ع في وصف الله ع: «ومضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة والبيس بالبل..»^(١٠)، ما يهمنا في هذه الخطبة الشريفة هو قوله ع: «ومقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له» فنفهم منها أن الله ع ع بما أنه هو المقارن بين الأشياء فإن حالة الاقتران هي من صنعه وتكوينه تعالى، فهو الذي جبل الأزواج على التزاوج، وهو الذي جعل المتقارنات متقارنات، فمقارنته هي صنعه وهو تعالى غني عما يصنع.

إن المقارنة بين الأشياء على أنحاء؛ فمنها مقارنة الأزواج، ومنها مقارنة الآباء والأبناء وهكذا..

فمن خلال ذلك عرلنا أن الله ع لا زوج له، ولا قرين، ألا ترى في حالة الزواج عند بني الإنسان منبها وجذانيا على فقر الإنسان واحتياجه، حتى لو تغطرس الإنسان وادعى ما ادعى وقال: ﴿أَتَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(١١) فإنه يبقى بذلك الإنسان المحتاج إلى الزوجة، فكل ملوك الدنيا لا يقدرون على ترك الزواج، بل لا بد أن تكون قصورهم مليئة بالغانيات، فهذه الفطرة وهذه الغريزة والحالة الشهوية يجعل هذا الملك صاغرا ذليلا مفترا محتاجا إلى الزوجة وإلى القرین، مهما حاول تعالى إلا أنه لا بد له من القرین والزوج، وهذه الحالة الغريزية التي لا تسمح للإنسان بالانفصال عن الزوج تهتف مذكرة الإنسان بأنك لا يمكن أن تكون إلها، وأن هناك من هو غني عن الأزواج وعن القراء وهو الله ع ع، كذلك هي حالة الitem إذن، تذكر الإنسان بأنك -أيتها الإنسان- فقير محتاج إلى الأب وإلى الأم، وأنك ضعيف لا تقاد تحمل فرائهما، ولذلك عوضك الله ع عنهم بشيء كثير علک ترضی وعل فرقك ينجبر، فأنت لا تصلح لك الوحدانية والتفرد، ولا

يصلح أمرك إلى الشفيع، فأينما وجدت فرداً فلا بد لك من شفيع يشفع لك، والله تعالى هو وحده الواحد بجميع أنحاء الوحدة، وهو المفرد الذي لا يحتاج إلى قريين، فسبحان ربنا الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾^(١٢).

رعاية اليتيم في دعوات الشريعة

نذكر هنا مجموعة من الروايات الشريفة المروية عن أهل البيت علیهم السلام في حق اليتامي والدعوة إلى رعايتهم:

١- ورد عن الإمام الصادق علیه السلام: «ما من عبد يمسح يده على رأس يتيم ترحمه إلا أعطاه الله عز وجل بكل شرة نوراً يوم القيمة»^(١٣).

٢- جاء في وصية أمير المؤمنين علیه السلام عند وفاته: «الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواهم^(١٤)، ولا يضيعوا بحضوركم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من عال يتينا حتى يستغنى أو جب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب لأكل مال اليتيم النار»^(١٥).

٣- وعنده علیه السلام أنه قال: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحمه إلا كتب الله له بكل شرة مرت يده عليها حسنة»^(١٦).

٤- ورد عن رسول الله علیه السلام أنه قال لرجل يشكو قسوة قلبه: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك»^(١٧).

٥- وروي عنه علیه السلام: «ارحموا اليتامي وأكرموا الغرباء، فإني كنت في الصغر يتيمًا وفي الكبر غريبًا»^(١٨).

٦- وعن صادق آل محمد علیه السلام: «إذا بكى اليتيم اهتز العرش فيقول الله تبارك وتعالى: من هذا الذي أبكى عبدي الذي سلبته أبويه في صغره؟ فوعزتي وجلالي وارتقاقي في مكاني لا يسكنه عبد مؤمن إلا أوجبت له الجنة»^(١٩).

٧- وعنه عليه السلام عن آباء الطاهرين عليهما السلام قال: «قال رسول الله عليهما السلام: مر عيسى بن مریم بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب! فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب! فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله، إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وأوى يتاماً فغفرت له بما عمل ابنه»^(٢٠).

٨- وفي الرواية أن أمير المؤمنين اشتكت عينه فعاده النبي عليهما السلام فإذا هو يصيح، فقال له النبي عليهما السلام: أجزعاً أم وجعاً؟ فقال: يا رسول الله ما وجعلت وجعاً قطًّا أشد منه، فقال: يا علي، إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفود^(٢١) من نار فنزع روحه به فتصبح جهنم، فاستوى علي عليه السلام جالساً فقال: يا رسول الله أعد علي حدثك فقد أنساني وجيء ما قلت، ثم قال: هل يصيب ذلك أحداً من أمتك؟ قال: نعم، حاكم جائز، وأكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور^(٢٢).

٩- عن أسماء بنت عميس: أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتاني رسول الله عليهما السلام وقد منأتُ أربعين مناً من أدم وعجنت عجيني، وأخذت بنيَّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل علي رسول الله عليهما السلام فقال: يا أسماء أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه فضمهم وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، إنه قتل اليوم، فقمت أصيح واجتمعت إلى النساء..^(٢٣).

جعلنا الله من الآخذين بسيرة نبيه عليهما السلام والعاملين بشرعيته، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ٦٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي، ج ١، ص ٥٣٥.



- (٣) البقرة: ٢٢٠.
- (٤) النساء: ١٠.
- (٥) البقرة: ٢٢٠.
- (٦) الملك: ٣.
- (٧) المؤمنون: ١٤.
- (٨) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٢٦٠، ح ٣٦.
- (٩) الملك: ٤.
- (١٠) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٣٩، ح ٤.
- (١١) النازعات: ٢٤.
- (١٢) الإخلاص: ٣-٤.
- (١٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٨٨، ح ٥٧٠.
- (١٤) جاء في حاشية نهج البلاغة: أغرب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي صلوا أفواههم بالإطعام ولا تقطعوه عنها. [نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٣، ص ٧٧، ح ٤٧، هـ ١. وقد ورد: زر غباً تزدد حبّاً.]
- (١٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٧، ص ٥١.
- (١٦) ثواب الأعمال، ص ١٩٩.
- (١٧) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، ص ٣٧٠٩، عن كتاب الترغيب والترهيب.
- (١٨) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٨٢.
- (١٩) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٨٨، ح ٥٧٣.
- (٢٠) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٦٠٣، ح ٨٧٣/٨٧٣.
- (٢١) السفود: الحديدية التي يشوى بها اللحم.
- (٢٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٢٥٣، ح ١٠.
- (٢٣) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٢١، ص ٦٣.



مسألتان في الصلاة

علي فاضل الصدوي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ.

(١) أفضليّة صلاة المرأة في بيتهما على صلاتها في
المسجد؟!

قال الحقُّ التراقي نقش في المستند: "وأمام النساء فصلاتهن
في بيتهنْ أفضل، ونسبة بعض المتأخّرين إلى فتوى الأصحاب (كما
في مجمع الفائدَة٢: ١٥٩)، وفي الذخيرة نسبتها إليهم أيضًا".^(١)

واستدل لذلك برواية ابن ظبيان وإحدى مرسلي الفقيه، ثم جعل صحيحَة
هشام بن سالم - التي سماها رواية - مؤيّدة.

هذا وقد ذهب بعض المعاصرين إلى فضيلة صلاة المرأة في المسجد^(٢)، وترقى بعضهم إلى الأفضلية^(٣).

فلنعد إلى أخبار المسألة متعرّفين لمن تنتصر.

الرواية الأولى: صحيحه ابن سالم عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في الدار^(٤).

الروایاتان الثانية والثالثة: مرسلتا الفقيه: أولاهما: قال الصادق عليهما السلام: خير مساجد نسائكم البيوت^(٥). وثانيتهما: روي أنَّ خير مساجد النساء البيوت، فصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في صفتها، وصلاتها في صفتها أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في سطح بيتها، ويكره للمرأة الصلاة في سطح غير محجر^(٦). وقد أورد صاحب الوسائل خصوص الفقرة الأولى من هذه الرواية.

الرواية الرابعة: رواية يونس بن طبيان قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: خير مساجد نسائكم البيوت^(٧).

وهذه الروايات الأربع لا يستفاد منها أفضلية صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد، أما الصحيحة فالمفاضلة فيها بين صلاتها في مخدعها وصلاتها في بيتها، وبين صلاتها في بيتها وصلاتها في الدار بلا حاظ للنسبة بين أيٌّ من المذكورات وبين المسجد.

وأما الثلاث الأخيرات فيحتمل فيها دلالة -مضافاً إلى ضعف سندها أجمع إما للإرسال أو ضعف الراوي -أن تكون الأفضلية بالإضافة إلى صلاتهن في الدور، لا بالإضافة إلى صلاتهن في المساجد، فتتحدد مضموناً مع الصيحة المتقدمة. فلا يمكن -والحال هذه- الاستدلال بشيء من هذه الروايات الأربع على كون صلاة

المرأة في بيته أفضل من صلاتها في المسجد.

الرواية الخامسة: مرسلة مكارم الأخلاق، قال النبي ﷺ: صلاة المرأة وحدها في بيته تفضل صلاتها في الجمع خمساً وعشرين درجة^(٨). وهذه الرواية -مضافاً إلى ضعفها بالإرسال- لا تُميز بين صلاتها في البيت وصلاتها في المسجد، بل تُميز بين صلاتها في بيته وصلاتها جماعةً، فهي إذن خارجة عن حريم البحث.

الرواية السادسة: صحيح أبي همّام عن أبي الحسن عالشية قال: إذا صلت المرأة في المسجد مع الإمام يوم الجمعة ركعتين فقد نقصت صلاتها، وإن صلت في المسجد أربعاً نقصت صلاتها، لتصل في بيته أربعاً أفضل^(٩).

ومُورِد هذه الرواية هو الشيخ في التهذيب، وطريقه إلى محمد بن عليّ بن محبوب الراوي لها عن يعقوب بن يزيد عن أبي همّام وإن كان ضعيفاً في المشيخة، إلا أنه صحيح في الفهرست، كما أنّ الرواية بعد محمد بن علي ثقة. ولم يورد هذه الرواية صاحب الوسائل جليله في الباب الذي عقده للمسألة كما لم يُحل بجملة: (يأتي ما يدل على ذلك) عليها، نعم أحال إليها المحسّي فلاحظ.

هذا والصحيح واضحة الدلالة على أفضلية صلاة المرأة في بيته على صلاتها في المسجد ولو في جمعة، بل يستفاد منها عدم الفضيلة لصلاتها في المسجد؛ إذ لا يجتمع نقص الصلاة مع الفضيلة.

فالنتيجة في ظل هذه الصحة في نصرة المشهور.

ثم لا ينافي هذه النتيجة تقرير النبي ﷺ صلاة النساء معه جماعةً، ففي الفقيه، قال أمير المؤمنين عالشية: كان النساء يصلين مع النبي ﷺ، فكن يؤمن أن لا يرعن رؤوسهن قبل الرجال؛ لضيق الأزر^(١٠). نعم لا ينافيها؛ لأن التقرير لا يفيد الأفضلية، بل التقرير لا يفيد أصل الفضيلة والاستحباب كما هو واضح. على أنّ

التقرير قد يكون لأجل إدراك فضيلة جماعة النبي ﷺ التي هي من أفضل الفضائل، فلا يعارض التقرير النتيجة المزبورة، كما أفاد ذلك الحقائق النراقي تأثث.

نعم يظهر من بعض ما تقدم من الروايات أنَّ أفضليَّة صلاة المرأة في بيتهما بخلاف الإبقاء على التحفظ الكامل من الأجنبي، وأنَّ العبرة في أفضليَّة مكان صلاة المرأة بكونها فيه أبعد عن نظر الآخرين، فمعه قد يستوي البيت في حقها والمسجد، وذلك حينما يكون كُلُّ منها بالمرتبة المذكورة، أو يفضل الثاني على الأول، حينما يكون الواجب لها حسب.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

(٢) الأذكار من تعقيبات السور والآيات

ما اتفقت عليه كلمة علمائنا مسألة مبطليَّة التكلُّم عمداً للصلوة، قال في المستند: "الرابع (من منافيات الصلاة وبطلاتها) التكلُّم عمداً بغير أجزاء الصلاة الواجبة أو المستحبة... إجماعاً محققاً ومحكياً في كلام جماعة، منهم الخلاف والتذكرة والمنتهى والذكرى وغيرها" ^(١١).

والنصوص على ذلك واضحة، منها صحيح البخاري عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَامُ ^(١٢): ابن على ما مضى من صلاتك ما لم تنقض الصلاة بالكلام متعمداً، وإن تكلمت ناسياً فلا شيء عليك

وقد استثنى من إطلاق ذلك عناوين، وهي ما كان قرآنًا أو دعاءً أو ذكرًا؛ لانصراف نصوص المنع إلى ما كان من سنسخ كلام الآدميين غير الصادق على مثل القرآن أو الدعاء أو الذكر، وللنصول، منها صحيح البخاري بن مهزيار، قال سألت أبا جعفر عَلَيْهِ الْكَلَامُ عن الرجل يتكلَّم في صلاة الفريضة بكلٍّ شيء ينادي به ربه. قال: نعم ^(١٣)، ومنها صحيح البخاري قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَامُ : كُلُّ ما ذكرت الله



عز وجلّ به والنبي ﷺ فهو من الصلاة^(١٤).

هذا وقد نصّت جملة من الروايات على رجحان بعض التلفظات بعد قراءة بعض السور أو آياتها أو أبعاضها، ومقتضى إطلاق هذه الروايات رجحان ذلك حتى إذا قرئت في الصلاة، واللماح أن بعض هذه التلفظات ما هو ذكر الله سبحانه، ومنها ما ليس ذكراً، فالإتيان بما ليس ذكراً في الصلاة يتوقف على ثبوت أصل رجحانه فيها بمستند شرعى.

ضابطة الذكر:

ولا بدّ من تقديم مسألة بين يدي استعراض تلك الروايات الناصحة على رجحان بعض التلفظات، وهذه المسألة هي ضابط ما هو ذكر المستثنى من ما دلّ على مبطلية الكلام للصلاة عمداً. وبصياغة أكثر سعةً ما هو ضابط الكلام غير المبطل للصلاحة مما هو ليس قرآنًا أو دعاءً؟

والجواب: إن مفاد صحيحة ابن مهزيار المتقدمة -وكذا مفاد مرسلتي حمّاد بن عيسى^(١٥)، والصدوق في الفقيه^(١٦) - عدم ضائرية ما خاطب به المصلي ربّه وناجاه أو كلامه به، ولكنّ مفاد صحيحة الحلبى المتقدمة أوسع من هذا، فهي تدلّ على عدم منافاة كلّ ما ذكر المصلي به ربّه (عدم منافاته) للصلاحة، وإن لم يكن بهذه الطريقة لله والتکليم والمناجاة له.

بل الواضح من هذه الصريحة أن ما يأتي به المصلي ذكراً لرسول الله ﷺ لا ينافي الصلاة، وأنّه ليس من كلام الآدميين، بل من الصلاة، ومن هذا يتضح جواز التسليم على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير وإن لم يقم دليل خاصٌ على جوازه أو استحباب التسليم على النبي ﷺ في هذا الموضع^(١٧)، بل بما ذكرنا يتوجه جواز التسليم على النبي ﷺ في غير هذا الموضع من الصلاة وجواز الإطراء عليه، وقد يشهد لهذا أيضاً صريحة أبي بصير الواردة في كيفية التشهد والمشتملة



على إطراه وثناء على النبي ﷺ ففيها أشهد.. وأنَّ مُحَمَّداً نعم الرسول^(١٨).

استعراض الروايات:

إذا تهدى فلنستعرض الروايات الناصحة على رجحان بعض التلفظات بعد بعض السور أو الآيات أو أبعاضها لافتين إلى ما هو ذكر منها في ضوء الضابطة وما ليس بذكر.

الرواية الأولى: حديث زرارة برواية الصدوق عليه السلام في العلل لكيفية الصلاة عن أبي جعفر عليه السلام: ولا تقولن إذا فرغت من قراءتك: آمين، فإن شئت قلت: الحمد لله رب العالمين^(١٩).

الرواية الثانية: صحيحة جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كنت خلف إمام فقرأ الحمد، وفرغ من قراءتها فقل أنت: الحمد لله رب العالمين، ولا تقل: آمين^(٢٠).

ومورد هذه الصحيحة خصوص المأمور، ومورد الرواية الأولى وإن كان يشمل الإمام والمنفرد إلا أن في سندها محمد بن علي ماجيلويه، وهو مجھول، وبناءً على هذا فالإتيان بهذا الذكر من باب الرجاء مما لا بأس به، بل لو أتى به بعنوان الذكر العام فلا بأس به ما دام المصلي يقصد بالتلفظ به الإقرار بأنَّ الله سبحانه كما وصف نفسه، اللهم إلا أن يقال أن محمد بن علي ماجيلويه لما كان أحد مشايخ الصدوق عليه السلام وقد أكثر الرواية عنه في الفقيه وغيره كما أكثر الترضي والترحم عليه، وهذا ما قد يوجب الوثوق بوثاقته، فتغدو الرواية حسنةً.

الرواية الثالثة: مرسلة مجمع البيان عن فضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها (أنت في الصلاة) فقل: الحمد لله رب العالمين^(٢١). ويعرف الكلام فيها مما مرّ.

الرواية الرابعة: مرسلة أبي عبد الله البرقي ومحمد بن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي للعبد إذا صلى أن يرتجل في قراءته.. وإذا مرّ بأيتها (بها أيها)

الناس، ويَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُ: لَيْكَ رِبُّنَا^(٢٢).

ونظراً لضعف الرواية بالإرسال فلا بأس بالإتيان بهذا الذكر رجاءً أو بقصد الذكر العام.

الرواية الخامسة: صحيحه عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ عن القراءة في الوتر. فقال: كان بيبي وبين أبي بابٌ، فكان إذا صلّى يقرأ في الوتر بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ثلاثهن، وكان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإذا فرغ منها قال: كذلك (كذاك) الله ربِّي^(٢٣).

الرواية السادسة: مرسلة مجمع البيان عن الفضيل بن يسار قال: أمرني أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ أن أقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأقول إذا فرغت منها: كذلك الله ربِّي ثلثاً^(٢٤).

الرواية السابعة: رواية عبد العزيز بن المهدى المرفوعة عنه بطريق الكليني، والضعيفة بسند الصدوق قال سألت الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ عن التوحيد فقال: كُلُّ مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وآمن بها فقد عرف التوحيد، قلت: كيف يقرؤها؟ قال: كما يقرأ الناس، وزاد فيها: كذلك الله ربِّي، كذلك الله ربِّي^(٢٥).

الرواية الثامنة: رواية رجاء بن أبي الضحاك عن الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ -في حديث- أَنَّهُ كَانَ إِذَا قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ سرّاً ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإذا فرغ منها قال: كذلك الله ربِّنا ثلثاً.^(٢٦)

ورغم اختلاف هذه الروايات من حيث صيغة الذكر، وأنها بالجملة أو الإفراد، ومن حيث التوحّد أو التعدد بمرتين أو ثلاث -إلا أن الإتيان به رجاءً أو من باب الذكر العام مما لا بأس به، بل استحباب الإتيان به بال نحو الذي اشتغلت عليه صحيحه ابن الحجاج وبقصد الورود عنهم عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ ثابت؛ لصحة الرواية، وموردها الصلاة.

الرواية التاسعة: صحيحة حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله علّيَّ يقول: يستحب أن يقرأ في دبر الغداة يوم الجمعة الرحمن، ثم تقول كلما قلت: ﴿فبأيِّ آلاء رِبِّكَمَا تكذِّبَان﴾ قلت: لا بشيءٍ من آلاتك ربّكَذبَ^(٢٧). ومورد هذه الرواية وإن كان غير الصلاة إلا أن ما ندبت إليه لما كان ذكرًا، فيسوغ الإتيان به في الصلاة رجاءً أو بقصد الذكر المطلق؛ لتناقض الموردة.

الرواية العاشرة: موثقة عمّار بن موسى عن أبي عبد الله علّيَّ -في حديث- قال: الرجل إذا قرأ ﴿والشمس وضحاها﴾ فيختتمها يقول: صدق الله وصدق رسوله، والرجل إذا قرأ ﴿عَالَهُ خَيْرٌ أَمَا يَشْرَكُون﴾ يقول: الله خير، الله خير، الله أكبر، وإذا قرأ ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُون﴾ أن يقول: كذب العادلون بالله، والرجل إذا قرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَخَذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ النَّذِلِ وَكَبَرَهُ تَكْبِيرًا﴾ أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، قلت: فإن لم يقل الرجل شيئاً من هذا إذا قرأ؟ قال: ليس عليه شيء^(٢٨). ومقتضى إطلاق هذه الرواية استحباب هذه التلفظات حتى حال الصلاة، ولا مانع من شمول الإطلاق لحال الصلاة؛ إذ أن جملة (صدق الله) ذكرٌ، وكذا (صدق رسوله)، لما مرّ في ضابطة الذكر من أن ذكر النبي علّيَّ وآله في الصلاة من الصلاة، كما أن جملة (الله خير، الله خير، الله أكبر)، وكذا (الله أكبر) ثلاثة من الذكر. وبالجملة فالإتيان بهذه الأذكار في الصلاة بقصد الورود مستحب؛ للإطلاق المشار إليه، وسيأتي الحديث عن جملة (كذب العادلون بالله) بعد الرواية الرابعة عشر.

الرواية الحادية عشر: مرسلة مجمع البيان روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله علّيَّ لما نزلت هذه الآية ﴿إِلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال رسول الله علّيَّ وآله: سبحانك اللهم وبلى^(٢٩). والإتيان بهذا الذكر لا بقصد الورود والخصوصية للصلاة بل بقصد الذكر المطلق أو رجاء مطلوبيته بعد كونه ذكرًا مما

لَا بَأْسَ بِهِ.

الرواية الثانية عشر: ما في حديث الأربعين عن علي عليه السلام قال: إذا فرغتم (قرأتם) من المسحات الأخيرة فقولوا: سبحان الله الأعلى، إذا قرأتم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فصلوا عليه في الصلاة كتم أو في غيرها، إذا قرأتم ﴿وَالَّذِينَ﴾ فقولوا في آخرها: ونحن على ذلك من الشاهدين، وإذا قرأتم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ فقولوا: آمنا بالله حتى تبلغوا إلى قوله ﴿مُسْلِمُونَ﴾^(٣٠). وطريق هذا الحديث مشتمل على القاسم بن يحيى، ولم يوثق. نعم حكم الصدوق بصحة روایة، وأنها أصح روایات الباب الذي هي فيه، والقاسم في طريق تلك الروایة.

هذا ومقتضى إطلاق الحديث رجحان تلك الكلمات حتى للمصلّى، ولا مانع من الأخذ بهذا الإطلاق فيما اشتمل عليه، حتى في الإتيان بـ(ونحن على ذلك من الشاهدين) بعد سورة التين؛ فإنّها شهادة بأن الله سبحانه أحكم المحاكمين، وهو ذكر له تعالى.

الرواية الثالثة عشر: مرسلة مجمع البيان عن داود بن الحسين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قرأت ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فقل: يا أيها الكافرون، وإذا قلت: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فقل: أعبد الله وحده، وإذا قلت: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾ فقل: ربّي الله، وديني الإسلام^(٣١).

الرواية الرابعة عشر: تتمّة روایة رجاء بن أبي الصحاّك عن الرضا عليه السلام - في حديث - وكان إذا قرأ سورة الجعد قال في نفسه سراً: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، فإذا فرغ منها قال: الله ربّي، وديني الإسلام ثلثاً، وكان إذا قرأ ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ قال عند الفراغ منها: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، وكان إذا قرأ ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال عند الفراغ منها: سبحانك الله ربّي - إلى أن قال - وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: الحمد لله رب العالمين، وإذا قرأ ﴿سَبْحَنَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال سراً:

سبحان ربّي الأعلى، وإذا قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: لِيَكَ اللَّهُمَّ لِيَكَ سرّاً،
الحديث (٣٢).

وهاتان الروايتان ضعيفتان الأولى بالإرسال والأخيرة بوجود المjahيل في طريقها، ورغم الضعف إلا أن بعض ما اشتملنا عليه لما كان من الذكر غير المنافي لصحة الصلاة فلا بأس بالإتيان به رجاءً أو بقصد الذكر المطلق، وذلك البعض هو (أعبد الله وحده)، و(ربّي الله)، و(الله ربّي)، و(بلى)، وأنا على ذلك من الشاهدين)، و(سبحانك اللهمّ وبلى)، و(الحمد لله رب العالمين)، و(سبحان ربّي الأعلى)، و(ليك اللهمّ ليك).

وأما ما ليس ذكر وهو (ديني الإسلام)، و(كذب العادلون بالله)، وكذا (يا أيها الكافرون) -بعد قراءة الآية الأولى من الجحد- إذا لم تكن بقصد القرآنية -فهذه لما لم تكن داخلة تحت ضابطة الذكر المستثنى من دليل مبطليّة الكلام متعمداً للصلاة، ولما لم تكن الروايات الدالة على رجحانها نقية الإسناد- فلا يسوغ الإتيان بها في الصلاة؛ لإطلاق ما دل على مبطليّة التكلّم متعمداً للصلاة.
لا يقال بأن لقاعدة التسامح مسرحاً فيما نحن فيه وهو مورد لها؛ فلا بأس بالإتيان بهذه التلفظات رجاءً.

لأننا نقول: إن المسألة هنا حديّة؛ وذلك لأن السائغ في الصلاة من التلفظات هو خصوص ما كان قرآنًا أو دعاءً ومسألةً ومناجاةً أو ذكرًا لا مطلق الكلام الشامل لما يصطلح عليه بـ«كلام الآدميين»، فإن التلفظ به عمداً مبطل للصلاحة.
بل لو كانت الأخبار الدالة على رجحان هذه التلفظات نقية الإسناد -كما هو الحال بالإضافة إلى ما اشتمل على رجحان (كذب العادلون بالله) وهو موثقة عمار المتقدمة- فلا يسوغ الإتيان بها في الصلاة، وذلك للتنافي بينها وبين ما دل على منافاة التكلّم عمداً للصلاحة، والنسبة بينهما هي نسبة العموم والخصوص من

ووجه، وحالة الصلاة مادة الاجتماع ، فلا يجوز والسبة هذه التمسك بتلك الأخبار لإثبات جواز فضلا عن رجحان تلك التلفظات حال الصلاة^(٣٣).

والكلام هو الكلام لو قلنا في صورة عدم صحة الروايات سندًا باستفادة الرجحان والاستحباب الشرعي من قاعدة التسامح^(٣٤) فلا يكون ما نحن فيه سائغاً في الصلاة؛ لمنافاة القاعدة لما دلّ على بطلان التكلّم عمداً للصلاة، والسبة بينهما هي النسبة السابقة، والنتيجة هي النتيجة.

اللهم إلا أن يكون مورد الرواية هو حالة الصلاة -مع نقأه سند الرواية أو تبئني استفادة الاستحباب الشرعي من أخبار (من بلغ) - فيجوز الإتيان بهذه التلفظات وإن لم تكن أذكاراً، ويكون المستثنى آنذاك من منافاة التكلّم عمداً للصلاة - أربعة عناوين: ما كان ذكرًا أو قرآنًا أو دعاءً أو ما دلّ الدليل على رجحانه في الصلاة وإن لم يكن من الثلاثة الأول .
والحمد لله أولاً وأخراً، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

الهوامش:

(١) مستند الشيعة: ٤٧٥.

(٢) منهم السيد السيستاني دام ظله، (انظر: منهاجه: ١٨٧ م ٥٦١)، والسيد الخامنئي دام ظله، (انظر: أجوبته: ١١٩ م ٤٢)، وصار إليها السيد محمد الشاهرودي دام ظله معلقاً إياها على التحفّظ الكامل للمرأة من الأجنبي عند حضورها المسجد (انظر: ذخيرة المؤمنين: ١٥٠ م ٧٦٤).

(٣) منهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله، (انظر: توضيح المسائل: ١٤٨ م ٨١٧)، والشيخ المتّنظري DAMA، (انظر: الأحكام الشرعية: ١٦٣ م ٩٠٨) شريطة التحفّظ الكامل من الأجنبي عند حضورها المسجد.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ١٥٩ ح ١١٧٨، وسائل الشيعة: ٥: ٢٣٦ ب ٣٠ من أبواب أحكام المساجد ح ١.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ١٥٤ ح ٧١٩، وسائل الشيعة: ٥: ٢٣٧ ب ٣٠ من أبواب أحكام المساجد ح ٢.

- (٦) من لا يحضره الفقيه: ٢٤٤ ح ١٠٨٨، وسائل الشيعة: ٣٠ ب ٢٣٧ من أبواب أحكام المساجد ح.^٣
- (٧) وسائل الشيعة: ٣٠ ب ٢٣٧ من أبواب أحكام المساجد ح.^٤
- (٨) وسائل الشيعة: ٣٠ ب ٢٣٧ من أبواب أحكام المساجد ح.^٥
- (٩) وسائل الشيعة: ٣٤٠ ب ٢٢ من أبواب صلاة الجمعة وآدابها ح.^٦
- (١٠) من لا يحضره الفقيه: ٢٥٩ ح ١١٧٥، وسائل الشيعة: ٣٤٣ ب ٢٣ من أبواب صلاة الجمعة ح.^٧
- (١١) مستند الشيعة: ٧ : ٢٨.
- (١٢) وسائل الشيعة: ٢٥ ب ٢٨٢ من أبواب قواطع الصلاة ح.^٨
- (١٣) وسائل الشيعة: ٢٦٣ ب ١٣ من أبواب قواطع الصلاة ح.^٩
- (١٤) وسائل الشيعة: ٢٦٣ ب ١٣ من أبواب قواطع الصلاة ح.^{١٠}
- (١٥) وسائل الشيعة: ٢٦٣ ب ١٣ من أبواب قواطع الصلاة ح.^{١١}
- (١٦) وسائل الشيعة: ٢٨٩ ب ١٩ من أبواب القنوت ح.^{١٢}
- (١٧) ومنه تظهر المخدة فيما أفاده السيد الخوئي في مستند العروة الوثقى (الصلاحة): ٤١٢.
- (١٨) وسائل الشيعة: ٣٩٣ ب ٣ من أبواب التشهد ح.^{١٣}
- (١٩) وسائل الشيعة: ٤٦٤ ب ١ من أبواب أفعال الصلاة ح.^{١٤}
- (٢٠) وسائل الشيعة: ٦٧ ب ١٧ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{١٥}
- (٢١) وسائل الشيعة: ٦٨ ب ١٧ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{١٦}
- (٢٢) وسائل الشيعة: ٦٨ ب ١٨ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{١٧}
- (٢٣) وسائل الشيعة: ١٣١ ب ٥٦ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{١٨}
- (٢٤) وسائل الشيعة: ٧٠ ب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{١٩}
- (٢٥) وسائل الشيعة: ٧٠ ب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{٢٠}
- (٢٦) وسائل الشيعة: ٧٠ ب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{٢١}
- (٢٧) وسائل الشيعة: ٧٢ ب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{٢٢}
- (٢٨) وسائل الشيعة: ٧١ ب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{٢٣}
- (٢٩) وسائل الشيعة: ٧٤ ب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح.^{٢٤}

- (٣٠) وسائل الشيعة: ٦٧٢ بـ ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح ٥.
- (٣١) وسائل الشيعة: ٦٧٣ بـ ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح ١٠.
- (٣٢) وسائل الشيعة: ٦٧٣ بـ ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح ٨.
- (٣٣) ومنه يظهر النظر فيما اختاره الشيخ الأمين في كلمة التقوى: ٢١٤٥ (المقالة ٤٨٩) من استحباب أن يقول المصلي إذا فرغ من سورة الحجـد: «الله ربـي، وديني الإسلام» ثلاثاً أو «ربـي الله، وديني الإسلام».
- (٣٤) ولكنَّ أخبار (من بلغ) فاقرة عن إفادـة الاستحباب الشرعي، بل غـايـتها ترثـبـ الشـوابـ على الإـتـيانـ بـتـعلـقـ النـدبـ فـيـ الرـوـاـيـاتـ، وـهـوـ لـاـ يـسـاـوـقـ الـاسـتـحـبـابـ، وـإـنـ كـانـ لـاـ يـعـانـدـهـ.

لَا يُرِيكُمْ رَبُّكُمْ لَكُمْ



أخبار التخيير بين القصر والتمام في الموضع الأربعـة المشرفة

(القسم الثالث)

محمد علي العزبي

(هذا هو القسم الثالث والأخير من المقالة التي تعرض فيها الكاتب إلى الأخبار التي وردت في مسألة القصر والتمام في الموضع الأربعـة المشرفة، مكة والمدينة والكوفة والحاير، وقد طعّمها بنكـات رجالـية وسندـية مهمـة، والأخـبار التي ذكرـها الكاتـب مرتبـة بحسب الروـاة، انتـهى فيها في القـسم الأول والثـاني إلى الراـوي السادس عـشر، ويـكمل هنا من الراـوي السابع عـشر):

السابـع عـشر: ما رواه أبـو بصـير عن أبـي عبد الله عـلـيـهـالـسـلـطـانـةـ، وهـي روـاـية وـاحـدةـ، متـحـدـةـ الـلـفـظـ وـالـمـعـنـىـ معـ نـظـيرـاتـهاـ، كـرـوـاـيةـ خـادـمـ إـسـمـاعـيلـ وـرـوـاـيةـ زـيـادـ القـنـديـ.

وهي ما رواه الشيخ الكليني في الكافي عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن إسحاق بن جرير^(١) عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «تَقْمِلُ الصَّلَاةُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَحَرَمِ الْحُسْنَى صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٢).
ورواه عنه الشيخ في التهذيب^(٣).

وإسحاق بن جرير أبو يعقوب، ثقة، له كتاب معروف يرويه عنه جماعة، كما في فهرست النجاشي^(٤)، وذكر الشيخ في رجاله أنه وافق^(٥)، ولم يغمز في مذهبة الآخرون من أصحابنا أصحاب التصانيف الرائجة إلى اليوم، وليس في الأخبار ما يؤيد قول الشيخ، ولم نقف لرواية لإسحاق عن أبي بصير إلا في هذا الموضع.

والكلام في أبي بصير طويل، خلاصته أن أبا بصير عند الإطلاق وعدم القرينة شخص واحد، هو يحيى بن القاسم الأسدى، وأما ليث بن البحترى المرادى فقد شابه أبا بصير صفة وطبقه فكى بأبي بصير الأصغر -كحال مجموعة من الرواة الذين كانوا بناء على الصفة وهي الضرر- وهو المحكى في فهرست النجاشي^(٦)، وما وقع في كثير من الموضع من عطف ليث تفسيراً لأبي بصير في أخبار التراجم وارد مورد التوهم، حتى أن الخلط نقله الكشى في معرفة الرجال فقال ضمن من سماهم من فقهاء الأصحاب من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: "قال بعضهم مكان أبي بصير الأسدى أبو بصير المرادى وهو ليث بن البحترى"^(٧)، وتكرر هذا في موارد كثيرة، والأول -أى الأسدى- منها جليل الشأن عظيم المنزلة حامل لأسرار النبوة والإمامية بلا ريب، والثانى وافقى مشكك مسيء للأدب مع الأئمة عليهما السلام، وهو الذي حكى أو مسح على صدره مستهزءاً وقال: "ما أظن صاحبنا تناهى حلمه بعد"^(٨) يقصد الكاظم عليه السلام، وأما غيرهما من

كُنْيَى بِهَذِهِ الْكُنْيَةِ فَمُنْصَرِفٌ عَنِ الْمَحِيطِ، لَا خِلَافٌ لِطَبْقَةِ تَارِيْخٍ وَعَدْمِ الْمَشْهُورِيَّةِ تَارِيْخٍ أُخْرَى، وَتَفْصِيلُ الْجَمْلَةِ مِنْ الْقَوْلِ فِي مَحْلٍ يَسِعُ التَّفْصِيلَ.

وَكَانَ الشَّيْخُ الْحَرَّاجُ^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ} يُعِيزُ لِيَثَ الْبَخْتَرِيَّ دَائِمًاً بِرَوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانٍ عَنْهُ، وَيُزِيدُ فِي السَّنْدِ هَذَا الْمَعْنَى فَيَقُولُ: «يُعِيزُ لِيَثَ الْبَخْتَرِيَّ»، وَهُوَ الْمَوْيِدُ بِرَوَايَةِ الْكَلِيْنِيِّ: عَدَدُ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عُمَرِ بْنِ عُثْمَانَ وَعَلَيْهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغَيْرَةِ عَنْ أَبِنِ مُسْكَانٍ عَنْ أَبِي بَصِيرِ لَيَثِ الْمُرَادِيِّ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَتَّبَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ عَشْرَ مَرَاتٍ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُمْتَدُ وَيُحْيِي، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ كَفَارَةً لِذَنْبِهِ ذَلِكَ الْيَوْمُ»^(٩)، وَهُوَ الْمُوْرَدُ الْوَحِيدُ فِي الْكَافِيِّ الَّذِي كُنْيَى فِيهِ لَيَثُ الْمُرَادِيُّ بِأَبِي بَصِيرٍ، إِذَا عَادَهُ مَا يَذْكُرُهُ بِاسْمِهِ لِيَثَ بْنَ يَحْيَى.

كَذَلِكَ مَا ذُكِرَهُ الشَّيْخُ^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ} فِي التَّهْذِيبِ -وَهُوَ مَوْضِعُ مُنْفَرِدٍ- تَقِيِّيْزاً لِأَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: مَا أَحْبَرَنِي بِهِ الشَّيْخُ^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ} أَيَّدَهُ اللَّهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبْيَانٍ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبْنِ سَتَانٍ عَنْ أَبِنِ مُسْكَانٍ عَنْ لَيَثِ الْمُرَادِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّيَمُّمِ قَالَ: «تَضَرِبُ بِكَفِيْكَ عَلَى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ»، ثُمَّ قَالَ ذِيْلُ الْمَبْحَثِ: «وَهَذَا لَا يَنْقُضُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ إِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ الْخَبَرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ الَّذِيْنَ أَحَدُهُمَا عَنْ أَبِي بَصِيرِ لَيَثِ الْمُرَادِيِّ»^(١٠) إِلَى آخرِ كَلامِهِ أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ.

وَفِي الْفَقِيهِ: رَوَى عَاصِمٌ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي بَصِيرِ لَيَثِ الْمُرَادِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: مَتَى يَحْرُمُ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ وَتَحْلُّ الصَّلَاةُ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَقَالَ لِي: «إِذَا اعْتَرَضَ الْفَجْرُ فَكَانَ كَالْقَبْطِيَّةِ الْبَيْضَاءِ فَقَمْ يَحْرُمُ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ

وَتَحْلُّ الصَّلَاةُ صَلَاةُ الْفَجْرِ» قُلْتُ: أَفْلَسْنَا فِي وَقْتٍ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ شَعَاعُ الشَّمْسِ قَالَ: «هَيَّاهَا أَيْنَ تَذَهَّبُ بِكَ تُلْكَ صَلَاةُ الصَّبَّيَانِ»^(١١)، وَهُوَ الْمُوْرَدُ الْوَحِيدُ فِي الْفَقِيهِ الَّذِي ذَكَرَ كَنْيِتَهُ عَلَى خَلَافِ الْعَادَةِ مِنْ ذَكْرِ اسْمِهِ فَقَطُّ، وَهَذَا مُورَدٌ آخَرُ لِلتَّميِيزِ بَيْنَهُمَا. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ -وَهُوَ الْوَحِيدُ- مَمِيزًا لِيَحِيَيِّ بْنِ الْقَاسِمِ: رَوَى عَلَيْيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ أَبْنَاءِ الْأَحْمَرِ عَنْ أَبِي بَصِيرِ يَحِيَيِّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَسْدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَفَاءُ نَزَّلَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١٢) الْحَدِيثُ، وَهَذَا عَلَى خَلَافِ عَادَتِهِ فِي ذَكْرِ كَنْيِتِهِ دُونَ اسْمِهِ، عَلَى عَكْسِ لِيَثَ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ الْمَرَادِيِّ.

وَفِي آخَرَ وَهُوَ وَحِيدُ أَيْضًا: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ التَّنَحَّعِيِّ عَنْ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيٍّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَحِيَيِّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَئْمَةُ بَعْدِي أَنَا عَشَرَ»^(١٣) الْحَدِيثُ، إِذَا عَادَةً مَا يَطْلُقُ الْكَنْيَةَ وَيَرِيدُ بِهَا أَبِي بَصِيرَ الْأَسْدِيَّ ثَقَةُ الْجَلِيلِ.

وَجَرِيَ هَذَا الْمَجْرِيُّ قَبْلَهُمُ الْبَرْقِيُّ فِي مَحَاسِنِهِ، قَالَ: وَعَنْهُ [مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ هَاشِمَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرِ لِيَثِ الْمَرَادِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ نُوحًا حَمَلَ فِي السُّفِينَةِ الْكَلْبَ وَالْخَزِيرَ، وَلَمْ يَحْمِلْ فِيهَا وَلَدَ الزَّنَاءِ، وَإِنَّ النَّاصِبَ شَرٌّ مِنْ وَلَدِ الزَّنَاءِ»^(١٤)، فَمَمِيزَهُ بِرَوَايَةِ الْأَنْصَارِيِّ.

وَفِي عَلَلِ الصَّدَوِيقِ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ الْوَلِيدِ حَوْلَتْهُ قَالَ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَالٍ عَنْ الْمُفْضَلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي بَصِيرِ لِيَثِ الْمَرَادِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ سَمِيَ مسْجِدُ الْفَضِيْخِ مسْجِدَ الْفَضِيْخِ؟ قَالَ: «النَّخْلُ سَمِيَ الْفَضِيْخُ فَلَذِكْ سَمِيَ»^(١٥).

والطريق إلى كتابه عند الشيخ النجاشي يير بابن فضال عن أبي جميلة - وهو المفضل بن صالح - عن أبي بصير ليث بكتابه، وهو المتعارف في الكتب والمذكور بلا كنية، مع تلقبيه بالمرادي في أكثرها.

وفي مشيخة الصدوق بين طرقه لكتاب عبد الكريم بن عتبه قال: "عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن عبد الكريم بن عمرو الخفمي، عن ليث المرادي، عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي"^(١٦)، وكذا السند متكرر كثيراً إلى ليث المرادي.

فاتضح أن الأصل عند إطلاق أبي بصير - في الكتب الأربع وما ذكرناه - هو الإشارة ليعيى بن القاسم الأستاذ الجليل الشأن، وأن الأصل في البختري الإكتفاء باسمه (ليث المرادي أو ليث بن البختري) دون كنيته، وأنهم ييزون بينهم في تلك الموارد التي تختلف الأصل - وهي قليلة بلحاظ الرواية لا عدد الروايات - برواية ابن مسakan وعاصم بن حميد وهاشم بن أبي سعيد الأنباري والمفضل بن صالح وعبد الكريم الهاشمي وأبان بن عثمان وأيوب بن الحر وأبي أيوب الحرراز وعبد الله بن بكير وحميد بن المثنى أبي المغرا عن ليث بن البختري، كما بيننا في طريقة الشيخ الحر^{رحمه الله} في الوسائل، وأنت إن لاحظت ما عدناهم وجدت أكثرهم يرونون عن ليث بن البختري بلا كنية، هذا ما وقفت عليه بعد طول تتبع.

وعلى أي حال، فالرواية مقبولة، لا لتعيين المقصود من أبي بصير يقيناً ولا لكون أبي بصير - أياً كان - ثقة، بل لأن الرواية مودعة في كتب الأخبار المعروفة الممحضة، ككتب محمد بن الحسين كما مرّ، وإسحاق بن جرير الثقة، فإن ملاحظة أخباره وشأن الرجالين في توصيفه وتوثيقه يسكن النفس لصحة ما نقلوه عنه من كتابه، أضف إليه اتحاد مضمون هذا الخبر مع ما تقدم من الأخبار الصاححة.

والكلام في دلالتها هو بعينه الكلام في مثيلاتها السابقة.

الثامن عشر: ما رواه معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي رواية واحدة وردت بنحوين متفاوتين.

رواهما الشيخ الصدوق -بسند صحيح- في العلل قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبىان عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن معاوية بن وهب قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: مكة والمدينة كسائر البلدان؟ قال: نعم، قلت قد روی عنك بعض أصحابنا أئمتك قلت لهم: أتوا بالمدينة بخمس، فقال: إن أصحابكم هؤلاء كانوا يقدمون فيخرجون من المسجد عند الصلاة، فكرهت ذلك لهم فلذلك قلته» ^(١٧).

وروى الأخرى الشيخ في التهذيب بسنته عن موسى بن القاسم عن عبد الرحمن عن معاوية بن وهب قال: «سأّلتُ أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عَن التَّقْصِيرِ فِي الْحَرَمَيْنِ وَالْتَّمَامِ؟ فَقَالَ: لَا تُتَمَّمُ حَتَّى تَجْمَعَ عَلَى مُقَامِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَصْحَابَنَا رَوَوْا عَنِّي أَنِّي أَمْرَتُهُمْ بِالْتَّمَامِ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَكَ كَانُوا يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ فَيُصْلُوْنَ وَيَأْخُذُونَ نِعَالَهُمْ وَيَخْرُجُونَ وَالنَّاسُ يَسْتَقْبِلُونَهُمْ يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ لِلصَّلَاةِ، فَأَمْرَتُهُمْ بِالْتَّمَامِ» ^(١٨).

وهما حديث واحد اختلفت ألفاظهما من جهة الرواية، يشهد له ذيل الخبرين، وذكرنا في طيات ما سبق أن الترجيح لألفاظ رواية غير موسى بن القاسم، خاصة منها ما يتعلق بأمور الحجّ؛ فإننا وقفنا على الكثير من أخباره مما يتحدد مع غيره في الروايات ويتفاوت في اللفظ ويؤخذ عنها، وهذه الرواية من تلك الأخبار التي رواها موسى بن القاسم في كتابه، لا أن المخلل وقع من روی عنه موسى؛ فإنه احتمال مرجوح بعد تقسي الأحاديث ومقارنتها، ولا يقال ضبط موسى بن القاسم في كتابه بضبط مثل حماد بن عيسى المتحرز عن التحدّث بما سمعه خوفاً من التقسيم في أدائه، أو الحسين بن سعيد الثبت، وهذا واضح لنا والحمد لله.

ومحمد بن الحسن في طريق العلل هو ابن الوليد.

والحسين بن الحسن بن أبان غير مصرح بتوثيقه، لكنه من أجلة الأصحاب على ما هو مقطوع به من اعتماد ابن الوليد ومحمد بن قولويه وأمثالهما عليه، ولم يغمز فيه بشيء، كيف ومنه أخذ الأصحاب كتب الحسين بن سعيد رواية وتحديثاً، وقد ورث تلك الكتب بعد وفاة الحسين بن سعيد في دار أبيه الحسن بن أبان في قم، بل كتب له الحسين بن سعيد نفسه، ففي كتاب الاختصاص المنسوب اشتباهاً للمفید على الظاهر: «الحسين بن الحسن بن أبان قال: حدثني الحسين بن سعيد وكتبه لي بخطه بحضور أبي الحسن بن أبان قال: حدثني محمد بن سنان، عن حماد البطحي، عن زميله - وكان من أصحاب أمير المؤمنين ع - قال: إن نفراً من أصحابه قالوا: يا أمير المؤمنين إن وصي موسى كان يريهم العلامات بعد موسى»^(١٩) الحديث.

قال الميرداماد في الرواية: "الحسين بن الحسن بن أبان الثقة غير المشتبه أمره في الثقة والجلالة على الممارس الماهر... وبالجملة، الحسين بن الحسن بن أبان يروي عن الحسين بن سعيد الأهوازي كتبه ورواياته كلها، وهو ثقة، ثبت، صحيح الحديث إلا فيما يرويه عن محمد بن أورمة، فإن في ذلك تفصيلاً"^(٢٠) انتهى، لكن المشايخ قد صرحوا بتمحيص روایات ابن ارومہ وتنقیتها من الخلط ولم يرووا إلا ما ثبت لديهم.

وأما الحسين بن سعيد فهو الثبت الثقة التي تصحح الأخبار لورودها في كتابه، وحماد قد تقدم الكلام في شأنه، ومعاوية بن وهب لا تأمل في وثاقته وصحة طرقته، وأظن أن هذا الخبر قد نقل من كتابه فضائل الحج^(٢١). وفي السند الآخر: عبد الرحمن هو ابن أبي نجران الذي يروي عنه موسى بن القاسم كثيراً، وابن نجران "ثقة ثقة معتمد على ما يرويه"^(٢٢)، فيكفي الاطمئنان

بصحة الطريق لكتابه لتصحيح إخباراته، وشواهد الاعتماد على مروياته واضحة للعيان.

فهذا الخبر صحيح عن الأثبات، وألفاظ الأولى هي الأقرب.

وأما من جهة الدلالة:

فالاختيار أجنبية الخبر عن محل الكلام وذكره في مبحث أصل حكم صلاة المسافر أجرد، فإنه يقرر أصل حكم القصر وال تمام واشتراكه بين البلدان، دون الحكم الآخر بأفضلية الإقامة لغير المقيم اختياراً، والداعي له ما أمر به عليه مواليه في زمان خاص بما يخالف ذلك الأصل في صلاة المسافر، فمعاوية لما بدأ سؤاله عن مكة والمدينة واشتراكهما في الحكم مع البلدان المشروط فيها نية إقامة عشرة أيام، كان مدفوعاً بما سمعه من أمر الإمام عليه السلام بمخالفة ما قرر من أصل الحكم في القصر للمسافر، وليس في السؤال ولا الجواب حكم التخيير أو أفضلية الإقامة.

فتقتصر دلالتها على ما هو منصوص فيها، من أن الإمام عليه السلام أمرهم بالإقامة لخمس ليوافقوا طائفة من العامة فلا يتميزوا فيعرفوا ويصيبهم الأذى، بل سواء وافق الأمر بالخمس فتوى العامة أو لم يوافقهم الحال واحد، فإنه ساتر عن معرفة مذهبهم.

قال الشيخ في التهذيب:

«عَلَيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ سَأَلَ مُحَمَّدًا بْنَ مُسْلِمَ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ وَآنَا أَسْمَعُ عَنِ الْمُسَافِرِ إِنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِإِقَامَةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ قَالَ: فَلَيْتَمْ الصَّلَاةَ فَإِنْ لَمْ يَدْرِ مَا يُقِيمُ يَوْمًا أَوْ أَكْثَرَ فَلَيَعْدُ ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا ثُمَّ لَيْتَمْ وَإِنْ كَانَ أَقَامَ يَوْمًا أَوْ صَلَةً وَاحِدَةً فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ خَمْسًا فَقَالَ: عَلَيْهِ قَدْ قُلْتُ ذَاكَ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقُلْتُ أَنَا: جَعَلْتُ فِدَاكَ يَكُونُ أَقْلَ مِنْ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فَقَالَ: لَا.

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ مَا يَتَضَمَّنُ هَذَا الْخَبَرُ مِنَ الْأَمْرِ بِالِإِثْمَامِ إِذَا أَرَادَ مُقَامَ
خَمْسَةِ أَيَّامٍ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ أَوْ بِالْمَدِينَةِ يَدْلُلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ السَّنْدِيِّ عَنْ حَمَادَ بْنِ عِيسَى عَنْ حَرَبِيِّ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْمُسَافِرِ يَقْدُمُ الْأَرْضَ فَقَالَ إِنْ حَدَّثَنِي نَفْسِي أَنْ
يُقْبِلَ عَشْرًا فَلَيْتَمْ وَإِنْ قَالَ الْيَوْمَ أَخْرُجْ أَوْ غَدًا أَخْرُجْ وَلَا يَدْرِي فَلَيَقْصُرْ مَا بَيْتُهُ وَبَيْنَ
شَهْرٍ فَإِنْ مَضَى شَهْرٌ فَلَيْتَمْ وَلَا يُتَمَّمْ فِي أَقْلَمِ عَشَرَةِ إِلَّا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَإِنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ
وَالْمَدِينَةِ خَمْسًا فَلَيْتَمْ»^(٢٣).

فَإِنَّهُ لَا تَنَافِي بَيْنَ الْأَمْرِ بِأَحَدٍ فَرْدِيُّ الْوَاجِبِ التَّخْيِيرِيِّ مَعَ كُونِهِ موَافِقًاً لِلتَّقْيِيَّةِ
بَلْ أَفْضَلُ الْفَرْدَيْنِ وَهُوَ الإِقَامُ وَلَوْ فِي بَعْضِ الْمَدَّةِ.

وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّيْخِ الْجَلِسِيِّ حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ، إِذَا قَالَ تَعْلِيقًا عَلَى التَّقْصِيرِ لِخَمْسِ:
”وَالْأَظَهَرُ عَنِي حَمْلُهُ عَلَى التَّقْيِيَّةِ، لِأَنَّ الشَّافِعِيَّ وَجَمَاعَتُهُ مِنْهُمْ قَاتِلُونَ بِإِقَامَةِ الْأَرْبَعَةِ،
وَلَا يَحْسِبُونَ يَوْمَ الدُّخُولِ وَيَوْمَ الرَّحِيلِ فَيَتَحَصَّلُ خَمْسَةِ مَلْفَقَةٍ، وَسِيَاقُ الْخَبَرِ أَيْضًا يَدْلُلُ
عَلَيْهَا كَمَا لَا يَخْفِي عَلَى الْخَبِيرِ”^(٢٤).

فَإِنَّ الْخَبَرَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ كَانَ شَهَادَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةُ ١٤٨ لِلْهِجَرَةِ،
وَكَانَ مُولَدُ الشَّافِعِيِّ سَنَةُ ١٥٠ لِلْهِجَرَةِ فِي سَنَةِ وَفَاتَةِ أَبِيهِ حَنِيفَةَ وَوَفَاتُهُ سَنَةُ ٢٠٤
لِلْهِجَرَةِ، فَكَيْفَ يُتَّسَقِّي؟، نَعَمْ لَوْ قِيلَ أَنَّ الإِقَامَ لِخَمْسٍ موَافِقٌ لِأَبِيهِ حَنِيفَةَ فَقِيهِ
الْكُوفَةِ، أَوْ مَالِكَ فَقِيهِ الْمَدِينَةِ كَمَا زَعَمُوا، لِكَانَ مُحْتمَلًاً، وَفَقَهَاءُ الْعَامَةِ كَثِيرُونَ
وَمُذَاهِبُهُمْ لَا تَحْصَى، وَالْحَمْلُ عَلَيْهَا غَيْرُ عَزِيزٍ.

وَأَظُنَّ أَنَّ الْجَلِسِيَّ حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ قَصْدُ النَّسْبَةِ الْكُلِّيَّةِ لِلشَّافِعِيِّ التَّابِعِ لِجَمَاعَةِ مِنِ
الْمُتَقْدِمِينَ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ الْمَرْتَضِيِّ حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ فِي النَّاصِرِيَّاتِ، إِذَا قَالَ: ”قَالَ الشَّافِعِيُّ:
مَدَدِ الإِقَامَةِ الَّتِي تَقْطَعُ بِهَا أَحْكَامُ السَّفَرِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، غَيْرِ يَوْمِ الدُّخُولِ وَيَوْمِ الْخَرْجَةِ،
وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَأَحْمَدٍ، وَأَبِي ثُورٍ”^(٢٥).

وفي الانتصار: ”وقال الشافعي ومالك وهو قول سعيد بن المسيب واللith: إذا نوى إقامة أربعة أيام أتم“^(٢٦).

فاللتقية تناسب مذهب مالك (ولد حدود ٩٣ - ت ١٧٩ هـ) وسعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ) أكبر فقهاء العامة في مكة والمدينة، واللith بن سعد (٩٤ - ت ١٧٥ هـ) كبير فقهاء مصر، وكان فتواهم صارت مسلمة.

التاسع عشر: ما رواه قائد الحناط عن أبي الحسن الماضي عليه السلام.

وهو المروي في حاشية كامل الزيارات المطبوع بعنوان (زيادة من تلميذ المؤلف): ومن زيادة الحسين بن أحمد بن المغيرة ما في حديث أحمد بن إدريس بن أحمد بن زكريا القمي، قال: حدثني محمد بن عبد الجبار، عن علي بن إسماعيل، عن محمد بن عمرو، عن قائد الحناط، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: «سألته عن الصلاة في الحرمين، فقال: تتم ولو مررت به ماراً»^(٢٧).

وهذه الرواية ليست من أصل الكتاب، بل من رواية ابن تلميذه عن شيخه ابن قولويه، وأسندها لكتاب الشيخ الحر والمجلسى وتبعهما من تأخر عندهما.

والحسين بن أحمد بن المغيرة، مضطرب الحديث ثقة في روایته كما في وصف ابن الغضائري^(٢٨) وتبعه النجاشي^(٢٩)، ومعنى اضطراب الحديث عدم ضبط معناه ولفظه غالباً، وهو من أخذ عن جعفر بن محمد بن قولويه، وزاد بعض الأخبار في كامل الزيارات تارة بطريق شيخه ابن قولويه وأخرى نقاًلاً عن كتاب ابن إدريس وثالثة عن شيخه الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الرazi المعروف بالرهوردي والذي روى عن الشيخ الصدوق، يدل على أن الزيادة هي من ألفاظ الحسين بن أحمد قوله في الموضع الثالث المشار إليه: ”قال الحسين بن أحمد بن المغيرة: وحدثني أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الرazi المعروف بالرهوردي بنيشابور

بهذا الحديث، وذكر في آخره غير ما مضى في العديدين الأولين أحببت شرحه في هذا الباب لأنه منه^(٣٠).

والرواية نقلها -على احتمال- الحسين عن كتاب نوادر أبي علي أحمد بن إدريس كما نسبه له الشيخ النجاشي^(٣١) والشيخ^(٣٢)، ولم يذكرا له غير هذا الكتب.

ومحمد بن عمرو، هو محمد بن عمرو بن سعيد "الزيات المدائني، ثقة عين، روى عن الرضا عليه نسخة" كما في فهرست النجاشي^(٣٣).

فمبتدأ السند إلى الحناظ ثقة معتمدون، أما قائد أو فائد الحناظ فهو عامي على احتمال قوي، وهي كذلك مؤيدة بموافقة مضمونها بل لفظها لأخبار أخرى كثيرة.

وتقدم في الحديث الخامس من الأحاديث المتقدمة قولنا أن رواية عبد الرحمن بن الحجاج -وفي طريقها محمد بن عبد الجبار كهذه الرواية- عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «أَتِمْ وَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فِيهِمَا إِلَّا صَلَةً وَاحِدَةً»^(٣٤)، قريبة المعنى لقوله عليه السلام: «تم ولو مررت به ماراً»، ومع اشتئار هذا التعبير الظاهر في الوجوب لولا الصارف بكثرة أخبار التخيير وصراحتها، تولد وهم وجوب الإقامة في تلك الموضع الشريفة، وقد تعرضنا لها و يأتي أيضا.

العشرون: ما رواه عمرو بن مرزوق عن أبي الحسن عليه السلام، وهي رواية واحدة.

رواه ابن قولويه في مزاره قال: حدثني علي بن حاتم القزويني، قال: أخبرنا محمد بن أبي عبد الله الأستدي، قال: حدثنا القاسم بن الريبع الصحاف، عن عمرو بن عثمان، عن عمرو بن مرزوق، قال: «سألت أبي الحسن عليه السلام عن الصلاة في الحرمين وفي الكوفة وعند قبر الحسين عليه السلام، فقال: أتم الصلاة فيهم»^(٣٥).

ورواه الشيخ المفيد عن شيخه ابن قولويه بنفس السند وشهد بصحته أول الباب^(٣٦) كما ذكرنا في أخبار سابقة.

وعلي بن حاتم القزويني "له كتب كثيرة جيدة معتمدة نحو من ثلاثين كتاباً على ترتيب كتب الفقه"^(٣٧)، وهو من أصحاب الإجازات والطرق كما تفصح به طرق النجاشي في فهرسته.

ومحمد بن أبي عبد الله الأṣدī هو محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأṣdī أبو الحسين الكوفي، وكان ثقة صحيح الحديث، قال النجاشي: "إلا أنه روی عن الضعفاء"، وليس في هذا تهافت، إذ قد يروي الثقة ومن يصح حدديث عن رواة ضعاف في الحديث يتحمل الخطأ في مروياتهم، وأظن أنه قصد سهل بن زياد الذي وصف بالضعف في الحديث^(٣٨)؛ فإن أبو الحسين محمد بن جعفر الأṣdī روی عنه كثيراً، لذا تجد النجاشي عقب ما قال في ترجمته بقوله: "وكان يقول بالجبر والتشبيه"، وأنه أراد أن يشير إلى أن هذا سبب في شبكات دعاته لما ذهب له، ويعلم من هذا سبب ما رمي به، على أنه قد عَدَّ الشيخ في كتاب الغيبة من الأبواب الذين ترد عليهم الكتب ومن الخواص المعروفيين، قال في الغيبة: "وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوثيقـات من قبل المنصوبـين للسفارة من الأصل، منهم أبو الحسين محمد بن جعفر الأṣdī"^(٣٩)، ثم روی أخباراً في هذا المعنى.

والقاسم بن الريـع الصحـاف ابن بنت زيد الشـحام، لم يـصفه النـجاشـي بشـيء، ولعلـه لـعدم اـرتضـائه ما ذـكرـه شـيخـه ابنـ الغـضاـئـريـ من تـضـعـيفـهـ حيثـ قالـ: "كـوفيـ، ضـعـيفـ فيـ حـديـثـهـ غالـ فيـ مـذـهـبـهـ لاـ التـفـاتـ إـلـيـهـ ولاـ اـرـتـقـاعـ بـهـ"^(٤٠)، ولعلـه لـرواـيـتهـ رسـالـةـ مـياـحـ المـدائـنيـ^(٤١) وـرواـيـتهـ عنـ ابنـ سنـانـ، لـذاـ قالـ ابنـ دـاوـودـ: "ضـعـيفـ جـداـ غالـ يـروـيـ عنـ محمدـ بنـ سنـانـ"^(٤٢)، وقدـ بيـنـاـ لـكـ حالـ محمدـ بنـ سنـانـ عـلـىـ

نحو الإجمال، وقد ورى كتبه نقاد المحدثين الذين مرّ وصفهم وعرفت مسلكنا بما سطرنا عند ذكرهم.

وعمر بن عثمان الخازن "نقى الحديث صحيح الحكايات"، كما في فهرست النجاشي^(٤٤)، وأخباره المتفرقة تدل على علو قدمه في الحديث والعلم. وأما عمرو بن مرزوق فلم يوصف بشيء فيما لدينا من كتب، وليس له رواية في كتابنا إلا هذه، وهو مولى عمرو الكراibiسي على ما قيل، وعلى هذا فيحتمل كونه عامياً، لكنه من روى عنه من صح حديثه وأعتمدت كتبه من مروا عليك.

وأبو الحسن عليه السلام مردّ بين الكاظم والرضا عليهما السلام، ونرجح كونه الكاظم عليه السلام؛ فإن عمرو بن عثمان يروي بواسطتين غالباً عن الصادق عليه السلام، وبواحدة عن الكاظم عليه السلام، كما أن المروي عن الرضا عليه السلام أمره بالتقدير بدون العشرة. وأما دلالة الخبر فمتعددة مع ما سبقه في الدلالة على أفضلية الإنعام، وسبق الحديث عن صيغة الأمر فيها بالإقام المقرونة بارتكاز السائل على حكم القصر واستثناء المواطن الشريفة في الجواب، مع عدم القائل بوجوب الإنعام.

الحادي والعشرون: ما رواه صالح بن عبد الله الحثمي عن أبي الحسن موسى والرضا والجواد عليهما السلام، وهي رواية واحدة.

رواه عبد الله بن جعفر في قرب الإسناد عن كتاب عبد الله بن عامر عن ابن أبي نجران عن صالح بن عبد الله الحثمي قال: «كتبت إلى أبي الحسن موسى عليهما السلام أسأله عن أم ولد لي ذكرت أنها أرضعت جارية لي. فقال: لا تقبل قوله ولا تصدقها».

ثم روى أيضاً بنفس السند السابق «كتبت إلى أبي الحسن موسى عليهما السلام أسأله عن الصلاة في المساجد أقصر أو أتم؟، فكتب عليهما السلام إلى: أي ذلك فعلت فلا

بَأْسَ، قَالَ: وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلَهُ عَنْ خَصِّي لِي فِي سِنِ رَجُلٍ مَدْرَكٍ، يَحْلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَرَاهَا وَتَكْشِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ؟ قَالَ: فَلَمْ يَجْبَنِي فِيهَا، قَالَ: فَسَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا مُشَافَّهَةً، فَأَجَابَنِي بِمِثْلِ مَا أَجَابَنِي أَبُوهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فِي الصَّلَاةِ قَصْرٌ»^(٤٥).

وقد روى محمد بن جرير بن رستم الطبراني الـاملي رحمه الله في دلائل الإمامية حدثنا ماثلا رواه عن أبي خداش -ولا نتيقن عطفه على طريقه السابق، وهو: أبو المفضل محمد بن عبد الله -أبي الشيباني - قال: حدثني أبو النجم بدر ابن عمار الطبرستاني، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي -أبي الشلمغاني الملعون - قال: روى محمد بن الحمودي، عن أبيه - من كتابه كما هو الظاهر من سيرة المصنفين الذين يبتعدون بذكر صاحب الكتاب، قال:

«قال أبو خداش المهرى: و كنت قد حضرت مجلس موسى عليه السلام، فأتاه رجل فقال له: جعلت فداك، أم ولد لي، وهي عندي صدوق، أرضعت جارية بلبن ابني، أبى حرم علي نكاحها؟ قال أبو الحسن عليه السلام: لا رضاع بعد فطام. فسأله عن الصلاة في الحرمين، فقال: إن شئت قصرت، وإن شئت أتممت. قال له: فالخصي يدخل على النساء؟ فأعرض بوجهه. قال: فحججت بعد ذلك، فدخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسألته عن المسائل، فأجابني بالجواب. وقال: حضرت مجلس أبي جعفر عليه السلام في ذلك الوقت؟ قال: فقلت: جعلت فداك، إن أم ولد لي أرضعت جارية لي بلبن ابني، أبى حرم علي نكاحها؟ فقال: لا رضاع بعد فطام. قلت: الصلاة في الحرمين؟ قال: إن شئت قصرت، وإن شئت أتممت. قال: قلت: الخادم يدخل على النساء؟ فحوّل وجهه، ثم استدناي فقال: وما نقص منه إلا الواقعه عليه»^(٤٦).

وصاحب السؤال الذي كان في المجلس الذي حضره ابو خداش -واسمه عبد الله بن خداش - هو صالح بن عبد الله الخثعمي نفسه صاحب المكاتبة والسؤال في

رواية الحميري في قرب الإسناد، دلنا عليه رواية الكليني عليه السلام في الكافي عن «مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَدَاشَ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أُمٍّ وَلَدٍ لِي صَدُوقٍ زَعَمَتْ أَنَّهَا أَرْضَعَتْ جَارِيَةً لِي، أَصَدَقُهَا؟»، قال: لا، وبغض النظر عن اختلاف الألفاظ وبعض المعنى إلا أنه يتبع كونهما خبراً واحداً بطريقين، أحدهما الحميري عن كتاب عبد الله بن عامر عن ابن أبي نهران عن صالح بن عبد الله الخثعمي، والآخر الطبراني بمحذف الإسناد عن أبي خداش.

والذي يفهم أن أبي خداش قد سمع مسائل الخثعمي تقرأ في المجلس، وما ذكر في رواية أبي خداش من لقى الإمامين الهمامين بعد الكاظم عليه السلام والعبير عنه بـ «قال: فحججت بعد ذلك» ضمير القول فيه يعود للخثعمي لا لأبي خداش، بقرينة رواية قرب الإسناد المتقدمة، وأمر اتفاق الأسئلة في المجالس بعيد حمله على الصدفة!، والترجيح لرواية الحميري في قرب الإسناد؛ لمزايا الكتاب والمصنف والطريق، بل يُضعفُ الاعتماد على رواية أبي خداش في الدلائل وصفُ النجاشي له بالضعف المنصرف للضعف في الحديث عادة، هذا كله في ضبط الخبر وجمع أشباهه المتشدة؛ هذا كله مع تأييد رواية الحميري بأمر الرضا عليه السلام السائل بالإنعام، الموافق للمنقول عنه عليه السلام، فلاحظ.

أما الرواية الأولى:

فكتاب قرب الإسناد من الكتب المعتمدة المشهورة في القرن الثالث والرابع الهجريين، والنسخة المتداولة اليوم هي النسخة المقرؤة على محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري سنة ٣٠٤ هـ وعليها قراءة ابن مهجان وإجازة محمد بن عبد الله الحميري له، ثم استنسخها الشيخ ابن إدريس سنة ٥٧٤ هـ ثم تعدد الناسخون فيما يحضرنا اليوم من الكتاب، وأفضل نسخه المتأخرة على ما رأيت هي النسخة

المحفوظة في مكتبة السيد الجليل البروجردي رحمه الله، فقد كُتبت بأمره وعليها تصحيحات وتعليقات رشيقه مع مقابلة دقيقة، محفوظة تحت رقم ١٨٦.

واللهم في نسخ الكتاب أنه جاء في آخرها منقولاً عن خطّ محمد بن عبد الله بن جعفر: "قد أطلقت لك يا عمر وسعيد بن عمرو أن تروي هذا الكتاب عني عن أبي، على تمام هذا الكتاب، وما كان فيه عن بكر الأزدي وسعدان بن مسلم فاروه عن أحمد بن إسحاق بن سعد عنهما، وكتب محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري بخطه في صفر سنة أربع وثلاثمائة" ^(٤٧).

والأزدي هو بكر بن محمد الأزدي، ذُكر كثيراً في الكتاب، وسعدان أقل منه، فالكتاب برواية محمد بن عبد الله الحميري، وهو لأبيه، روى هذه الأجزاء الثلاثة من الكتاب عنه ووصلتنا وحدتها بطريق الشيخ ابن ادريس وبخطه، ولم تصلنا الأجزاء الأربع الباقية، وزاد عليه أخباراً بطريقه، وبهذا ينقطع الخلاف في مؤلف الكتاب.

وعبد الله بن عامر الأشعري ثقة من وجوه الأصحاب وكبارهم، روى عنه ابن أخيه الحسين بن محمد بن عامر والصفار وغيرهما، وروى هو عن ابن مهزيار وغيره.

وصالح بن عبد الله الخثعمي لم ينص على صفتة، ولم يغمز فيه، وهو مقل في الرواية والمكتبة، من أصحاب الصادق والكاظم والرضاع عليهم السلام، إلا أن رواية عبد الرحمن بن أبي نجران عنه ذكرها في كتبه كافية؛ قال الشيخ النجاشي في ابن أبي نجران: "كان عبد الرحمن ثقة ثقة معتمداً على ما يرويه" ^(٤٨).

وأما الرواية الثانية:

فأبو جعفر الطبرى "جليل من أصحابنا كثیر العلم حسن الكلام ثقة في الحديث" ^(٤٩)، واختلف المؤخرون في اسم كتابه هذا، وله كتاب المسترشد في

الإمامية، ومقتضى صدقه عدم الحاجة لسند متصل لو كان يروي عن نسخة متقدمة عليه كما هو في المقام، فإن النقل عما لا يعتمد عليه ينافي الوثاقة وصدق القول وجالة الشأن في العلم والدين.

وأبو خداش^(٥٠) هو عبد الله بن خداش المهرمي، ضعفه النجاشي وقال فيه "ضعف جداً وفي مذهبها ارتفاع"^(٥١)، وحكي توثيقه في الكشي^(٥٢)، لكن رواة كتابه فيهم الفضل ابن شاذان وصفوان وأحمد بن محمد بن يحيى فيمن كانوا من المدققة كابن شاذان ومن مقبول الأخبار أو من ثقحت أخبارهم كأحمد بن يحيى، فلا ضير في صفة ضعفه؛ لكونها محتملة الوهن كعادة من رمي بالارتفاع بعد الضعف، مع الاطمئنان بعدم تسامح من رووا كتابه من الأكابر بإيداع كتبهم أخباراً يعلم كذبها، نعم الكلام في ضبطه، وتقدم أنه لا يقدم خبره الذي في الدلائل على خبر قرب الإسناد.

أما دلالتها:

فرواية قرب الإسناد لا تنافي ما دل على التخيير؛ فظهورها في الإلزام ساقط بما دل على التخيير في جملة كثيرة من الأخبار التي ذكرناها، وذكر أحد فردي التخيير لا يخرج الحكم عن الاختيار، ونحن نختار حملها على التقية خصوصاً بالنسبة لزمن الرضا عليه السلام في المدينة الذي يرجح -مع الأمر بالتقدير لموافقته للعامة وظهوره في الأخبار الكثيرة- جانب الإمام، ويويد الحمل على التقية أيضاً أن الروايات عن الرضا عليه السلام كلُّها تأمر بالتقدير لغير المقيم دون العشرة. وخبر الدلائل لو تمت شروط الركون إليه لكان مؤيداً لما سبق ومصدقاً للتخيير.

الثاني والعشرون: ما رواه محمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام.

رواه الشیخ الصدوق فی العيون، قال: «حدثنا الحاکم أبو محمد جعفر بن نعیم بن شاذان قال حدثی عمي أبو عبد الله محمد بن شاذان قال حدثنا الفضل بن شاذان قال حدثنا محمد بن إسماعیل بن بزیع عن الرضا علیه السلام قال: سأله القنوت فی الفجر» إلى أن قال: «وسأله عن الصلاة بکة والمدینة تقصر أو تقام؟ فقال: قصر ما لم يعزم على مقام عشرة»^(٥٣).

وذكرنا سابقاً ما ذكره الصدوق فی الحصول فی صدر البحث ضمن الخبر الأول، قال بعد ذاك الخبر: «قال مصنف هذا الكتاب فیلعن: يعني أن ینوي الإنسان فی حرمهم علیه مقام عشرة أيام ويتم ولا ینوي مقام دون عشرة أيام فيقصر، وليس ما یقوله غير أهل الاستبصار بشيء: أنه يتم فی هذه الموضع على كل حال»^(٥٤).

وقال فی الفقیه بعد صحة حماد^(٥٥): «قال مصنف هذا الكتاب فیلعن: يعني بذلك أن یعزم على مقام عشرة أيام»^(٥٦)، ثم صدقه برواية ابن بزیع هذه التي هي أحد عمدة أدلته فیلعن.

ورواها الشیخ فی التهذیب بسنده إلى أحمد بن محمد بن عیسی عن محمد بن إسماعیل بن بزیع عن الرضا علیه السلام بعینه^(٥٧).

وحمله الشیخ فی التهذیب على كون جهة السؤال والجواب على من اعتقد وجوب الإقامة في أقل من مدة الإقامة المقررة فی الحرمين.

وطریق الصدوق: جعفر بن نعیم بن شاذان شیخ الصدوق أكثر عنه وترضى وترحم، ولم یغمر فيه، یروی كثيراً عن عمه أبو عبد الله محمد بن شاذان بن خلیل المذکور فی السنده وهو مدوح فی بعض أخبار الكشی وله كتاب، یروی كثيراً عن أخيه الفضل بن شاذان فیلعن، فنعیم ومحمد والفضل إخوة، ولا بأس بالسنده، بل هو صحيح اصطلاحاً بطريق الشیخ فیلعن.

وأما الدلالة:

فالأمر هين بعد ملاحظة أخبار المسألة؛ فإن كل أخبارها عن الرضا عليه السلام آمرة بالقصر لدون العشرة، وكذا خبرٌ واحدٌ للجواد عليه السلام - رواه الحضيني - أمر بالتمام تحت غطاء الإقامة وهو غير ظاهر في تعين القصر لغير المقيم، والأخبار الباقية بين المخيرة والمفضلة للإتمام والأمرة به، وهذا مقوٍ للحمل على التقية بضميمة ظهور بعض الأخبار بأن إقام الصلاة مما يُتَّقَى منه.

الثالث والعشرون: ما رواه علي بن حميد عن الرضا عليه السلام، وهي ورابة واحدة:

رواه الشیخ رحمه الله منفرداً في التهذيب والاستبصار بسنده عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن حميد قال: «سألت الرضا عليه السلام فقلت: إن أصحابنا اختلفوا في الحرمين؛ فبعضهم يقصر وبعضهم يتم، وأنا من يتم على رواية قد رواها أصحابنا في التمام، وذكرت عبد الله بن جندب أنه كان يتم، قال: رحم الله ابن جندب، ثم قال لي: لا يكون الإتمام إلا أن تجتمع على إقامة عشرة أيام، وصل التوافل ما شئت، قال ابن حميد: وكان حبتي أن يأمرني بالإتمام»^(٥٨).

وعلي بن حميد بن حكيم ضعف الشیخ حديثه، ولم يرد فيه مدح أو ذم في فهرستي النجاشي والشیخ، قال النجاشي رحمه الله: "روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، له كتاب أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال: حدثنا علي بن حاتم قال: حدثنا الحميري قال: حدثنا أبي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن علي بن فضال عن علي بن حميد بكتابه"^(٥٩).

وما نقله الكشي عن نصر بن الصباح من أن علي بن حميد كان فطحيأً^(٦٠) لم نجد أثره في المرويات، بل رواياته عن الرضا عليه السلام تورث الاطمئنان بأنه يسكن للمذهب الحق، واعتماد الأصحاب على كتابه ورواياته مع عدم التنصيص على مذهبـه - كبني فضال - ينفي عملاً نسبة للفطحية، نعم، ذكرنا غير مرة أن كثيراً

من الإمامية مالوا عبد الله الأفطح عن شبهة ثم عادوا، فبقيت نسبتهم إليه دون تحقيق.

وابن حميد من دلت بعض الأخبار على ملازمته للكتمان والتقية، منها ما رواه الكليني رحمه الله بسنده عن أبي علي بن راشد قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن مواليك قد اختلفوا، فأصلني خلفهم جميعاً؟ قال: لا تصل إلا خلف من تثق بدينه، ثم قال: ولِي موال^(٦١)؟ فقلت: أصحاب^(٦٢)، فقال مبادراً قبل أن أستتم ذكرهم: لا^(٦٣)، يأمرك علي بن حميد بهذا^(٦٤) - أو هذا مما يأمرك به علي بن حميد؟ فقلت: نعم^(٦٥)، وذكر الكشي عن علي بن محمد القمي قال: "حدثنا الفضل بن شاذان قال: كان أحمد بن محمد بن عيسى تاب واستغفر الله من وقيعته في يونس لرؤيا رأها، وقد كان علي بن حميد يظهر في الباطن الميل إلى يونس وهشام"^(٦٦)، والحديث متشعب ليس هذا محله.

وأما دلالتها:

فهي دالة على جواز الإقام إيماءً يفهم من ترحم الرضا عليه السلام على عبد الله بن جندب الذي كان يتم، وكذا دلت على اختلاف الأخبار - في زمن الرضا عليه السلام - بين أصحابنا مما لا يعلم كذبه بل يعلم صدوره حتى عمل به جمع منهم علي بن حميد، وهو أمر شبيه بما سأله عنه علي بن مهزيار الإمام الجواد عليه السلام وهو الحديث الرابع الأنف، ومن الملاحظ أن اختلاف الأخبار لم يقع إلا زمن الرضا عليه السلام، ولم يرد عنه الأمر الصريح بالقصير في ما عرضناه منها، ولذا وجب حمل الروايات عن الرضا عليه السلام على التقية، والقرينة عليها ما ذكرناه، فراجع.

وتحمل الشيخ في التهذيب هذا الخبر وسابقه على وجوب الإقام حسب القاعدة في الاقامة لعشر، وهو لا ينافي التخيير وأفضلية الإقام، ثم قال: "ويحتمل هذان الخبران وجهاً آخرًا - وهو المعتمد عندي - وهو أن من حصل بالحرمين ينبغي له



أن يعزم على مقام عشرة أيام ويتم الصلاة فيها وإن كان يعلم أنه لا يقيم أو يكون في عزمه الخروج من الغد، ويكون هذا مما يختص به هذان الموضعان ويتميزان به من سائر البلاد، لأن سائر الموضع متى عزم الإنسان فيها على المقام عشرة أيام وجب عليه الإتمام، ومتي كان دون ذلك وجب عليه التقصير، والذي يكشف عن هذا المعنى ما رواه^(٦٧) واستدل بالخبر الآتي، وال الصحيح بل القريب للتصريح أن الأمر بالإقامة غطاء تقية للإقام، لا موضوعية له بالخصوص.

الرابع والعشرون: ما رواه الحضيني عن أبي جعفر الجواد عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ، وهي رواية واحدة.

رواه الشیخ فی التهذیب منفردًا بإنساده عن محمد بن أحمد بن یحیی عن محمد بن عبد الجبار عن علی بن مهزیار عن محمد بن إبراهیم الحضینی قال: «استأمرت أبا جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ فی الإقام والتقصير، قال: إذا دخلت الحرمين فانو عشرة أيام وأتم الصلاة، فقلت له: إني أقدم مكة قبل الترویة بيوم أو يومین أو ثلاثة قال، انو مقام عشرة أيام وأتم الصلاة».

ومحمد بن إبراهیم الحضینی الأهوazi أخو إسحاق بن إبراهیم الحضینی الذي أدخله الحسین بن سعید علی الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ وعرف الحق، وأخوه حمدان الحضینی، یروی عنه ابن مهزیار، والحسین بن سعید^(٦٨)، وروی هو عن یونس بن عبد الرحمن، وفي الكشي بسنده فی القلانسی المضعف بالاضطراب: «ابن مسعود قال حدثني حمدان بن أحمد القلانسی قال حدثني معاویة بن حکیم عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حمدان الحضینی قال: قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: إن أخي مات، فقال لي: رحم الله أخاك فإنه كان من خصوص شيعتي. قال محمد بن مسعود: حمدان بن أحمد من الخصوص؟ قال الخاصة الخاصة»^(٦٩).

لكن في خلاصة الأقوال للعلامة: «عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الحضيني»^(٧٠)، مقتضاها على النسبة مع حذف حمدان.

ولعل محمد بن إبراهيم الحضيني هو عم الحسين بن حمدان الحضيني أو الحصبي صاحب الهدایة الكبیرى المتوفى سنة ٣٥٨هـ وله مؤلفات توافق مذهب النصیرية الغلاة، ووالده هو المقصود في الرواية السابقة، ويضعف ببعد عصره. وأما دلالتها:

فإنه لما لم يكن الجمع بين نية الإقامة عشرة أيام مع الخروج لمني والمناسك في أقل منها، ذهب الشيخ - كما تقدم كلامه - إلى أنه تعبد محمول على الوجوب، وذكرنا أن التعبد في مثل هذه الموضع التي صرخ بأنها موارد تقية واستتار بعيد جداً.

وانفرد الشيخ رحمه الله بروايتها واضطراها القلانسي غير ضار؛ إذ مضمونها مؤيد بأخبار الباب العديدة، مع عدم إبائها للحمل على التقية، بل تعينها فيه.

الخامس والعشرون: ما رواه حمزة بن عبد الله الجعفري عن أبي الحسن عليه السلام وهو خبر مفرد.

رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في الفقيه واعتمده، عن «محمد بن خالد البرقي عن حمزة بن عبد الله الجعفري» قال: لما أن نفرت من مي نويت المقام بمكة فأئتمت الصلاة، ثم جاءني خبر من المنزل، فلم أجده بعد من المصير إلى المنزل، فلم أدر أتم أم أقصر، وأبو الحسن عليه السلام يومئذ بمكة، فأتيته فقصصت عليه القصة فقال لي: «رجع إلى التقصير».

وهي -رواية ابن بزيع عن الرضا عليه السلام المقدمة- اعتمدتها الصدوق في القول بوجوب الإقامة في الحرمين، ورده الشيخ في الاستبصار بقوله: «فالوجه في هذا الخبر أنه إنما أمره بالرجوع إلى التقصير لأنه لم يكن صلى بعد شيئاً من الصلوات

الفraiض، فلما تغيرت نيته كان فرضه التقصير حسب ما فصله في الخبر الأول، ويكون قول السائل: «وكت أتمت» محمولاً على التوافل دون الفرائض؛ لأن الذي يراعي فيه أن يكون صل صلاة واحدة فريضة على التمام فحينئذ يجب عليه التمام بقية مقامه على ما **بُيّن في الخبر الأول**^(٧١)، وأدراجه ضمن باب (المسافر يقدم البلد ويعزم على المقام عشرة أيام ثم يبدو له) ضمن الزيادات في التهذيب^(٧٢) وقال: «فالوجه في هذا الخبر أنه إنما أمره بالرجوع إلى التقصير إذا حصل مسافرا وخرج فأما قبل ذلك فلا».

والظاهر القوي خلاف ما أفاد **بنجاشي**؛ فإن قوله: «فأتمت الصلاة» ظاهر في أدائه لصلاة تامة، وقوله: «فلم أدر أتم أو أقصر» مردد بين كون الموضع منزله الذي نزل فيه -ولابد أن يكون خارج الحرم حتى يصح السؤال والتفريق- أو هو مكة بعد رجوعه من منزله، إلا إذا كانت القرينة على كون السؤال عن حكم مكة هي قوله: «وأبو الحسن يومئذ بكرة»؛ والحاصل أن الظاهر منها أن السؤال عن حكم صلاة لمن نوى الإقامة ثم طرأت عليه ضرورة قطعت إقامته فخرج عن البلد ثم عاد، والجواب على حسب القاعدة في الإقامة والسفر لكل البلدان بوجوب نية إقامة جديدة للإقامة وإلا فالمصير للتقصير، يؤيده ظاهر حال السائل في نيته الإقامة دون أن يتعرض في سؤاله لخصوصية الموضع المشرف.

ولكون موضوعها مبایناً لحكم القصر والإقامة في الموضع المشرفة لم يدرجها **الشيخ حنفي** في الباب المخصوص محل البحث، وكذا صنع **الشيخ الحر**^(٧٣) في الوسائل^(٧٣).

هذه جملة الأخبار التي أوردها **الشيخ الحر**^(٧٤) في وسائله، وللزيادة -فيما فات **الشيخ الحر**^(٧٥)- في تعدادها وحصرها متسع، إلا أن الفائدة تحصل بما ذكرنا والمقام يناسبه مع ما قدمنا، ونسأل الله إتمام الباقي، ونستجدية من بركات غيشه

الساقي، بمحمد وآله صلوات ربى عليهم في كل آن ماض وآتى.

حصيلة البحث

وقد تحصل من كل ماسبق: أن الأخبار متضارة المعنى في التخيير، وأفضلية الإقام على التقصير في الموضع الأربع المشرفة، وأن التعارض الذي ادعى بين أخبارها ينحل بالقرائن والتابعات، ومنها ما أوردناها شرعاً على أكثر الأخبار المعصومة المتقدمة.

الهوامش:

- (١) في نسخة الوسائل المطبوع: حريز، وهو خطأ، والصحيح ما نقلناه من الكافي والتهذيب.
- (٢) الكافي ٤: ٥٨٦ ح ٢.
- (٣) التهذيب ٥: ٤٣٢ ح ١٤٦.
- (٤) النجاشي: ٧١ / ر ١٧٠.
- (٥) رجال الشبيخ: ٣٣٢ / ر ٢٤.
- (٦) النجاشي: ٣٢١.
- (٧) الكشي: ٢٢٨ / ر ٤٣١ (في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام).
- (٨) الكشي: ١٧٢ / ر ٢٩٢ (في أبي بصير ليث بن البخري المرادي).
- (٩) الكافي ٢: ٥١٨ ح ١.
- (١٠) التهذيب ١: ٢٠٩ ح ٢١١-٢١١.
- (١١) الفقيه ٢: ١٣٠ ح ١٩٣٤.
- (١٢) الفقيه ٤: ١٦٣ ح ٥٣٧٠.
- (١٣) الفقيه ٤: ١٨٠ ح ٥٤٠٦.
- (١٤) المحسن ١: ١٨٥ ح ١٩٦.
- (١٥) العلل ٢: ١ / ٤٥٩ ب ٢٠٢.
- (١٦) الفقيه (المشيخة) ٤: ٤٥٩.

- (١٧) علل الشرائع: ٤٥٤: ٢.
- (١٨) التهذيب: ٤٢٨: ٥ ح ١٣١.
- (١٩) الاختصاص: ٣٢٦.
- (٢٠) الرواوح السماوية: ١٧٥-١٧٦ / الراشحة الرابعة والثلاثون.
- (٢١) النجاشي: ٤١٢ / ر ١٠٩٧.
- (٢٢) النجاشي: ٢٣٥ / ر ٦٢٢.
- (٢٣) التهذيب: ٢١٩: ٣ ح ٥٧ وح ٥٨.
- (٢٤) البحار: ٤٠ / ٤٠ (في من نوى الإقامة في بلد عشرة أيام).
- (٢٥) الناصريات: ٢٥٨.
- (٢٦) الانتصار: ١٦١.
- (٢٧) كامل الزيارات: ٤٣٢ الهاشم.
- (٢٨) رجال ابن الغضائري: ١١٧ / ر ١٨٩.
- (٢٩) فهرست النجاشي: ١٦٥ / ر ٦٨.
- (٣٠) كامل الزيارات (الهاشم): ٤٦٠ / ب ٩١.
- (٣١) فهرست النجاشي: ٩٢ / ر ٢٢٨.
- (٣٢) الفهرست: ٦٤ / ر ٨٠.
- (٣٣) فهرست النجاشي: ٣٦٩ / ر ١٠٠١.
- (٣٤) التهذيب: ٤٢٦: ٥ ح ١٢٧.
- (٣٥) كامل الزيارات: ٤٣١ / ر ٦٦١.
- (٣٦) المزار للشيخ المفید: ٤ / ١٣٨.
- (٣٧) الفهرست: ٢٨٥ / ر ٤٢٦.
- (٣٨) انظر أسانيد عيون اخبار الرضا علیه السلام.
- (٣٩) الغيبة: ٤١٥.
- (٤٠) فهرست النجاشي: ٣١٧ / ر ٨٦٧.
- (٤١) الغضائري: ٨٦ / ر ١١٤.
- (٤٢) النجاشي: ٤٢٥-٤٢٤ / ر ١١٤٠.

- (٤٣) رجال ابن داود: ٤٩٣-٤٩٤ / ر.٣٨٦.
- (٤٤) النجاشي: ٢٨٨ / ر.٧٦٦.
- (٤٥) قرب الإسناد: ٣٠٤-٣٠٥ / ح.١١٩٤.
- (٤٦) دلائل الإمامة: ٣٩١، ورواه في المستدرك ٦: ٥٤٦ / ح ٩ عن إثبات الوصية بتفاوت.
- (٤٧) أنظر صور المخطوطتين المصورتين آخر مقدمة الكتاب ط آل البيت، ص ٣٣ و ٣٦، إضافة لنسخة السيد البرجردي المتقدمة.
- (٤٨) النجاشي: ٢٣٥ / ر.٦٦٢.
- (٤٩) النجاشي: ٣٧٦ / ر.١٠٤٤.
- (٥٠) قال ابن داود في رجاله: ٢٥٣-٢٥٤ في (عبد الله بن خداش أبو خداش المهرى): "رأيته في كتاب الرجال للشيخ بنخطة في رجال الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: (عبد الله ابن خراش، بالراء، البصري) وفي رجال الكاظم عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: (عبد الله بن خداش، بالدال، أبو خداش المهرى)."
- (٥١) النجاشي: ٢٢٨ / ر.٦٠٤.
- (٥٢) الكشي: ٤٤٧.
- (٥٣) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ ١: ٤٤ / ح ٤٤ (في جوابه عن بعض المسائل).
- (٥٤) الخصال: ٢٥٢.
- (٥٥) الحديث الأول الذي أوردهنا.
- (٥٦) الفقيه ١: ٤٢٢ / ح ١٢٨٣، بتحقيق الغفارى.
- (٥٧) التهذيب ٥: ٤٢٦ / ح ١٢٨.
- (٥٨) التهذيب ٥: ٤٢٦ / ح ١٢٨، باب الزيادات في فقه الحج.
- (٥٩) فهرست النجاشي: ٢٧٤ / ر.٧١٧.
- (٦٠) رجال الكشي: ٥٧٠ / ر.١٠٧٨.
- (٦١) في الواقي: «موالٍ»، والظاهر أنه سؤال ي يريد به الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ أن يأمر بعده أبا علي بن راشد باتباعهم، لكن بن راشد أراد الأفصاح عن أسمائهم، ولعلهم أتباع يونس وهشام كما في الكشي في روایتين كهذه الحاضرة صرخ في الاولى بيونس والثانية بہشام.
- (٦٢) في الكافي (ط دار الحديث) ٦: ٣٢٥-٣٢٦ / ح ٥٢٥٣: «أصحاب» بضمتين منونة، وال الصحيح أنها مبتدأ مقطوع عن خبره، بدلالة قوله: «فقال مبادرا قبل أن أستتم ذكرهم: لا».



(٦٣) أي لا تذكرهم بأسمائهم، ويكتفي أن تقر بأنهم موال لي.

(٦٤) أي يأمرك أن تصلي خلفهم.

(٦٥) الكافي: ٣: ٣٧٤ ح.

(٦٦) رجال الكشي: ٤٩٦ / في يونس بن عبد الرحمن ح ٩٥٢.

(٦٧) التهذيب: ٣: ٤٢٧.

(٦٨) الكشي: ٤٩٦ / ح ٩٥٣ في يونس بن عبد الرحمن.

(٦٩) الكشي: ٥٦٣ / ح ١٠٦٤ في محمد بن إبراهيم الحسيني.

(٧٠) خلاصة الأقوال: ٢٥٤ / ر ٧٠ الفصل ٢٣ باب (محمد).

(٧١) الاستبصار: ١: ٢٣٩ ح ٢.

(٧٢) التهذيب: ٣: ٢٢١-٢٢٢ ح ٦٣.

(٧٣) الوسائل: ٨: ٥٠٩ ح ٢.





الألسنة الآبيةة عن التقيد

محمد باقر خليل الشيخ

تقديم واعتذار

ممّا لا شك فيه أنّ مجموع العلوم التي ندرسها إنّما هي مقدمات تصوريّة لفهم النصوص الشريفة -القرآنية والروائية - ومن هنا تكون الدراسات التي تتناول هذه البحوث من الأهمية بمكان كما لا يخفى.

ورغم هذه الأهمية إلا أنك لا تكاد تجد كتاباً أو مؤلّفاً يجمع في طيّاته هذه النكات التي بتها الفقهاء في كتبهم، ويكتفي في المقام أن أنقل ما ذكره وحيد العصر سيد المحققين الحويي في تقدّيه لكتاب قواعد الحديث، قال: "إنّ البحث عن الحديث وقواعد العمل به من أهمّ الأبحاث التي يحتاج الفقيه إلى تنقيحها والاجتهد فيها كاجتهاده

في أصول الفقه، ومع كثرة ما كتب في الأصول نرى الكتابة في شؤون الحديث نادرة جداً^(١).

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام
والأشد من هذا هو وجود مصطلحات كثُر تداوّلها في طرق الاستنباط الحديثة
عند فقهاء مدرسة أهل البيت ع و قد أهمل ذكرها في كتب الدراسة - الحديثة
منها فضلاً عن القدية - ومنها مصطلح (الإباء عن التقييد) أو (الإباء عن
التخصيص)، فإنه تعبير مشهور في كتب الفقهاء ومع ذلك لا تجد له أدنى ذكر في
الكتب المعدة لهذا الغرض.

ولا أبوح سرّاً إذا قلت بأني قد عانيت أثناء مروري على هذا المصطلح
وأمثاله في فهم حقيقته بحيث يسهل عليّ تطبيقه في موارده المختلفة وتقيييز
الصحيح من السقيم من تطبيقاته.

وقد قمت بحمد الله بإعداد عدة دراسات في هذه المصطلحات^(٢) على أساس
التابع في كلمات الأعلام واستخراجها، وغير خفي ما للكتابة في مسألة تشتبه
صغرياتها هنا وهناك ولم تجتمع تحت عنوان مستقل من صعوبة؛ ولذا فالخروج
بنتيجة قطعية في مثل هذه الأبحاث لا يقل صعوبة عن أصل البحث فيها، أضف
إلى ذلك تفاوت استظهارات الفقهاء فيما بينهم أنفسهم وما بينهم وبين الروايات
والأبواب، وكيف ما كان فقد بذلت جهدي في تتبع مواردتها وصياغتها بما يناسب
المستوى المطروح في كلماتهم، ولكن القصور والتقصير معًا كانوا حليفين في ذلك،
فجاء هذا البحث بالمستوى الموجود؛ ولذا سيجد القارئ بعض التساحات في
التعبير، خصوصاً في تداخل بعض العناوين أو المعنونات مع بعضها، ولكن هذا
غير ضارٌ إن شاء الله - بما هو المهم من هذا البحث وهي تحلية ما أبهم وجمع ما
فرق من كلمات الأعلام (أعلى الله مقامهم)، والهدف من ذلك هو الوقوف على

تلك القراءن بما يساعد -كثيراً- في إعطاء ذوق في فهم كلمات الفقهاء وبالتالي تهديد الطريق لفتح آفاق واسعة في فهم النصوص الشريفة. ويقع الكلام حول هذا المصطلح في ثلاثة محاور كالتالي:

- تاريخ هذا المصطلح.
- تطبيقاته.
- تنبيهات مهمة حوله.

تاريخ هذا المصطلح

لا يعلم بالدقة متى ظهر هذا المصطلح ولكن بحسب الظاهر فإنه موجود عند متأخري فقهائنا كالمحقق الثاني^(٣)، ثم صار له شيء من الشياع عند متأخري المتأخرین منهم^(٤)، ثم كثُر استعماله في زمن الشيخ الأعظم حتى شاع واشتهر بعده على ألسن الفقهاء بحيث لا تعدم الكتب الفقهية ذكره، وقد أشار الشيخ المظفر إشارة خاطفة إلى هذا المصطلح وذكر موردين من موارده فقط^(٥).

تطبيقات المصطلح

وهذا هو لب الدراسة، وسأعنون كل قرينة بعنوان مع شيء من التوضيح لها، ثم أذكر بعض التطبيقات التي وجدتها من كلماتهم وهي كالتالي:

كون الخطاب في سياق الحصر:

الحصر أو القصر هما بمعنى التضييق^(٦)، ولكن مدى سعة هذا التضييق ومعرفة حدوده يرجع إلى استظهار الفقيه الناشئ من خصوصيات كل مورد على حدة، فتارة يستظهر كون الحصر حقيقياً وأخرى إضافياً، وتارة يستفيد ثبوت مفهوم للحصر في مورد دون القول بغيره والعكس بالعكس، كما لو فهمنا منه التحديد والتعيين فإنه "إذا كان أحد العامين من وجه وارداً مورد التحديدات كالأوزان



والمقادير والمسافات فإنَّ مثل هذا يكون موجباً لقوة الظهور على وجه يلحق بالنص؛ إذ يكون ذلك العام أيضاً مما يقال فيه إنه يأبى عن التخصيص^(٧).

ويكفي أن تذكر له عدة موارد:

منها: حمل ما تقرَّر في الفقه من بطلان الصلاة بنقصان تكبيرة الافتتاح، والقيام المتصل بالركوع، ونقصان قصد الحصوصية المنوَّعة، كالظهرية والعصرية وهكذا، ونقصان القربة والخلوص، ونسيان نجاسة التوب والستر، حيث ورد في الأخبار أنَّه «لا صلاة بغير افتتاح»، و«لا صلاة لمن لم يقم صلبه» على الحكومة على دليل «لا تعاد الصلاة إلا من خمسة...» بدل حملها على التقييد؛ حيث عُلل ذلك بكونها في مقام الحصر؛ ففي كتاب الخلل في الصلاة للعلامة السيد مصطفى الحميي: «إنَّ القضايا المشتملة على مثل هذا الحصر، آبية عن التقييد، بحسب الفهم العرفي»^(٨).

ومنها: ما ذكره بعض الأعلام المعاصرين في بحث مفطريه التقيؤ فقد ذهب المشهور إلى مفطريته وذلك عن طريق الجمع بين صحيحه الحلبي «إذا تقِيأ الصائم فقد أفتر...»، وصحيحه محمد بن مسلم «لا يضر الصائم ما صنع إذا اجتب ثلاث خصال» - حيث أن المورد من موارد الجمع بالتقييد، ومع إمكانه لا تصل النوبة إلى الجمع بالحمل على الاستحباب؛ وذلك باعتبار أن صحيحه محمد بن مسلم مطلقة فهي تقول: لا يضر الصائم إذا اجتب عن الأمور الثلاثة، سواء كان غير الثلاثة هو القيء أو غيره من سائر الأمور، فيقييد هذا الإطلاق بقرينه صحيحه الحلبي، وتكون النتيجة أن غير الثلاثة لا يضر إذا لم يكن قيئاً، فالمورد من موارد الإطلاق والتقييد - ثم أشكل عليهم بأن ما ذُكر وجيه لو فرض أن لسان صحيحه محمد بن مسلم لم يكن آبياً عن التقييد، ولكنه أبٍ عن ذلك عرفاً، فإنَّ ذكر الكلمة (ثلاث) وحصر المفطرات بها، والتعبير بأنه: «لا يضر الصائم ما صنع إذا

اجتب ثلاث خصال» يأبى عن التقىيد عرفاً.

ولما كان التعبير الوارد في صحیحة الحلبی «إذا تقیا الصائم فقد أفتر...»، لا يقبل الحمل على الاستحباب؛ إذ أن الكلمة (أفتر) لا تقبل الحمل على الاستحباب بل لا معنى لاستحباب المفطرية، فيدور الأمر بين ثبوتها وعدمه ولا معنى لشق ثالث، وهو ثبوتها بنحو الاستحباب وعليه فلا بد من حمل الكلمة (أفتر) على معنى يناسبها، والمناسب لها في مقامنا أن تحمل على الإشارة إلى القضاء، فالمفطرية ليست شيئاً آخر وراء القضاء، ومن المعلوم أن من الوجيه أن يكون ثبوت القضاء بنحو الاستحباب دون اللزوم، وعليه فالحمل على الاستحباب لا إشكال فيه من هذه الناحية^(٩).

وجود قرينة عقلية:

من الواضح أن الأحكام العقلية آبية عن التقىيد، وكذلك ما يكون من الخطابات في مقام الإرشاد إلى حكم العقل؛ فإنه يأخذ حكمه، ويتبعه في الإباء. وله موارد:

منها: ما ذكره سيد المحققين الخوئي في نفي توجيهه تقدم الأمارات على الاستصحاب من أن أخبار الاستصحاب آبية عن التخصيص؛ حيث علل ذلك بأن المنع عن نقض اليقين بالشك إرشادي إلى ما استقل به العقل من عدم رفع اليد عن الأمر المبرم، بغير المبرم وهو حكم العقل - غير قابل للتخصيص، خصوصاً إذا كان الإرشاد بهذا اللسان، أي بقوله علیه السلام: «لا ينبغي لك، أو ليس ينبغي لك أن تنتقض اليقين بالشك»، فهذا يؤكّد إباءها عن التخصيص^(١٠).

ولكن يمكن أن يقال: إن غاية ما يمكن أن يقال في الاستصحاب أنه ناشئ من ارتکازات عقلائية - وهو لا يسلم حتى بهذا المقدار^(١١) - ومن الواضح أن الارتکازات العقلائية لا تنشأ من حاق العقل، بل هي خليط من العواطف

والعادات والتقاليد بالإضافة إلى بعض النكات العقلائية، وعليه فما هو ممتنع التقييد وهو حكم العقل غير موجود، وما هو موجود وهو الارتكازات -على فرض التسليم بها- غير ممتنع.

وقد يوجه ما ذكره رحمه الله بأن مقصوده من الارتكاز المذكور هو ما عَبر عنه بالأمر الفطري أو القاعدة الارتكازية وهي عدم نقض الأمر المبرم -وهو اليقين- بالأمر غير المبرم -وهو الشك-^(١٢) وتطبيقاتها في مورد الاستصحاب بأن نقول: إن اليقين والشك بمنزلة طريقين يكون أحدهما مأموناً من الضرر والآخر محتمل الضرر، ومن الواضح أنه لا إشكال في أن المرتكز في هذه الحالات هو اختيار الطريق المأمون.

وبهذا يرتفع التنافي بين إنكار استناد حجية الاستصحاب للارتكازات العقلائية وبين قوفهم أن تعميم روایات الاستصحاب لغير موردها معتمد على كون الروایات مشيرة إلى الارتكازات العقلائية، والسرّ في ذلك كما يوضحه السيد المؤئي هو أن "ما أنكرناه سابقاً إنما هو تطبيق هذه الكبرى الكلية -نقض اليقين بالشك- على الاستصحاب، لعدم صدق نقض اليقين بالشك عرفاً، لأن اليقين متعلق بالحدث فقط، والشك متعلق بالبقاء فلم يتعارض اليقين بما تعلق به الشك، حتى لا يجوز نقض اليقين بالشك فلا يصدق نقض اليقين بالشك عرفاً.

فتطبيقات هذه الكبرى الارتكازية على الاستصحاب إنما هو بالطبع الشرعي لأجل هذه الصححة وغيرها من الروایات الآتية^(١٣) ولا مانع من كون الكبرى مسلمةً ارتكازية، مع كون بعض الصغرى غير واضحة، فإن اجتماع الضدين مما لا إشكال ولا خلاف في كونه محالاً، مع أنه وقع الخلاف بينهم في جواز اجتماع الأمر والنهي في شيء واحد من جهة أنه هل يكون اجتماعهما من قبيل اجتماع الضدين أم لا؟^(١٤)

انتهى.

هكذا ذكر حَبْلِي، وبغض النظر عن الإشكال في كلامه وعدم نفع ما تفضل به في رفع التنافي فقد نقل عنه السيد حبي الدين الغريفي -والظاهر كون النقل مشافهةً - ما ينافي بظاهره ما ذكره هنا، وهذا نصه "إن التعليل تارة يكون بأمر عقلي تكويسي، كما لو قال: هذا محال؛ لأنّ لازمه الدور؛ فلا يقبل التخصيص؛ لأن المستحيل مستحيل في جميع الأفراد والأوقات، والممكن ممكناً كذلك، فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد؛ فثبتت الاستحالة في كلّ مورد لزم الدور. وأخرى يكون بأمر تشريعي ولا مانع من تخصيصه؛ لأن الذي شرّع كون الأمر الفلاقي علة لحكم خاصّ له أن يخصص علّيته بفرد أو حال دون آخر.

وقد مثل لذلك بتعليق البناء على الحالة السابقة في الاستصحاب بأن المكلف كان على يقين فشك ولا ينبغي له نقض اليقين بالشك، ومقتضى عموم التعليل أنه لو شك في الإتيان ببعض أجزاء الصلاة يعني على عدمه، لكنه خُصص بقاعدتي الفراغ والتجاوز، فإن مقتضاهما البناء على الإتيان بالجزء المشكوك لو عرض الشك بعد الفراغ من الصلاة أو بعد تجاوز محل ذلك الجزء" ^(١٥).

وكلامه هذا واضح في إمكان تخصيص أدلة الاستصحاب، وكيف ما كان ^(١٦) فأدلة الاستصحاب آبية بسانها من جهة التعبير بـ(لا ينبغي لك) وغيره كما ذكر. وسيأتي نظيره تحت عنوان (الإباء العرفي).

ومنها: ما ذكره السيد الخوئي حَبْلِي أيضاً كنظير لما تقدم من أن أدلة حرمة العمل بالظن آبية عن التخصيص أيضاً، فإن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ غير قابل للتخصيص، إذ مرجعه إلى أن الظن الفلاقي يعني عن الحق. ولا يمكن الالتزام به، كما هو ظاهر ^(١٧): ولا بدّ من حمل كلامه حَبْلِي على فهم الإرشادية من الآيات، وأنها إرشاد إلى حكم العقل بوجوب تحصيل العلم بالمؤمن من العقاب، وعدم جواز الاكتفاء بالظن به، بلاك وجوب دفع الضرر

المحتمل إن كان آخروريا، وإن فقد ذكر في موضع متقدم من مصباح الأصول^(١٨) أن أدلة حجية خبر الثقة متقدمة على الآيات الشريفة الناهية عن العمل بالظن بالحكومة أو التخصيص. ولعل ذكره كنظير لما سبق شاهد على ذلك.

ومن الواضح أن المراد من التخصيص في الموردين هو التقيد، وكذا في كثير مما سيأتي من الموارد، أو لا أقل ما يعمّه، فليلاحظ.

تكثر العمومات أو المطلقات:

مجيء الخطاب بصورة شمولية ومن ثم تخصيصه بفردٍ من أفراده أمرٌ مقبولٌ عرفاً وشائعاً في خطابات الشارع، وأماماً أن تتكثر الخطابات العامة أو المطلقة بصورة يظهر منها أن الإطلاق هو المراد جدًا ثم تُخصص أو تُقيّد فهذا أمرٌ مستهجنٌ عند العرف، والعرف ببابك، ومن الشواهد على ذلك هذه الموارد الآتية.

منها: ما ذكره الشيخ الأعظم في المكاسب الحرام من عدم إمكان تقيد الروايات الدالة على جواز الاستصبح بالدهن المتنجس مطلقاً بمرسلة الشيخ المقيدة للاستصبح بكونه تحت السماء دون السقف، وقد ذكر في تعلييل هذا المنع الأخبار المتقدمة على كثرتها وورودها في مقام البيان ساكتة عن هذا القيد^(١٩) وفي مصباح الفقاهة: "محصل كلامه: أن المطلقات حيث كانت متضاغفة، وواردة في مقام البيان فهي آية عن التقيد".

وقد استشكل عليه السيد الخوئي عليه السلام: "بأن غاية ما يتربّى على كون المطلقات متضاغفة أن تكون مقطوعة الصدور لا مقطوعة الدلالة، وإنذ فلا مانع عن التقيد؛ إذ هي لا تزيد على مطلقات الكتاب القابلة للتقيد حتى بأخبار الأحاداد، وأوهن من ذلك دعوى إبائها عن التقيد من جهة ورودها في مقام البيان؛ فإن ورودها في مقام البيان مقوم لحجيتها، ومن الواضح أن مرتبة التقيد متاخرة عن مرتبة الحجية في المطلق، ونسبة حجيته إلى التقيد كنسبة الموضوع إلى الحكم، ولا يكون الموضوع مانعاً

عن ترتيب الحكم عليه".

أقول: أَمّا ما ذكره أولاً من إشكال فالجواب عليه ما تقدم من استهجان العرف لتخصيص أو تقييد مثل هذه الخطابات المتکثرة خصوصاً مع ملاحظة مجيء الرواية ابتداء من الإمام، ألا ترى استهجان العرف لطلب المولى من عبده أن يأتيه باء الفرات بقوله (ائتني باء) عشر مرات أو أكثر ثم يقول (مقصودي من الماء هو خصوص ماء الفرات)!!، وأمّا الإشكال الثاني فسيأتي بيان ما فيه. ومنها: ما ذكره الفقيه السبزواري في مذهبـه في مسألة الصلاة بالإيماء حيث اختلفوا في كيفية السجود بين قائل بكفاية الإيماء وسائل بوجوب وضع شيء على الجبهة وسائل بالتخير بينهما "جـمعـاـ بـيـنـ مـوـقـعـ سـمـاعـةـ (عنـ المـرـيـضـ لاـ يـسـطـعـ العـلـوـسـ، قـالـ عـلـيـهـ: فـلـيـصـلـ)ـ وـهـوـ مـضـطـجـعـ، وـلـيـضـعـ عـلـىـ جـبـهـتـهـ شـيـئـاـ إـذـاـ سـجـدـ، فـإـنـهـ يـجـزـئـ عـنـهـ، وـلـنـ يـكـفـ اللـهـ مـاـ لـاـ طـاقـةـ لـهـ بـهـ)ـ وـمـطـلـقـاتـ إـيمـاءـ، فـإـنـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـماـ ظـاهـرـ فـيـ الـوـجـوـبـ التـعـيـينـيـ فـيـرـفـعـ الـيـدـ عـنـ ظـاهـرـ كـلـ مـنـهـماـ بـقـرـيـنـةـ الـآـخـرـ، وـيـحـمـلـ عـلـىـ التـخـيـرـ" (٢١).

فقد أشكل علـيـهـ علىـ هـذـاـ القـوـلـ بـاـ نـصـهـ: "أـنـ الـمـطـلـقـاتـ الـكـثـيرـةـ فـيـ الـأـبـوـابـ المـتـرـفـةـ مـنـ الـمـحـكـمـاتـ الـأـيـةـ عـنـ التـقـيـيدـ" (٢٢).

بيان (في معنى المحكمات):

في جمع البحرين "المحكمات جمع المحكم وهو في اللغة: المضبوط المتقن وفي الاصطلاح -على ما ذكره بعض المحققين-: يطلق على ما اتضح معناه وظهر لكل عارف باللغة، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص، أو منها معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. قال: ويقابلـهـ بـكـلـ مـنـ هـذـهـ المـشـابـهـ" (٢٣).

وعرّفـهـ فـيـ (لـبـ الـلـبـابـ): "بـأـنـهـ مـاـ عـلـمـ المرـادـ بـهـ مـنـ ظـاهـرـهـ مـنـ غـيرـ قـرـيـنـةـ تـقـرـنـ

إليه، ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحة^(٢٤).

وحُكى عن مستدركات مقياس الهدایة زيادة "ما سلم عن مجيء ما يضاهه".
فيظهر مما تقدم أن تکثر الخطابات في بيان أمر واحد يصيّر مجموعها حکماً
آباءً عن التقيد أو التخصيص، والنکته في ذلك ما تقدم من الاستھجان العرفي.

كون الإطلاق في سياق الامتنان:

والقصد منه أن رفع الامتنان عن مورد من الموارد بعد كون ما دلّ على
الامتنان مطلقاً مستھجنً صدوره من الشخص العادي، فكيف به إذا كان صارداً
من شأنه أن يصدر منه مثل هذا الامتنان؛ فإن الاستھجان في مورده يكون أشدّ.

ومن موارده: ما ذكره جمٌ منهم الحق الرشيق من إباء آية نفي السبیل عن
التخصيص وإن اختلفوا في توجيه ذلك إلا أنه قد علل ذلك بكونها في سياق
الامتنان وذلك حيث منع حجّة من قال بصحة تملّك الكافر للعبد المسلم مع
وجود خيار يصح فسخ البيع وبالتالي لا يتحقق السبیل له عليه بقوله: "عدم
مقاومة أدلة الخيار مع أدلة نفي السبیل، إذ أدلة نفي السبیل مسوقة للامتنان وأبیة

عن التخصيص ف تكون مقدمة على سائر الأدلة التي ليست بتلك المثابة والسوق"^(٢٥).

ومنها: ما ذكره الحق النائيني في بيان النسبة بين قاعدة لا ضرر وأدلة
الأحكام الأولية، وسرّ تقدم القاعدة عليها من أن القاعدة باعتبار وردها مورد
الامتنان والإرافق على الأمة فتقديم على إطلاقات سائر الأدلة^(٢٦)، وتمّه السيد
الشهید -بعد الإشكال عليه بأن هذا المقدار في هذا التقریب لا يحقق وجهاً فنیاً
للتقديم- بأن سياق الامتنان والإرافق يأبی عن التخصيص أو يكون ظهوره
أقوى من إطلاقات الأدلة الأولية فتقديم عليها بالأشهرية^(٢٧).

غاية الظهور في الإطلاق وبيان الحدّ:

استفاداة الإطلاق عادة يكون برکة مقدمات الحکمة؛ فإنها قرينة عامّة على

إرادة الاستيعاب من الخطابات غير المقيدة، وقد ينضم إليها قوة ظهور نفس الخطابات في إرادة الشمول والاستيعاب، فهنا يرتكز الإطلاق على مجموع هذين الأمرين مما يشكل خصوصية زائدة عن بقية الإطلاقات وهي إباؤه عن التقيد، بل قد يستفاد الإطلاق بدون الحاجة إلى إجراء مقدمات الحكمة وذلك لخصوصية المورد من احتفافه بقرائن لبيّة أو غيرها فيكون أقوى ظهوراً من الإطلاق المستفاد من القرينة العامة وله موارد:

منها: ما ذكره الحق الخوئي في مسألة ما إذا دفع الإنسان إلى غيره مالاً ليصرفه في قبيل يكون المدفوع إليه منهم. فهل يجوز له الأخذ أم لا؟ من منع ما قد يقال من الجمع بين الروايات المحوّزة -مثل صحيحة ابن الحجاج سأله عن رجلٍ أعطاه رجلٍ مالاً ليصرفه في حماويح أو في مساكين وهو يحتاج أياخذ منه لنفسه ولا يعلمه؟ قال عليه السلام: «لا يأخذ شيئاً حتى يأذن له صاحبه» - والروايات المانعة -مثل رواية ابن الحجاج سألت أبا الحسن عليه السلام عن الرجل يعطي الدرام ليقسمها ويضعها في مواضعها وهو من تخل له الصدقة؟، قال عليه السلام: «لا بأس أن يأخذ نفسه كما يعطي لغيره...» - بحمل المانعة على فرض تعين المالك مواضع مسماة لصرف المال؛ فإنه لا يجوز للمتصدي أن يأخذ لنفسه، وحمل المحوّزة على فرض أن لا تعين المالك للمال مواضع خاصة فإنه يجوز له الأخذ لنفسه فقد ذكر أن هذا الجمع بعيد عن ظاهر الرواية المانعة أعني رواية ابن الحجاج فإنها آية عن ذلك سؤالاً وجواباً فإن قوله عليه السلام: في جواب السائل عن رجل أعطاه مالاً ليصرفه في حماويح أو مساكين وهو يحتاج أياخذ منه لنفسه ولا يعلمه هو قال: لا يأخذ شيئاً حتى يأذن له صاحبه مطلق، وكذلك السؤال فيبعد حملهما على فرض تعين المالك مواضع للمال المعطى^(٢٨).

وجود محدود لغوي:

اللغة هي طريق التواصل بين العقلاء، ولما كان الشارع سيداً لهم فإنه يضي على ما هم عليه؛ فلم يخترع طريقة أخرى غير ما هم عليه؛ ومن هنا فإن من مقومات الأخذ بالنص عدم وجود مخالفة لغوية فيه.

وهذا بغض النظر عن حجية قول اللغوي وعدمه؛ فإن هناك من القواعد اللغوية ما لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى اللغوي فضلاً عن القول بحجية قوله. وله موارد كثيرة:

منها: ما ذكره الحق الخوئي في مسألة كفاية الظن النوعي في الحكم بدخول الغروب والإفطار إذا لم يتمكن من تحصيل العلم أو ما بحكمه، حيث ذكر أنه يوجد احتمالان في النصوص الواردة في جواز تعوييل الصائم لدى عدم تمكنه من معرفة استئثار (أنه علّي) قال لرجل ظن أن الشمس قد غابت فأفطر ثم أبصر الشمس بعد ذلك قال علّي: ليس عليه قضاء ونحوها غيره، بتقرير أن هذه الأخبار إما أنها مخصصة لدليل وجوب الإمساك إلى الليل فيجوز الإفطار قبل الاستئثار حتى واقعاً فيما إذا ظن به، وإما أنه لا تخصيص بل مفادها حجية الظن وكونه طریقاً إلى الواقع لدى العجز عن تحصيل العلم وما بحکمه من بینة ونحوها، ثم استبعد الاحتمال الأول معللاً ذلك "بأن لسان ما دل على وجوب الإمساك إلى الليل كقوله تعالى: **﴿لَمْ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾** في قوة الاستمرار بحيث يكاد يأبى عن التخصيص، فلا يحتمل جواز الإفطار قبل الغروب في مورد ما ليستوجب ارتکابه - التخصيص - كما لا يخفى، إذن فيتعين الثاني، ومقتضاه حجية الظن وإحراز الواقع به شرعاً وثبتت الوقت تعبداً، فإذا ثبت ترتبت عليه جميع آثاره الشرعية".^(٢٩) ومن الظاهر أن قوة ظهور الآية في الاستمرار لمكان (إلى) فيها.

ومنها: ما ذكره جمع من الفقهاء الأعظم في قاعدة نفي السبيل من أن الآية

المباركة الدالة على نفي سبيل الكافر على المسلم بنفي الأبد الذي هو مدلول كلمة (لن) في قوله تعالى: ﴿وَكُنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ﴾، آية عن التخصيص إذ لا معنى لأن يقال: لا سبيل للكافر إلا في مورد كذا وكذا، وبعبارة أخرى مقتضى النفي بلن التأييدية هو نفي السبيل من الكافر على المسلم في آن من الآيات وهذا المعنى غير قابل للتخصيص بوجهه^(٣٠).

ومنها: ما ذكره الحق الخوئي في منع الجمع بين الروايات التي تجوز السجود على القطن والكتان -وهما مما يلبس- كموثقة^(٣١) داود الصرمي قال: (سألت أبا الحسن الثالث عليه السلام: هل يجوز السجود على القطن والكتان من غير تقية؟ فقال: جائز) وبين الروايات المانعة كصحيفة هشام بن الحكم (أنه قال لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عمّا يجوز السجود عليه وعما لا يجوز، قال: السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنت أكل أو ليس. فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: لأن السجود خضوع لله وإنما فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأن أبناء الدنيا عيده ما يأكلون ويلبسون، والمساجد في سجوده في عبادة الله وإنما فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبد أبناء الدنيا الذين اغتروا بغورها) بحمل أخبار الجواز على مادة اللباس وهي القطن والكتان قبل الغزل والنسيج، وأخبار المنع على ما بعدهما المتصف باللباس فعلا.

حيث ذكر في منع ذلك ما نصه: "أن أخبار المنع في نفسها آية عن هذا العمل، فإن ما أكل أو ليس استثناء عن نبات الأرض، فلا بد من صدق عنوان النبات عليه رعاية لاتصال الاستثناء الذي هو الظاهر منه، ولا يتحقق ذلك إلا قبل معالجته بالنسيج أو الطبخ، وإلا وبعد العلاج لا يصدق عليه نبات الأرض وإنما هو شيء متعدد منه مع مبابنته معه فعلاً، فلا يكون الاستثناء متصلة، ومرجع ذلك إلى إرادة القابلية مما أكل أو ليس، فكما أن الحنطة مثلاً لا يجوز السجود عليها لكونها من نبات الأرض القابل للأكل وإن لم يكن مأكولاً فعلاً، فكذا القطن فإنه قابل للبس بحسب

طبعه وإن لم يكن كذلك فعلاً إلا بالعلاج من غزل ونسج^(٣٢). وقال: "(و يؤيد) ما ذكرناه: التعبير عن المستثنى بما أكل أو لبس بصيغة الماضي دون المضارع الدالة على تتحققه خارجاً، فإنّ ما أكل قد انعدم، فلا موضوع له كي يسجد عليه، فيكشف عن أنّ المراد ما أكله الناس خارجاً أو لبسه بعد إعمال العلاج، لكونه بحسب طبعه قابلاً لذلك قبل ما يكون فاقداً لهذه القابلية من سائر أنواع نبات الأرض، فيكون مصداقه نفس القطن أو الكتان قبل اتصافهما بالملبوسية، فتتحقق المعارضة لا محالة بينها وبين ما دلّ على الجواز"^(٣٣).

ومنها: ما ذكره الحق الخوئي من التفصيل في قبول توبة المرتد الفطري بين إسلامه -فتقبل مطلقاً أيّ يحکم له بتمام أحكام المسلمين كطهارة البدن، وصحة العبادات المشروطة بها، وجواز التزویج بالمسلمة وتلّك المال إلى غير ذلك؛ لصدق المسلم عليه بعد التوبة - وبين توبته عن معصية كفره السابق؛ فيقتل من جهة، دون جهة، حيث ذكر "أنه لما كانت التوبة ندامة ورجوعاً عن الذنب السابق (الارتداد) كان مقتضى الآيات الكريمة قبولها مطلقاً لأن التائب، ولو كان مرتدأ تشمله الآيات الواردة في التوبة، إذ لسانها آبٌ عن التخصيص، كقوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْقُضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾^(٣٤) وبالتالي لا يعارض عمومها ما توهم من دلالة بعض الأخبار بأن الفطري (لا يستتاب) كما في بعض الروايات أو أنه (لا توبة له) كما في بعضها الآخر؛ فيتعين حملها على جهات أخرى من التوبة حفظاً لعموم الآيات.

ولعلّ وجه إبائتها هو التعبير فيها بـ(عبادي) -الذي يشمل المرتد الفطري- من جهة والتعبير بـ(جميعاً) -الذي يشمل الارتداد- من جهة أخرى.

ويكفي أن يكون من جهة "استحالة أن يرد الله أو يغلق بابه في وجه من آمن وتاب إليه فضلاً عن أن يعذبه عذاب الكفار، بل لعل ذلك مخالف لأصول العدالة"

كما يرى الإمام الخميني^(٣٥). فيندرج هذا المثال في العنوان الآتي.
ويتضح من هذا المثال إمكان التفكيك في قبول العموم للتخصيص، فقد يقبله
من جهة ويأباه من أخرى.

لزوم محذور في التقيد أو التخصيص:

من الوضوح بمكان أن وظيفة الجمع هي رفع التنافي والتنافر بين مدليل
الأدلة؛ فلا يمكن رفع التنافي بإيجاد تنافٍ آخر - ولو من خارج الرواية -.
وله موارد:

منها: الحكم ببطلان الصلاة بالرياء مطلقاً ولو وقع في بعض أجزائها وعدم
تخصيص أدلة حرمته بأدلة لا تعاد أو غيرها مع أنه مقتضى الصناعة؛ فإن نسبة
دليل (لا تعاد) إلى مثل رواية علي بن سالم عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ^(قال الله عَزَّوجَلَّ):
أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً، مما يظهر
منها أن إدخال الرياء في عمل يوجب بطلانه؛ فمن صلٍّ وأدخل الرياء في رکوعه
مثلاً أو في قراءته أو في شيء من المستحبات التي فيها فقد أشرك في صلاته غير
الله، وأدخل فيه مثقال ذرة من الرياء فبطل عمله ولم يقبل الله منه وجعله
لشريكه. نسبةُ الخاص إلى العام؛ فحقة التقدم عليه، ولكن "من الواضح أن أدلة
حرمة الرياء آية عن التقيد والتخصيص سواء كان المقيد والمخصص بلسان لا تعاد
أم كان بلسان الرفع، بل الظاهر انصراف الدليلين عن الرياء بعد مثل قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ^(إذن) في
جملة من الروايات (كل رياء شرك) ونظير ذلك ما ذكر في روايات آخر، فالخروج عن
الدليلين في مورد الرياء بالانصراف والتخصيص لا بالتقيد والتخصيص".^(٣٦)

وكان وجه الاستشكال هو لزوم الترخيص في الشرك؛ وهذا واضح البطلان.
ومنها: ما إذا لزم من التخصيص مخالفة ما ثبت بالضرورة كما هو الحال في
الأخبار التي دلت على طرح الخبر المخالف للكتاب، فإنه "لو قلنا بعمومها وشموليها

لعامة أقسام المخالفة منخصوص المطلق ومن وجه والتبين الكلي، يلزم خلاف
الضرورة؛ فإن الأخبار المقيدة أو المخصصة للكتاب قد صدرت من النبي والخلفاء من
بعده عليه السلام بلا شك؛ فلا بدّ من حملها على المخالف بالتبين الكلي^(٣٧).

ومنها: ما إذا لزم من التخصيص خروج أكثر الأفراد شيئاً كاما في مورد
حمل بعض مطلقات باب النفاس على النساء غير ذوات العادة كما في صحبيحة
محمد بن سلم الظاهرة في التحديد حسب المتفاهم العرفي قال: (سألت أبا
جعفر عليه السلام عن النساء كم تقعدين؟ فقال: إن أسماء بنت عميس أمرها رسول الله عليه السلام
أن تقضي لثمان عشرة، ولا بأس أن تستظهر يوم أو يومين) حيث حملها كثير من
الفقهاء على التقيية دون بيان الحكم الواقعي معللين ذلك بأنه "لو كانت بصدق بيان
الحكم الواقعي للزم تخصيصها بذات العادة، وهي آية عن التخصيص بذلك؛ لأن
ذوات العادة من النساء كما قالوا أكثر من غيرهن، ومعه كيف يمكن حمل الصحبيحة
الواردة لبيان أكثر النفاس على غير الغالب من النساء ولا تكون متعرضة للغالب منهن
وهي في مقام البيان، وهذا يؤيد حملها على التقيية أيضاً^(٣٨).

وفي قوله (بذلك) إشعار بإمكان التفكير في القابلية أيضاً.

كون العام أو المطلق في مقام البيان:

ومقصود منه كون الخطاب ناظراً لجهة ما لا يمكن صرفه عنها بأي نحو من
الأنحاء، فإن الخطابات الشرعية تارة تأتي لبيان الحكم ابتداءً وأخرى تأتي في
واقعة خارجية، وقد تبين الحكم بصورة خاصة مقتصرة على مورد الحادثة وقد
تبينه بشكل مستوعب لها ولغيرها، وفي هذه الحالة من المستهجن عدم شمول العام
لمورده بل ذكر الحقائق النائية: "العام بالنسبة إلى المورد كالنص" وكأنه مذكور في
العام بالنصوصية^(٣٩) فيكون بعبارة النص في هذه الجهة لا بشرط عدم نظره إلى
جهة أخرى، ومن الواضح أن هذا غير اشتراط حجيّة المطلق بكونه في مقام

البيان؛ إذ المقصود منه إحراز "كون المتكلم في مقام بيان مراده الاستعمالي أي تفهمه الفظ" ^(٤٠). وبتعبير أدق وأوضح أن الشرط المذكور "لا يعني أن المتكلم في مقام بيان أي شيء وإنما يعني أن الشيء الذي هو في مقام بيانه يكون هو بصدق بيان تماماً، فإن كل كلام يصدر من المتكلم لا بد وأن يكون بصدق معنى وبعد أن يعني ذلك المعنى بالظهورات الفظية يأتي دور ظهور حال المتكلم في أنه في مقام بيان تمام ذلك" ^(٤١).

ثم لا يخفى أن هذا غير ما ذهب إليه في الكفاية من مانعية القدر المتيقن في مقام المحاورة من التمسك بالإطلاق؛ فإن ما ذكره مانع عن أصل انعقاد الإطلاق لا أنه منعقد ويتنبع تقييده كما فيما نحن فيه. فليلاحظ ^(٤٢).

ووهذه بعض موارده:

منها: ما تقدم عن الشيخ الأعظم تحت عنوان (تكثّر العمومات أو المطلقات) حيث ذكر سببين في منع التقييد، الكثرة وكون الخطاب في مقام البيان.
ومنها: ما ذكر أخيراً عن سيد المحققين الخوئي تحت عنوان (الزوم محذور).
أقول: ما ذكره هنا يأتي فيه ما تقدم من إشكاله على الشيخ الأعظم نقضاً، وأما الحلّ فيما تقدم بيانه في العنوان بشيء من التفصيل. فليلاحظ جيداً.

الإباء العرفي:

خطابات الشارع من العرف إلى العرف؛ مما يستهجن العرف بذوقه السليم من تصرف في مدلول ما يعتبر قرينة إنية على عدم صحة هذا التصرف. وبما أن التقييد والتخصيص من القرائن العرفية العامة فإن هذا الشرط لازم همما؛ ومن هنا نجد الفقهاء ينعون من التقييد أو التخصيص متى ما وجد محذور عرفي فيه. فمن أمثلة ذلك: ما ذكره السيد الإمام في منع التخصيص الحكمي في قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾، معللاً

ذلك بأنّ "الآية آية عن التخصيص الحكمي، فمن المستحسن عرفاً أن يقال: (لا تأكلوا ما حصل بالباطل إلا هذا الباطل) فلا يتحمل تجويز الباطل تخصيصاً".^(٤٣)

ويترتب عليه أن ما يفرض خروجه عن الآية لا بدّ من حمله على الخروج الموضوعي التخصسي.

ومنها: ما ذكره في تهذيب الأصول في الجواب على ما ذكره الأخباريون من الاستدلال على الاحتياط بمثل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطِعْتُمْ﴾ وقوله عزّ اسمه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ وقوله عزّ شأنه: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ حيث ذكر أنه يتعمّن في المقام التصرف في هيئة فعل الأمر الظاهر في الوجوب؛ لخصوصية في المقام؛ لأن الآية شاملة للشبهات الموضوعية والوجوبية الحكمية ولو حملنا الآية على الوجوب بلا تصرف في مفاد الهيئة، يستلزم تقييد الآية، وإخراج بعض الأقسام، مع أن لسانها آبٍ عن التقييد. بل التقييد يعدّ أمراً بشيعاً وكيف يقبل الطبع أن يقال: (اتقوا الله حق تقاته إلا في مورد كذا وكذا)؛ فلا مناص عن التصرف في مفاد الهيئة بحمل الطلب على مطلق الرجحان حتى يتم إطلاقه^(٤٤).

ومنها: ما ذكره الحق الأصفهاني في بيان لزوم الوقف ولو وقع بالمعاطة حيث استظهر من الأخبار الدالة على عدم جواز الرجوع في الوقف، أنّ اللزوم كاللازم الغير المفارق، وذلك مثل قوله عزّ شأنه: «ما كان لله فلا رجعة فيه»؛ فإنّ مناسبة الحكم والموضع تقضي بأنّ ما كان لله لا يلائمه الرجوع، ومثله يأتي عن التخصيص، بأن يقال ما كان لله فلا رجعة فيه إلا إذا كان بالمعاطة^(٤٥).

ومنها: ما ذكره الفقيه السبزواري في دفع توهّم تقييد أدلة العصر والتعدد لمطلقات التطهير بماله المعتصم كقوله عزّ شأنه في مرسل الكاهلي المنجر: «كلّ شيء يراه ماء المطر فقد طهر»، وذلك في مسألة ما إذا تقاطر المطر على الشوب أو الفراش

النحس ونفذ في جميعه، فإنهم ذكروا أنه يظهر ولا يحتاج إلى العصر أو التعدد، وذكر السيد أن "عمدة الدليل: إطلاق أدلة مطهّرية الماء المعتصم واعتصامه ما لم يتغير، وسياق تلك الأدلة آية عن التخصيص والتقييد بالعصر، والتعدد، إلى قوله: والمرتكز في الأذهان أنَّ العصر والتعدد لانفصال الماء المنفصل، ولا انفصال للماء المعتصم إلا بالتغيير، فلا يشمل إطلاق دليل العصر والتعدد الماء المعتصم أصلًا" ^(٤). فإن قوله: والمرتكز في الأذهان يعني به أذهان العرف؛ إذ لا يتصور غير ذلك.

كون الخطاب بلسان التعليل:

والمراد من العلّة والتعليل هنا هو العلامة التي متى ما توفّرت في موضوع كشفت عن ثبوت حكم موردها له، فمتي ما أحرزنا وجودها سواء بالتصريح بها في الخطاب أو من أمر آخر كان ذلك مصححاً للتعمي من موردها إلى كلّ مورد يكون متوفراً عليها، ولها موارد كثيرة.

منها: ما ورد من الروايات في حكم التكلم في الإقامة حيث وردت روايات مانعة كمعتبرة أبي هارون المكفوف (قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا أبا هارون الإقامة من الصلاة فإذا أقمت فلا تتكلم، ولا تؤم بيدك). والذي ظاهرها تنزيل الإقامة منزلة الصلاة في المنع من الكلام، وقد وردت في قبها روايات أخرى محوّزة كصحيحة حمّاد بن عثمان قال: (سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرجل بتكلم بعد ما يقيم الصلاة، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم).

وقد جُمِع بينهم بحمل المانعة على الكلام الأجنبي غير المرتبط بالصلاة، والمحوّزة على المرتبط.

وأشكّل عليه السيد الحق الخوئي عَلَيْهِ السَّلَامُ "أنَّ بعض المانعة كرواية المكفوف آية عن ذلك، ضرورة أنَّ مقتضى تتريل الإقامة متصلة الصلاة المنعُ عن مطلق التكلم كنفس الصلاة، فالشخص بصنف لا ينسجم مع هذا التتريل الذي هو بمثابة التعليل

كما لا يخفي^(٤٧).

ومنها: ما ذكره الحقائق النائي في جواب الإشكال المعروف على آية النبأ من أن ظهور التعليل فيها في العموم قرينة على عدم دلالة القضية الشرطية في الآية على المفهوم، حيث ذكر أنه لا وقع لأصل الإشكال؛ لأن النسبة بين العموم والمفهوم هي نسبة الحكومة بجعل المفهوم حاكماً على العموم، وبالتالي لا يكون عموم التعليل معارضًا للمفهوم بل لا يعقل أن يقع التعارض بين المفهوم وعموم التعليل؛ لأن الحكم لا يعارض الحاكم ولو كان ظهور الحكم أقوى من ظهور الحاكم أو كانت النسبة بينهما العموم من وجهه؛ لأن المفهوم يقتضي إلغاء احتمال مخالفة خبر العادل للواقع وجعله محراً له وكاشفاً عنه -بحسب مبناه- فلا يشمله عموم التعليل.

وبعبارة أخرى: مقتضى الحكومة هو خروج خبر العادل عن أفراد العموم؛ لأن أقصى ما يقتضيه العموم هو عدم جواز العمل بما وراء العلم، والمفهوم يقتضي أن يكون خبر العدل علماً في عالم التشريع، فلا يعقل أن يقع التعارض بين المفهوم وعموم التعليل، لأن الحكم لا يعارض الحاكم ولو كان ظهور الحكم أقوى من ظهور الحاكم أو كانت النسبة بينهما العموم من وجهه.

ثم أشكل عليه على من جعل النسبة بينهما نسبة العام إلى الخاص بكون آية النبأ آية عن التخصيص وذلك "لأن عموم التعليل يأبى عن التخصيص؛ فإن إصابة القوم بالجهالة لا تحسن في حال من الحالات"^(٤٨).

تنبيهات مهمة

في عدم معارضته قرينة التقييد مع قرينة الإباء:

وتوضيح ذلك بأن يقال: إن كلاماً ما تقدم من القرآن معارض بقرينة المقيد؛ لما ثبت في محله من كون القيد قرينة عامة على عدم إرادة الإطلاق ومن هنا قدم

عليه أو لأنَّه أَظْهَرَ مِنْهُ، وَإِنْ شَئْتَ قُلْتَ: إِنْ مِنْ شُرُوطٍ تَحْقِيقُ الْإِطْلَاقِ عَدْمُ وُجُودِ قَرِينَةٍ مُتَصَلَّةٍ أَوْ مُنْفَصَلَةٍ وَإِلَّا لِمَنْعِ ذَلِكَ مِنْ تَحْقِيقِ الْإِطْلَاقِ، فَكَيْفَ يَأْبَى الْإِطْلَاقِ عَمَّا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ؟؟

أَقُولُ: هَذَا صَحِيحٌ فِيمَا إِذَا كَانَتِ الْقَرِينَةُ مُتَصَلَّةٍ فَإِنَّهَا تَنْعَنُ عَنْ أَصْلِ اِنْعَادِ الْإِطْلَاقِ وَكَذَا إِذَا قُلْنَا: بِأَنَّ الْقَرِينَةَ مُنْفَصَلَةٌ كَذَلِكَ، أَمَّا إِذَا قُلْنَا: بِأَنَّ الْقَرِينَةَ مُنْفَصَلَةٍ تَنْعَنُ عَنْ خَصُوصِ حَجَبِ الْإِطْلَاقِ فَلَا تَتَحْقِيقُ الْمَعَارِضَ بَيْنِ إِيَّاهُ الْإِطْلَاقِ وَالْقِيدِ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْقِيدُ مَانِعاً عَنِ اِنْعَادِ الْإِطْلَاقِ، وَالسُّرُّ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ مَا تَقْدِمُ مِنْ الْقَرَائِنَ الْمَانِعَةَ عَنِ اِنْعَادِ الْإِطْلَاقِ قَرَائِنٌ نَّاسِئَةٌ مِنْ نَكَاتِ عَرْفِيَّةٍ أَوْ عَقْلِيَّةٍ؛ فَهِيَ قَرَائِنٌ لَبِيَّةٌ تَحْفَ بِالنَّصِّ فَيُنْتَجُ عَنْهَا الْإِطْلَاقُ لَوْحِدَهَا مِنْ دُونِ الْحَاجَةِ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى قَرِينَةِ الْحَكْمَةِ، وَبِكَلْمَةٍ: إِنْ قَرِينَةُ الْحَكْمَةِ لَيْسَ إِلَّا طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ إِحْرَازِ الْإِطْلَاقِ، فَإِذَا أَمْكَنْنَا أَنْ نُحَرِّزَ الْإِطْلَاقَ مِنْ جَهَةِ أُخْرَى لَمْ تَبْقَ أَيْ حَاجَةٌ إِلَيْهَا؛ فَلِمَ يَتَنَعَّمُ الْإِطْلَاقُ عَمَّا هُوَ مَتَوْقَفٌ عَلَيْهِ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا بدَ مِنْ عَلاجِ التَّعَارُضِ بَيْنِ الْمُطْلَقِ الْآبِيِّ وَالْقِيدِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقَرَائِنَ الدَّاخِلِيَّةَ لِلنَّصِّ مَقْدِمَةٌ عَلَى بَقِيَّةِ الْقَرَائِنِ لَأَظْهَرِيَّتِهَا.

فِي عَدْمِ جَرِيَانِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ الْخَاصَّةِ بِالْمُطْلَقِ عَلَى الْمُطْلَقِ الْآبِيِّ
عَنِ التَّقْيِيدِ:

وَهَذَا مُتَرَبٌ عَلَى مَا قَدْ سِيقَ فَقَدْ ذَكَرَ الْأَعْلَامُ بَعْضَ الْأَحْكَامِ الْمُتَرَبَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ لَحِيَشِيَّةِ كُونِهِ نَاسِئَةً مِنْ مَقْدِمَاتِ الْحَكْمَةِ.

مِنْهَا: تَقْدِمُ الْعَامُ عَلَى الْمُطْلَقِ عِنْدَ التَّعَارُضِ؛ حِيثُ ذَكَرُوا أَنَّ السُّرُّ فِي تَقْدِمِ الْعَامِ هُوَ كُونُ ظُهُورِهِ فِي السُّرِيَانِ تَنْجِيزِيَّاً غَيْرَ مَتَوْقَفٍ عَلَى شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ، بِخَلَافِ الْمُطْلَقِ فَإِنْ سَرِيَانُهُ تَعْلِيقِيٌّ مَتَوْقَفٌ عَلَى عَدْمِ بَيَانِ الْقِيدِ، وَمَرْجَعُ هَذَا التَّنْجِيزِ وَالْتَّعْلِيقِ هُوَ أَنَّ "اِحْتِجاجَ الْعُقَلَاءِ فِي الْمُطْلَقِ لِمَا كَانَ مَتَقْوِماً عَلَى جَعْلِ الطَّبِيعَةِ

بنفسها موضوعة وعدم ذكر قيد لها يكون أمد هذا الاحتجاج إلى زمان ورود القيد، فإذا ورد ينتهي احتجاجهم ويرتفع موضوعه، فتقدّم العام الأصولي على المطلق إنما هو لكون العام غاية لاحتجاج العقلاء بالإطلاق لكونه بياناً للقيد، فلا يمكن أن يكون الإطلاق مختصاً للعموم لحصول غايتها بوروده^(٤٩).

وبعبارة أوضح إن الشمول في المطلق ليس مدلولاً لدليل لفظي كما في العام، وإنما هو مدلول لعدم البيان، فما دام عدم البيان متحققاً وهو الدليل كانت الدلالة أيضاً ثابتة، فينكشف بها الإطلاق، وإذا لم تبدل بالبيان انتفت الدلالة والمنكشف لا محالة، فثبتت الإطلاق في كل آن متوقف على عدم البيان في ذلك الآن، وبانتفاءه ينتفي الإطلاق حقيقة، فهو نظير الأصول العملية مع الأمارة، فإذا لم تكن الأمارة متحققة كان الأصل العملي جارياً حقيقة، وإذا قامت الأمارة انتفي موضوع الأصل العملي لا محالة، وهذا هو الحال في الإطلاق، فما لم يوجد بيان يكون الإطلاق ثابتاً حقيقة، وب مجرد تحقق البيان ينتفي الإطلاق، لأنه كما عرفت مدلول عدم البيان، وليس مدلولاً للفظ^(٥٠).

ومن الواضح هنا على ما تقدم أن الإطلاق ليس تعليقياً، إذ لا يتوقف على مقدمات الحكمة، وإنما ينشأ الإطلاق كما تقدم من قرائن لبيبة؛ فلا ينفع هذا الوجه في تقديم العام على المطلق.

وكذلك إذا قلنا بتقديم العام لأقوائية ظهوره -كما لا يبعد- بتقرير "وجود ظهورين حاليين كاشفين عن الإرادة الجدية للمتكلم، أحدهما الظهور السلبي في أن ما سكت عنه ولم يذكره في مرحلة الإثبات غير ثابت في مرحلة الثبوت والجدة، فليس هناك شيء قد قصده ولم يقله، وهذا هو أساس الظهورات الإطلاقية في المطلقات، والآخر الظهور الإيجابي في أن ما ذكره في مرحلة الإثبات ثابت في مرحلة الثبوت أيضاً، فليس هناك شيء قد قاله ولم يقصده، وهذا هو أساس الظهورات التقييدية في

**المقيمات والظہور الأول من هذین الظہورین الحالین التصدیقین أضعف من الثاني
بشهادة تقديم المقيد على المطلق^(٥١).**

فإن الإطلاق ليس مدلولاً سلبياً هنا بل حاله حال العموم؛ لرجوعه إلى قرينة وجودية هي القرينة اللبية؛ فيشكل تقديم العام على المطلق مجرد ذلك بل لا بد من ملاحظة النسبة بينهما وترتيب بقية الآثار المترتبة على التعارض. ومنها: عدم عد المطلق من المخالف للقرآن، فلا ينفع في مورد الترجيح؛ وذلك لأن اسم الجنس إنما يدل على ذات الطبيعة المهملة الجامحة بين المطلق والمقيد كما تقدم، وإنما يستفاد الإطلاق ببركة مقدمات الحكمة -أي عدم نصب المتكلم قرينة على التقييد مع كونه في مقام البيان- فعدم القرينة على التقييد هو الدال على الإطلاق لا اسم الجنس المصرح به في الكلام، ومن الواضح أن هذا الأمر العدمي ليس قرآناً ليكون المخالف له مخالفًا للكتاب الكريم.

وهذا المبني وإن أمكن الخدشة فيه -بعدم عرفيته؛ إذ من الواضح أن العرف ينسب الخبر المطلق إلى المخالفة بدون أدنى تحوز في ذلك- ولكن لو سلمنا به فإنه من الواضح لا يجري فيما نحن فيه؛ فإن الإطلاق هنا ليس مدلولاً عدانياً كما تقدم.

في عدم إباء الإطلاق مع الإباء عن التقييد في مقام الإثبات:

بعد ثبوت أن التقابل بين الإطلاق والتقييد في مقام الإثبات هو تقابل الملكة وعدتها، فهل يتنبع الإطلاق إذا امتنع التقييد؟؟
الظاهر العدم؛ وذلك لأن القابلية المطلوبة في محل الملكة هي القابلية العقلية وهي موجودة هنا، غايتها أن هناك عدم قابلية عرفي وهو لا ينبع عن ذلك، نعم فيما إذا كان الإباء ناشئاً من محذور عقلي يتوجه المنع.

في الجواب على ما ذكره بعض الأعلام:

ذكر في جامع المدارك أنه يمكن أن يقال أن المطلقات بمنزلة القوانين والقوانين غير آية عن التخصيص^(٥٢)، وذكر السيد الخوئي في قاعدة منجسية النجس أنها ليست من القواعد العقلية غير القابلة للتخصيص، وإنما هي من القواعد التعبدية وهي غير آية عن التخصيص^(٥٣). وذكر في مورد آخر أن أقصى ما في المطلقات أنها مطلقات غير آية عن التقيد الذي هو ليس بعزيز في الفقه^(٥٤). ويمكن صياغة الإشكال بعبارة أدق فنقول: كيف يمكننا الجمع بين وسم الأحكام بأنها أحكام اعتبارية، وبين حمل سمة الإطلاق والعموم وعدم قابلية الحكم للاستثناء والحال أنه ليس هناك من حكم اعتباري في عالم الوجود وهو يأبى عن التقيد والتخصيص؛ فإن الاعتبار وأحكامه لا يمكن أن تكون أحكاماً مطلقة وعامة ولا تقبل التخصيص. وتكون في الوقت ذاته أحكاماً اعتبارية؛ فإن الإطلاق والاسعة من شأن الأحكام الواقعية.

أقول: نارة يفهم من كلامهما أن المطلقات في نفسها تنقسم إلى ما يقبل التقيد وما لا يقبل فهذا حقٌ لا مرية فيه كما ظهر مما تقدم، وأخرى يفهم - بقرينة تعليلهم بكونها ليست قواعد عقلية - أن المطلقات دائماً قابلة للتقييد إلا إذا كانت إرشاداً إلى حكم العقل فإنهما خارجة عن تعليلهم كما هو واضح، ففيه نظرٌ واضح بل هو غريبٌ جداً ويكتفي في الجواب عليه نقضاً التأمل فيما تقدم خصوصاً منهما، وأمّا الحلُّ فمختصره هو القول بعدم امتناع ذلك؛ فإنه وإن قام البرهان على استحالة تخصيص الأحكام العقلية إلا أنه لم يقم على تخصيصها بهذا الحكم دون غيرها، ودعوى عدم إمكان مثل هذا الإطلاق في الأحكام الاعتبارية مدفوع؛ من جهة أن الملاك في صحة الأمور الاعتبارية اجتماع أمرتين:
أ- وجود الأثر للاعتبار؛ فلو لم يكن له أثر اجتماعي عاد لغواً.



ب- أن لا يكون المعتبر مناقضاً في اعتباره لأن يعتبر الزوجية وعدتها في آن واحد؛ لأن التناقض يوجب سلب الاعتماد على الاعتبار. وكلاهما موجود في المقام كما هو واضح.

في الشك في الإباء عن التقييد وعدمه:

لو شُكَّ في مورد ما أن الإطلاق آبٍ عن التقييد أم لا، فهل يمكن الأخذ بالقيد والعمل به؟؟

من الظاهر أن مجرد الشك غير مانع من الأخذ بالقيد وذلك لما ثبت في محله من أن بناء العقلاء على حجية الظواهر ما لم تثبت القرينة العقلية أو النقلية على إرادة خلافها. وبمجرد احتمال الإباء بل الاستحالة لا يعد قرينة على ذلك، والذي يشهد لذلك هو أن من ترك العمل بظاهر خطاب المولى، لمجرد هذا الاحتمال استحالة لا يعد معدوراً عند العقلاء، ونظير هذا ما ذكره الشيخ في مبحث التبعد بالظن من أنه إذا أمر المولى بإتباع خبر الثقة وترتيب الأثر عليه، واحتمنا استحالة حجيته، لاستلزمها تحليل الحرام وتحريم الحلال أو الإلقاء في المفسدة وتفويت المصلحة، أو غير ذلك مما ذكروه في استحالة العمل بالظن، لا يكون هذا الاحتمال عذراً في مخالفة ظاهر كلام المولى، وهذا طريق يسلكه العقلاء في الحكم بالإمكان^(٥٥).

والمقام من هذا القبيل بعينه، فلا مانع من الأخذ بالقيد لمجرد الشك.

هذا ما وسعنا ذكره في توضيح هذا الاصطلاح، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا اليسير مورداً للقبول والانتفاع، وأن يتکفله لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين. «إلهي كيف نستکثُر أعمالاً نقابل بها كرمك».



- (١) قواعد الحديث للسيد محيي الدين الغريفي /المقدمة.
- (٢) منها (السياق) و(القيد الوارد مورد الغالب) و(الألسنة الإرشادية) و(الألسنة الواردة في مقام الإهمال) وغيرها.
- (٣) حكاه عنه في مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ج ٧، ص: ٧.
- (٤) لاحظ مثلاً روضة المتدين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص: ٦٢٧، ذخيرة المعد في شرح الإرشاد، ج ١، ص: ١٥٦، مفاتيح الشرائع، ج ١، ص: ٣٧٨.
- (٥) أصول الفقه، ج ٢، صفحه ٢٣٥.
- (٦) مجمع البحرين، ج ٣، ص: ٢٧٢.
- (٧) أصول الفقه، ج ٢، صفحه ٢٣٥.
- (٨) ص ٧١.
- (٩) ذكره ساحة آية الله الشيخ باقر الإبرواني في الدرس ٨٩ من دروسه في كتاب الصوم.
- (١٠) دراسات في علم الأصول ٢٤٥/٤.
- (١١) ولذا يرفض الاستدلال بالسيرة العقلائية على حجية الاستصحاب.
- (١٢) مصباح الأصول ١٤/٣.
- (١٣) المقصود من الصحيحه هي صحيحة زرارة الأولى، وبالروايات الآخر روایات الاستصحاب الأخرى.
- (١٤) المصدر المتقدم ١٩/٣.
- (١٥) قواعد الحديث ٣٤٢/١.
- (١٦) وقد خرجنا هنا عن الهدف الموضوعة له هذه الرسالة بهدف تجلية الاصطلاح أكثر ومعرفة مدى الدقة في تطبيقه.
- (١٧) مصباح الأصول ٢٤٨/٣.
- (١٨) ١٥٢/٢.
- (١٩) كتاب المکاسب ٤٣/١.
- (٢٠) مصباح الفقاهة ١٢٦/١.
- (٢١) مهدب الأحكام ٢٣٣/٦.
- (٢٢) المصدر المتقدم.

- (٢٣) للفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي ٤٣/٦.
- (٢٤) للمحقق الشيخ علي الغفاري ص ٥٠ والكتاب تلخيص لمقباس الهدایة للمامقاني.
- (٢٥) فقه الإمامية/قسم الخيارات ص ٦٤، نهج الفقاہة، ص: ٣١٥، القواعد الفقهية (للفاضل)، ص: ٢٤٦.
- (٢٦) فوائد الأصول.
- (٢٧) بحوث في علم الأصول، ج ٥، صفحه ٥٠٩.
- (٢٨) مصباح الفقاہة (المکاسب)، ج ٥، ص: ٤٩١.
- (٢٩) موسوعة الإمام الخوئي، ج ١١، ص: ٣٩٠.
- (٣٠) مصباح الفقاہة (المکاسب)، ج ٥، ص: ٨٥، ويلاحظ المکاسب والبیع، للمحقق النائینی ٣٤٤/٢، وحاشیة كتاب المکاسب (للأصفهانی)، ج ٢، ص: ٤٤٥، وهدی الطالب في شرح المکاسب، ج ٦، ص: ٣٠٠.
- (٣١) بناءً على مبناه القديم في توثيق رجال كامل الزيارت.
- (٣٢) موسوعة الإمام الخوئي، ج ١٣، ص: ١٣٣.
- (٣٣) المصدر السابق ١٣٤/١٣.
- (٣٤) فقه الشيعة، ج ٦، ص: ٢٢.
- (٣٥) (كتاب الطهارة ٦٣٢/٣) الطبعة القدیمة.
- (٣٦) كتاب الخلل في الصلاة، للإمام الخميني ص: ٤٢.
- (٣٧) تهذیب الأصول، ج ٢، ص ١٧٧.
- (٣٨) موسوعة الإمام الخوئي، ١٦٥/٨.
- (٣٩) فوائد الأصول للنائینی، ١٧٠ / ٣.
- (٤٠) دراسات في علم الأصول ٣٣٩/٢.
- (٤١) بحوث في علم الأصول ٤١٩/٣.
- (٤٢) کفاية الأصول ٢٤٧ وأصول الفقه ١٨٦/١.
- (٤٣) كتاب البیع، للإمام الخميني ١٧٢/١.
- (٤٤) تهذیب الأصول، ج ٢، صفحه ٢٥٨.
- (٤٥) حاشیة كتاب المکاسب (للأصفهانی، ط-المدیثة)، ج ١، ص: ١٩٢.

- (٤٦) مهذب الأحكام (للسبيزواري)، ج ١، ص: ٢١٠.
- (٤٧) موسوعة الإمام الخوئي، ج ١٣، ص: ٣٥٦.
- (٤٨) فوائد الأصول للنائيني، ج ٣، ص ١٧١ - ١٧٤.
- (٤٩) الرسائل، ج ٢، صفحه ٢٤.
- (٥٠) دراسات في علم الأصول، ج ٤، صفحه ٣٦٨.
- (٥١) بحوث في علم الأصول، ج ٧، صفحه ٢٨٤.
- (٥٢) جامع المدارك في شرح مختصر النافع، ج ٣، ص ٢٠٠.
- (٥٣) موسوعة الإمام الخوئي، ج ٢، ص: ٥١٠.
- (٥٤) المصدر المتقدم، ج ٢٢، ص ١٠٣.
- (٥٥) فرائد الأصول، ج ١، ص ٤١.



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &
Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
 - Editor in Chief:
Aziz Hassan Salman
 - Editor in Director:
Abdulraoof Hassan Alrabia
 - Chairman of the Editorial Board:
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais
husain fuad Almarzooq
mohammed ali khatam
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom

